



الباب الرابع

الصحة الإسلامية

وبرامج التسوية وقضية القدس

●● وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الصحة والانتفاضة والقدس.

الفصل الثاني: مشاريع التسوية.

الفصل الثالث: حجم التسليح العربي واليهودي.

الفصل الرابع: بعض القضايا الساخنة.

obeikandi.com

الفصل الأول الصحوۃ والانتفاضة والقدس

المبحث الأول الصحوۃ الإسلامية في فلسطين

عقب انكسار الجيوش العربية واحتلال فلسطين وتمكين اليهود منها، وصدور قرارات التقسيم، تحرّكت النخوة الإسلامية في الشعوب العربية متمثلة في جماعة الإخوان المسلمين، وبعض الغيورين من المسلمين من أمثال عبد القادر الحسيني، وغيره، ودخلت فصائل من الإخوان المسلمين تقدر بـ ١١ ألفاً من المجاهدين إلى فلسطين وتعاملوا مع اليهود المحتلين، ونازلوهم في ميادين القتال، ورغم كثرة جند الصهاينة وعتادهم وتدريبهم، إلّا أنّ المجاهدين انتصروا عليهم في معارك كثيرة وكادت الكفة أن تميل لصالح المجاهدين المسلمين، لولا تدخل الاستعمار وأذناؤه من السلطات الذين أشاروا بدخول الجيوش العربية غير المسلحة أو المدربة والمستعدة للحرب، بحجة حرب اليهود، والحقيقة أن مهمتها الأساسية كانت إلقاء القبض على الفدائيين وإرسالهم إلى السجون، وقد كان، وبعد انتهاء المهمة، انكسرت الجيوش العربية واحتلّت فلسطين! وظلت الأنظمة آنذاك تتبادل التهم والسباب وتوزع الخيانات فيما بينها، بينما إسرائيل تعد للحروب وتنتصر وتحقق أهدافها، والقوى الإسلامية، إما في السجون والمعتقلات، أو حية الملاحقات وتحدد الإقامات، إلى أن وقعت حرب ١٩٦٧م وخلفت بعدها جراحات غائرة حرّكت المسيرة الإسلامية مرة أخرى، فبدأ التيار الإسلامي في فلسطين يعود إلى دائرة التأثير على الساحة، وبدأت صحوۃ إسلامية جديدة في الأرض المحتلة سنة ١٩٦٧م، ويمكن أن تُردّ أسباب هذه الصحوۃ إلى:

١ - فشل النظم العربية في مواجهة إسرائيل .

- ٢ - تراجع المد القومي واليساري الذي شكّل في فترة من فترات الصراع زخماً من الشعارات تعلّقت بها الجماهير ، فكانت سراباً تذروه الرياح .
- ٣ - تمكّن الحركة الإسلامية في فترة الثمانينيات من إيجاد أرضية راسخة ومتسعة لوجودها في المناطق المحتلة .
- ٤ - سيطرة جيل من الشباب المتعلم الفاهق لدينه على الجماعة الإسلامية واستطاع أن ينشئ لها فروعاً في قطاع غزة ذوي الأصول الاجتماعية الشعبية ، وناقلين الدعوة الإسلامية إلى دعوة حركية .
- ٥ - التوجه العام في الشارع الفلسطيني إلى الإسلام ، كردّ فعل على الممارسات الإسرائيلية من قتل وقهر .
- ٦ - انحسار تأثير منظمة التحرير الفلسطينية بعد الضربات القاسية التي تلقتها في لبنان وإخراجها منه .
- ٧ - ثبات كوادر الحركة الإسلامية في ميادين الجهاد ، وإخلاصهم والتحامهم بالشعب المسلم ، وعدم خضوعهم للإغراءات التي وقع فيها غيرهم ، والعمالات التي شرذمت الكثيرين من أرباب الشعارات الجوفاء .
- ٨ - دخول الحركة الإسلامية في صدام عمكري مع العدو الإسرائيلي ، بزعامة الشيخ أحمد ياسين ، ويحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة عشر عاماً ، ونجاح الجماعة في إحياء القضية الفلسطينية وسط هذا العجز العربي المتصاغر ، فمثلت بذلك أملاً للأمة في استرجاع حقوقها وكرامتها .
- ٩ - اعتماد الحركة الإسلامية أسلوب التربية الإسلامية لكوادرها العاملة في الساحة وتنشئتهم على الإسلام الكامل ، وإحياء فريضة الجهاد ضد العدو الصهيوني وليس ضد الأنظمة والسلطات .
- ١٠ - قدرتهم على تحريك الشارع الفلسطيني الذي تمثّل في الانتفاضة التي أذاقت اليهود الويل وفضحتهم في الإعلام العالمي ، وعرف الناس من هم اليهود على حقيقتهم ، وأيقظت الضمير العالمي وحقوق الإنسان .
- وتعدّ حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الوجه السياسي المقاتل للحركة

الإسلامية في فلسطين، وجاء قيامها، انعكاساً للتطور الذي أضافته الحركة الإسلامية، والذي تم فيه مزج التربية الإيمانية بالروح الجهادية لتحرير الأرض المحتلة، والدفاع عن الشعب المقهور تحت الاحتلال، فأصبح العمل لإقامة الدولة الإسلامية يمر من خلال جهاد المحتل الغاصب، بل إنَّ الصراع مع الصهاينة أضحى هو السبيل إلى إقامة مثل هذه الدولة في فلسطين، وحركة حماس الإسلامية في فلسطين لها جذور جهادية في فلسطين؛ لأنها خلفت الإخوان المسلمين في هذا الجهاد، حيث قاتل الإخوان اليهود زمناً وأذاقوا اليهود الصاب والعلقم وكادوا أن يطهروا فلسطين من هذا الرجس لولا الخيانات المعروفة من أذئاب الاستعمار، واعتقال المجاهدين من أرض المعركة وزجهم في السجون وقتل قائدهم الإمام حسن البنا، كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

والآن يكرر نفس الدور وب نفس السيناريو، فبعد أن أعلنت حماس الجهاد ضد العدو وكبدته خسائر فادحة وحركت الشعب الفلسطيني في انتفاضة مباركة، وفعلت القنابل البشرية فعلها في العدو، ورأى العالم اليهود، ولأول مرة، يستغيثون، وتبدأ هجرتهم المعاكسة من إسرائيل إلى حيث جاؤوا، استدعي عرفات على عجل وذود بعملاء إسرائيل الذين جهزوا كشرطة وآلات للقمع ليعمل عمله في اعتقال كوادر حماس المجاهدة، وقتل قادتهم من أمثال يحيى عياش وإخوانه، وتسليم إسرائيل الناشطين منهم حتى قبع في سجون إسرائيل من كوادر حماس ٤٠٠٠ عنصر، وفي سجون عرفات مثل هذا العدد، وباع عرفات جهاد أمته وأرضها في سبيل سراب وسلطة تحمي الإسرائيليين ومستعمراتهم بقيادة عرفات وزبانيته، وسحبت الأنظمة على وجوهها في مؤتمر شرم الشيخ؛ لتدين حماس وتصفهم بالإرهاب وتدعو إلى إبادتهم وتشد على يد عرفات وتكتب صكوك البراءة لإسرائيل التي قتلت في التسعينيات وحدها من الأطفال والنساء والشيوخ الفلسطينيين ١٤٩٥، وجرح ١٣٠٧٨٧ حسب الإحصاءات العالمية، وهدمت من البيوت ٢٤٧٠ بيتاً، وما زال القتل مستمراً والهدم مستمراً ومصادرة الأراضي وبناء المستعمرات، والتفاوض من أحد عشر عاماً مستمراً، إلى أن مات عرفات.

فهل يمكن أن يفكر المخلصون في طرق مجددة للخلاص من هذا السرطان الصهيوني؟

وهل يمكن أن تسمح الأنظمة للعمل الإسلامي العاقل والفاعل أن يساعدهم على رد هذه الهجمة السرطانية؟ أم يظلون ظالمين لأنفسهم وأمتهم وإسلامهم؟! وهل يمكن أن نجد جواباً على هذا التساؤل: لماذا حمى المارونيون والدروز والعلويون والسنة، الجهاد الإسلامي في لبنان ولم يخونوه؟ ولماذا ضيع المسلم عرفات ومن خلفه من بعده، الجهاد الإسلامي وباعه لليهود مع فلسطين؟!

ولماذا لم تظهر الخيانة في لبنان، وظهرت في فلسطين عرفات ومن والاه؟! أجيبيونا - رحمكم الله - ومن إذن من هؤلاء خير مقاماً وأحسن ندياً؟ أجيبيونا - يرحمكم الله، يرحمكم الله!!

المبحث الثاني الانتفاضة الكبرى وتطور القضية الفلسطينية

• المقصود بالانتفاضة:

يقصد بالانتفاضة الكبرى: تلك المواجهات الجماهيرية الفلسطينية التي اندلعت ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة في ديسمبر سنة ١٩٨٧م واستمرت حتى مايو (أيار) سنة ١٩٩٤م، والتي أخذت طابع الحرب الشعبية المدنية ضد القوات العسكرية المسلحة، فكانت مفاجئة للاحتلال الإسرائيلي والقوى الدولية من حيث الحجم والتوقيت والنتائج المترتبة عليها والمدة الزمنية لاستمراريتها.

• العوامل التي أدت إلى اندلاع الانتفاضة:

- الممارسات القمعية التي تعرّض لها الشعب الفلسطيني والعدوان المستمر.
- محاولات طمس وجود الشعب الفلسطيني ومصادرة أرضه.
- محاصرة الشعب الفلسطيني في الداخل اقتصادياً وسياسياً من قبل الاحتلال.
- يأس الشعب الفلسطيني في الداخل من أي حل سياسي أو اهتمام حقيقي من جانب الدول العربية.
- المحاولات المستمرة لتصفية القضية الفلسطينية دولياً.
- نمو الصحوّة الإسلامية في الضفة والقطاع.
- تخلي الأصدقاء والأصدقاء عن القضية.
- تراجع النفوذ السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية.
- ظهور النظام العالمي الجديد الذي تنفرد به الولايات المتحدة بالهيمنة، وتلتزم فيه بالمحافظة على إسرائيل.

• بداية انطلاق الانتفاضة:

انطلقت شرارة الانتفاضة يوم ٨/١٢/١٩٨٧م، إثر حادث صدم شاحنة

إسرائيلية كبيرة عمداً لشاحنتين صغيرتين كانتا تنقلان عمال من مخيم جباليا ؛ مما نتج عنه مقتل أربعة وجرح تسعة آخرين . فحدثت الاضطرابات وامتدت إلى مخيمات الضفة الغربية وعمت الأرض المحتلة واستقطبت جميع فئات المجتمع الفلسطيني على اختلاف أنواعها .

• أساليب الاحتلال في مواجهة الانتفاضة:

- ١ - اعتماد سياسة القبضة الحديدية على نطاق واسع .
 - ٢ - تطبيق مبدأ «رايين» في تكسير العظام ، بناءً على نصيحة من الحكومة الأمريكية .
 - ٣ - ترحيل المئات من الضفة الغربية وقطاع غزة .
 - ٤ - العقوبات الجماعية ، مثل : تعذيب سكان القرى والمخيمات ، ومنع السفر وقطع المواصلات والاتصالات .
 - ٥ - مصادرة الهويات ، ودفن الأحياء ، وإقامة الحواجز العسكرية الدائمة والمتحركة .
 - ٦ - استخدام الرصاص الحي المحرّم دولياً المسمّى «دمدم» .
 - ٧ - هدم ونسف المنازل ، ومصادرة الأراضي ، والاعتقال العشوائي .
 - ٨ - الحصار التمويني ، وتخفيض السيولة النقدية .
 - ٩ - إغلاق الأسواق ، وإتلاف المحاصيل الزراعية .
 - ١٠ - كسر الإضراب التجاري .
 - ١١ - انتهاك حرّات المقدسات ، وخاصة المساجد .
 - ١٢ - مشاركة المستوطنين للجيش ، واستخدام السلاح في ترويع المدنيين ، وقتلهم .
- والجدول التالي رقم (١) ، يبيّن الوحشية التي قام بها الإسرائيليون .

جدول رقم (١)

الشهداء الفلسطينيون حسب طريقة القتل والطرف المتسبب ونسبة الأطفال منهم
(٩ ديسمبر ١٩٨٧م - ٣١ يونيو ١٩٩٤م)

الأطفال منهم	مجموع الشهداء	الحالة
٢٨٣ ١٦ ٦ ٢	١١٠٩ ٩٥ ١٨ ٣	١. الوفاة بسبب إطلاق النار: • من جانب قوات الأمن • من جانب المستوطنين / مدنيين إسرائيليين • من جانب المتعاونين مع الاحتلال • من جانب الآخرين
٣٠٧	١٢٢٥	المجموع
٨ ٢ —	٥٦ ١٥ ٢	٢. الوفاة بسبب الضرب وأسباب أخرى غير الرصاص: • من جانب قوات الأمن • من جانب المستوطنين / مدنيين إسرائيليين • من جانب المتعاونين مع الاحتلال
١٠	٧٣	المجموع
٣٦ — —	٩٣ — ١	٣. الوفاة بسبب استنشاق الغازات المسيلة للدموع: • من جانب قوات الأمن • من جانب المستوطنين / مدنيين إسرائيليين • من جانب المتعاونين مع الاحتلال
٣٦	٤٩	المجموع
٣٥٣	١٣٩٢	•• مجموع شهداء الانتفاضة بسبب المسؤولية المباشرة لسلطات الاحتلال الإسرائيلي

السنة الانتهاك	القتل:	أ. بالرماس	ب. بالغاز	ج. الضرب	المجموع
١٩٨٧م	٢٢	٦	٠	٢٨	
١٩٨٨م	٢٨٥	٥٩	٢٣	٣٧٧	
١٩٨٩م	٣٠١	١٤	١٩	٣٣٤	
١٩٩٠م	١٤٣	١٠	٩	١٦٢	
١٩٩١م	٩٤	٢	٣	٩٩	
١٩٩٢م	١١٢	١	٤	١١٧	
١٩٩٣م	١٥٧	٢	٥	١٦٤	
١٩٩٤.١	٩٧	٠	٠	٩٧	
٩٤/٥	١٠	٠	٠	١٠	
٩٤/٦	٤	٠	٠	٤	
المجموع	١٢٢٥	٩٤	٧٣	١٣٩٢	
١٩٨٠	—	—	—	١٨٠	المرضى
القتل/وفيات لا تزال قيد التحقيق	١٨٠	١٨٠	١٨٠	١٨٠	المرضى
ج. ذكور ١٦ عاماً	٨	٢	٨	١٨	
ب. إناث ١٦ عاماً	٨٣	١٢	٢٨٢	٣٩٧	
أ. أطفال ١٦ عاماً	٣٨	٧	١١٧	١٦٢	
امعان وجيش الضحايا:	٣٠	٢	٦٧	٩٩	
٤٦	٢٧	٢	٨٨	١١٧	
٤٠	٢	٢	٨٨	١١٧	
٣٦٢	٤٦	٢٧	٣٠	٩٩	
١٩٢	٥٨	٥٤	١٩	١٦٢	
١٣٠٧٨٧	٥٧٨	٤٥١٦	١٨٠٨٢	٢٢٣٥٠	

السنة الانتهاك	١٩٨٧م	١٩٨٨م	١٩٨٩م	١٩٩٠م	١٩٩١م	١٩٩٢م	١٩٩٣م	٩٤/٤.١	٩٤/٥	٩٤/٦	المجموع
عمليات إبعاد	٨	٣٢	٢٦	—	٧	٥١٣	—	—	—	—	٦٧٣
اعتقال إداري	١٥٧	٥٠٠٠	٣٥٠٠	٤١٠٠	٢٣٦٣	١٧٥٠	١٢٠١	٦٠	—	—	١١٨١
إشجار قهقمت	١٨٠٠٠	٢٥٠٠٠	٥٢٦٩٨	١٠٠٠٠	٣٤٠٠٠	١٩٨٦٨	١٠٨٠٠	٨٠٨٢	٦٠	—	٦٧٣٥٧١
مصادرة أراضيه	لا معلومات	١٠٠٠٠	٧٥٠٠٠	٢٢٧٣٣٥	٨٠٥٩٤	١٤٦٦٩	١١٤٦٦٢	٢٠	٥٥٠	—	٣١٧٨٥٣
هدم البيوت، ١. العسكري،	١	١١٢	١٦٣	١٤٢	٥٥	١٢	٣	—	١	—	٥١٠
بحجة عمليات عسكرية	—	—	—	—	—	—	١٠١	٢	—	—	١٠٧
إغلاق بيوت ٢. الإداري،	—	٢٤	١٠٦	١٢٦	٦٧	٢٥	٢٤	—	—	—	٨٧٨
بحجة عدم الترخيص	—	٤٢٣	٧٤٧	١٠٢	٨٢٧	١٦٠	١١١	—	٣	٧	٨٠٣١

• أهداف الانتفاضة:

- حمل قوات الاحتلال على الانسحاب من المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ م.
- إطلاق سراح المعتقلين ورفض الاستيطان وسياسة الإبعاد والاعتقال الإداري .
- وقف الممارسات القمعية ضد السكان المدنيين والمعتقلين .
- إلغاء سياسة منع السفر والمضايقات .
- التوقف عن نشر الرذيلة والفساد .
- التوقف عن حل المجالس المحلية والبلدية والفردية .

• وسائل الانتفاضة:

- الحجارة - المقاليع - الزجاجات الحارقة - الإطارات المتعملة - العصي - المسامير - السكاكين - القضبان الحديدية . . . إلخ .

• النتائج:

- أجبرت الإسرائيليين على الاعتراف بحقائق معينة عن المناطق المحتلة .
- أشارت إلى أن الفلسطينيين غير راغبين في العيش تحت الاحتلال المستمر .
- تعريف الإسرائيليين بأن الاحتلال يتلف - غالباً - وأن الزعماء الذين يصرّحون بغير ذلك؛ إما جهلة، أو كاذبون .

• مراحل الانتفاضة:

- * المرحلة الأولى: المواجهة الجماهيرية الشاملة: (الإضرابات العامة - خرق منع التجول - التظاهرات . . . إلخ) .

مميزات هذه المرحلة:

- التدابير الهادفة لإلحاق الخسائر الاقتصادية للاحتلال (مقاطعة السلع الإسرائيلية - عدم دفع الضرائب - مقاطعة جهاز الحكم الإسرائيلي) .
- * المرحلة الثانية: المواجهة الجماهيرية مع تنامي التكتيكات الموازية من جانب

الكوادر التنظيمية .

مميزات هذه المرحلة:

- ركزت على الاعتماد على الذات .
- بناء المؤسسات الوطنية .
- مقاطعة الإدارة المدنية .
- استقالة الموظفين الفلسطينيين في دوائر الاحتلال .
- * المرحلة الثالثة: تراجع الأنشطة الجماهيرية وتنامي العمليات المسلحة .
- بسبب انعقاد مؤتمر مدريد .
- موافقة منظمة التحرير ودول المواجهة لمؤتمر السلام .
- الأسباب التي أدت إلى عزوف الجماهير عن المشاركة في فعاليات الانتفاضة من أول عام ١٩٩١م:
- التباين في رؤى القوى الفلسطينية للانتفاضة . وقد ساهم هذا التباين في عملية تآكل داخلي ساهمت فيها ممارسات سلبية لبعض الفصائل ضد الأخرى .
- الممارسات الصهيونية الوحشية في قمع الانتفاضة ، وبخاصة حملات الاعتقال الواسعة في صفوف قياديي الانتفاضة وخاصة «حماس» .
- محاولات الاختراق ، وإثارة الفتن في صفوف الشعب الفلسطيني ، ومن أبرزها: العمل على إثارة النزعات التنظيمية بين القوى - حرمان قيادة الانتفاضة من أدواتها الرئيسية - استخدام العملاء في صفوف بعض المنظمات ليفتعلوا الصراع بين الناشطين .
- قيام بعض السياسيين بعمل خلخلة داخلية للانتفاضة تحت غطاء النقد الذاتي .
- الظرف السياسي الذي أحاط بالأمة إبان أزمة الخليج عام ١٩٩٥م ، وما تلقته الانتفاضة من ضربات بسبب وقوف قيادة منظمة التحرير مع العراق .
- بدء العملية السلمية بمؤتمر مدريد سنة ١٩٩١م واحتدام الصراع بين برنامجي التسوية والمقاومة ، والذي توج باتفاق أوسلو في ١٣ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٩٣م والذي دفع المنظمة إلى الدفاع عن موقفها الجديد والتزامها مع الجانب

الإسرائيلي في العمل على وقف الانتفاضة أو أي أعمال أخرى معادية لقوات الاحتلال. وتولّى الأمن الفلسطيني مسؤوليات أمنية مباشرة مع قوات الاحتلال.

ويمكن القول: إنّ اتفاق «أوسلو» بين منظمة التحرير وإسرائيل، قد أعلن نهاية الانتفاضة الشعبية، وأصبحت مواجهة قوات الاحتلال مقتصرة على العمل المسلح من قبل الأطراف المعارضة.

• مزايا الانتفاضة:

- ١ - شعبية المشاركة، فلم تكن الانتفاضة عملاً نضالياً يقوم به فصيل دون آخر، بل كان عبؤها الأكبر يقع على كاهل الشعب بكل فئاته وتوجهاته.
- ٢ - وجود قيادة ميدانية تتحرك في صفوف الشعب، مما أكسب هذه القيادة على المدى الزمني خبرة ومران على المواجهة.
- ٣ - ارتباط الانتفاضة بالقرار الشعبي الفلسطيني، وليس بقرار خارجي، وفي هذا دليل على الاستمرار ورفض الاستسلام.
- ٤ - تبديد الاعتقاد الفلسطيني بشأن إمكانية استمرار الوضع الراهن للاحتلال العسكري.
- ٥ - ازدياد تعاطف الرأي العام العالمي مع الشعب الفلسطيني، وضرورة الاعتراف بتطلعاته.
- ٦ - كشفت الانتفاضة زيف الادّعاء الديمقراطي لإسرائيل، وإظهار حقيقتها العنصرية الاستيطانية.
- ٧ - بلورة الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني، وإظهار انتمائه الحضاري للأمة الإسلامية.
- ٨ - وجّهت الانتفاضة ضربة قاصمة لعملاء إسرائيل والمتعاونين مع مخابراتها.
- ٩ - صنعت الانتفاضة جيلاً جديداً يمتاز بالشجاعة والثقة بالنفس وحبّ التكافل والتعاون.

١٠ - ضرب المثل الحي للجهاد، وجمع الفصائل الفلسطينية المختلفة عليه بدل الشقاق والاختلاف الكلامي .

ويمكن أن يُقال: إن التغيير الذي أحدثته الانتفاضة، كان شاملاً للوضع السياسي وبرنامج المقاومة والوضع الاجتماعي، والواقع القومي الإسلامي للأمة، وإنَّها أعادت الشعب الفلسطيني إلى الخارطة السياسية من جديد وأحيت نفس المقاومة الذي كان سائداً في عقد الستينيات من القرن العشرين .

• نهاية الانتفاضة:

لقد جاءت نهاية الانتفاضة الكبرى، لتؤكد رفض الشعب الفلسطيني للذوبان في دولة الكيان الإسرائيلي، وأن الجيل الذي نشأ في ظل الاحتلال ما يزال -رغم كل محاولات التذويب- يرفض هذا الاحتلال .

ويمكن القول كذلك: إن الانتفاضة بدأت في غياب منظمة التحرير الفلسطينية سياسياً وعسكرياً بعد ضربة عام ١٩٨٢م، وبعد مؤتمرات القمة التي أهملت القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير، وانتهت هذه الانتفاضة بقيام سلطة الحكم الذاتي على ٦٠٪ من قطاع غزة وبعض الأراضي الفلسطينية من خلال اتفاق «أوسلو» .

ولكن:

هل كان الحكم الذاتي مفيداً للفلسطينيين؟

وهل كان بديلاً ناجحاً للانتفاضة؟

أم كان بداية حقبة من القهر والتنازلات والخسارة للقضية الفلسطينية؟

هذا ما تكشف عنه الأيام، وما زالت تتوالى الحقائق، واحدة بعد أخرى .

المبحث الثالث

قضية القدس ومستقبلها

دخلت القدس في الحكم الإسلامي الفعلي سنة ١٦هـ/ ٦٣٦م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما تسلم مفاتيحها من البطريرك (صفر ونيوس)، وأعطى لأهلها الأمان (العهد العمرية)، التي نصت على منع اليهود من الإقامة في القدس . وفي عام (١٩٠٩م) وقعت القدس في قبضة الصليبيين، واستطاع الناصر «صلاح الدين» أن يحررها عام ١١٨٧م، ثم قامت صراعات محلية في بلاد الشام بعد حملات التتار والمغول أدت إلى تخريب القدس عام (١٢٦٥م)، ولكن المماليك تمكنوا من الحفاظ على القدس عربية إسلامية حتى مطلع القرن السادس الميلادي، وخاصة المحافظة على الأماكن المقدسة ببناء القلاع في ساحة المسجد والمدارس وشبكات المياه . . . إلخ؛ الأمر الذي أدّى إلى زيادة عدد السكان العرب المسلمين .

استمرّ الحكم الإسلامي لفلسطين والقدس حتى انهيار الدولة العثمانية، وتولت بريطانيا الانتداب والوصايا عليها عام ١٩١٦م بعد توقيع اتفاقية «سايكس بيكو» لاقتسام العالم الإسلامي بين بريطانيا وفرنسا . وبدأ المشروع الصهيوني في التبلور خلال فترة الانتداب، واحتلت معظم أراضي فلسطين والقسم الغربي من مدينة القدس عام ١٩٤٨م، ثم احتلالها بالكامل عام ١٩٦٧م .

• الهدف من سريان حملات الاستيطان والتهويد في فلسطين وخاصة القدس مع

بداية الانتداب البريطاني؛

• إضفاء الطابع اليهودي على المدينة المقدسة؛ تمهيداً لإعلانها عاصمة موحدة للدولة المغتصبة .

• إنكار أي مطالب عربية وإسلامية في المستقبل، حول أحقية الأمة العربية بالقدس .

والجدول التالي يبين لنا حقيقة الدور الكبير الذي لعبه الصهاينة لتغيير ملامح المدينة ، ولإثبات شرعية ادّعائهم من جميع النواحي .

التغيير العام في السكان

والملكية في القدس بين العرب واليهود

السنة	نسبة الأراضي التي يملكها العرب	نسبة الأراضي التي يملكها اليهود	نسبة سكان العرب	نسبة سكان اليهود	الجموع الكلي للسكان
١٩١٧م	أكثر من ٩٠٪	٤٪	٧٥٪	٢٥٪	٤٠ ألف
١٩٩٤م	١٠٪، ٤٪ يحاول العرب المحافظة عليها	٨٦٪ لهم والمرافق العامة	٢٦٪	٧٤٪	٥٨٧ ألف

• استراتيجية الاستيلاء اليهودي على القدس:

«خطوات التهويد»

• أخذت عملية تهويد القدس أشكالا عدة يعود الفضل في تنفيذها إلى التنسيق المبرمج بين اليهودية العالمية والدول الاستعمارية . فكان من أبرز مشاريع التهويد: «مشروع موشى مونتفوري» الضابط في قصر ملكة إنجلترا ورجل الأعمال المصاهر للعائلة اليهودية العريقة الذي استطاع التأثير على كل من بريطانيا وفرنسا للضغط على الدولة العثمانية من أجل استصدار فرمانات تسمح بإقامة مؤسسات يهودية في فلسطين والقدس .

الدور الذي قام به مونتفوري:

- ١ - تنظيم رحلات عملية إلى فلسطين لإقامة الأحياء اليهودية عام ١٨٢٧ م .
- ٢ - عقد اتفاق مع الطوائف اليهودية في إنجلترا وإيطاليا ورومانيا والمغرب وروسيا لإقامة مشروعه .

- ٣ - قام بإجراء عملية إحصاء لليهود في قلب القدس عام ١٨٣٩ م وفي سائر أنحاء فلسطين ؛ لكي تكون مدينة بيت المقدس نقطة الانطلاق .
- ٤ - قام ببناء ٢٧ متعمرة يهودية في الفترة من ١٨٤٣ - ١٨٩٧ م .
- ٥ - أخذ قطعة أرض من السلطان العثماني ؛ بحجة بناء مستشفى ، وأقام عليها أول متعمرة يهودية ١٨٥٩ م .
- ٦ - قام ببناء مساكن شعبية لليهود .
- ٧ - في القرن التاسع عشر ، أقيمت أحياء أخرى على امتداد الطرق المؤدية إلى بوابات المدينة .
- ٨ - قامت الصهيونية بالتحايل على القانون بشراء الأراضي التي بنيت عليها الأحياء السكنية بمساعدة القنصل البريطاني في القدس .
- ٩ - عام ١٩١٧ م أنجز المخطط الصهيوني مرحلة مهمة في محاصرة مدينة القدس .
- ١٠ - قدم «هرتزل» إلى فلسطين في الفترة الممتدة ما بين ١٠ / ١٦ ، ٤ / ١١ / ١٩٠٣ م ليجد فكرة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، فقام بتقديم مذكرة تفصيلية لامبراطور ألمانيا حول الصهيونية وأهدافها التي تنوي تحقيقها على أرض فلسطين ، وقد خطط الاستيطان اليهودي في القدس ؛ ليكون ركيزة ينطلق منها المستوطنون إلى سائر أنحاء فلسطين .
- هكذا ، وقد حدث تبدل ملحوظ في وضع مدينة القدس ، إثر قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين العربية عام ١٩٤٨ م ، وقد حدث هذا التطور على مرحلتين مهمتين من مراحل تطور الصراع العربي الإسرائيلي .

• المرحلة الأولى: من مايو عام ١٩٤٨م، وحتى نشوب حرب يونيو عام ١٩٦٧م؛

فقد قُسمَت المدينة المقدسة خلال هذه الرحلة إلى قسمين يخضع كل واحد منهما لإدارة قانونية وسياسية غير التي يخضع لها القسم الآخر ، وكانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ المدينة التي يتم فيها تقسيم المدينة إلى قسمين ؛ إذ ظلت القدس طوال التاريخ غير مقسمة .

ملخص تاريخ القدس (١)

٦٣٦م: فتح الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس، وطرد الرومان من فلسطين، ودخل أهل البلاد في الإسلام، وظلّت القدس تحت الحكم الإسلامي حتى عام ١٠٩٩م عندما احتلها الصليبيون.

٦٩١م: بنى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قبة الصخرة المشرفة.

٦٩٢م: بدأ الخليفة عبد الملك بن مروان ببناء المسجد الأقصى، ومن ثم أتم بناؤه الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥م.

١٠٩٩/٧/١٥م: احتل الصليبيون القدس، وقتلوا سبعين ألفاً من المسلمين في المسجد الأقصى.

١١٨٧/١٠/٢م: حرّر صلاح الدين الأيوبي القدس بعد انتصاره على الصليبيين في معركة حطين.

١٥١٧م: أصبحت فلسطين من أملاك الامبراطورية العثمانية الإسلامية.

١٩١٧/١٢/١١م: احتل الجنرال البريطاني أدموند اللبني القدس بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى.

١٩٢٤م: أصبحت القدس تحت الحكم البريطاني بعد أن ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة، حيث لم تعد بذلك القدس من أملاك الدولة التركية.

١٩٤٨/٢/١٤م: أصدر رئيس الوزراء الصهيوني آنذاك «ديفيد بن غوريون» أوامره لعصابته الهجانة في القدس باحتلال المدينة وضواحيها.

١٩٤٨/٤/٣٠م: احتل اليهود الجزء الغربي من القدس، مثل: البقعة التحتا والعليا والقطمون والمتعمرة الألمانية واليونانية، وذلك قبل ١٥ يوماً من انتهاء الانتداب.

١٩٤٩/١٢/٥م: قرر رئيس الوزراء الصهيوني بن غوريون اتخاذ القدس عاصمة

(١) أعد هذا الملف: د. إبراهيم أبو عرقوب، أستاذ علم الاجتماع في الجامعة الأردنية.

للدولة اليهودية وانتقل إليها .

١٩٥٠/١/٢٣م: أعلنت «إسرائيل» القدس الغربية عاصمة لها .

١٩٦٧/٦/٧م: احتلت قوات الغزو الإسرائيلية مدينة القدس ، ووقع المسجد الأقصى وقبة الصخرة في الأسر الصهيوني .

١٩٦٧/٦/٢٧م: اتخذت السلطات الإسرائيلية قرار توحيد القدس الغربية والشرقية .

١٩٦٧/٦/٢٩م: صدر أمر عسكري إسرائيلي بحل مجلس بلدية القدس ، ونقل جميع أملاكها المنقولة وغير المنقولة ، ووضعها تحت تصرف بلدية الاحتلال الإسرائيلية .

١٩٦٧/٦/٣٠م: ألغت السلطات العسكرية الإسرائيلية القوانين والأنظمة الإدارية الأردنية واستبدلتها بقوانين عسكرية ، وذلك بعد تسعة عشر يوماً من حرب ٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٧م .

شهر ١٩٦٧/٧م: أعلنت «إسرائيل» بأن القدس عاصمة إسرائيل الموحدة .

١٩٦٩/٨/١م: قام السائح الاسترالي اليهودي «مايكل روهان» -بتحريض من أطراف يهودية متطرفة في الحكومة، وفي المنظمات الإرهابية الصهيونية - بإحراق المسجد الأقصى .

١٩٧٦/١/٢٩م: أصدرت مجموعة الصلح الإسرائيلية في القدس قراراً استفزازياً يقضي بحق اليهود في أداء طقوسهم الدينية في ساحة المسجد الأقصى .

١٩٨٠/٧/٣٠م: إعلان ضم القدس سياسياً للدولة الصهيونية وإعلانها عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل .

١٩٨١/٨/٢٨م: قام موظفو الشؤون الدينية الإسرائيلية بحفر نفق شمال حائط البراق وتحت المسجد الأقصى .

١٩٨٢/٧/٢٥م: اكتشف مخطط أعدّه «ياؤول ليرنر» أحد أتباع الحاخام «مائير كاهانا» قائد «حركة كاخ» لتدمير قبة الصخرة المشرفة .

١٠/٣/١٩٨٣م: حاولت كتلة غوش أمونيم اليهودية الإرهابية السيطرة على الأقصى بالقنابل والرشاشات .

٨/١٠/١٩٩٠م: قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي بارتكاب مجرزة بحق المصلين في المسجد الأقصى ، وذلك إثر قيامها بإطلاق النار عليهم في ساحات الأقصى بعد أداء الصلاة ، حيث قتلت أكثر من عشرين شخصاً وجرحت ما يقارب ١٥٠ آخرين .

٢٤/٩/١٩٩٦م: قامت سلطات الاحتلال بافتتاح النفق الثالث تحت منطقة الحرم القدسي ، عشية عيد الغفران اليهودي ، ويمتد هذا النفق حوال ٤٠٠ م تحت المجمع العربي الإسلامي ومجاوراً لأساسات المسجد الأقصى .

١/٦/٢٠٠٠م: يفاوض اليهود الفلسطينيين لإعطائهم قرية أبو رديس بدلاً عن القدس .

١/٧/٢٠٠٠م: مازالت قضية القدس تراوح مكانها ، وأغلب الظن أنها لن تحسم إلا بإحدى طريقتين ؛ إما خيانة عربية عرفاتية ، أو حرب ، أو مقاومة تجبر إسرائيل على التسليم للحق الإسلامي في القدس .

• المرحلة الثانية: وتطور بعدها وضع القدس:

ففي عام ١٩٦٧م وحتى وقتنا الحاضر: خضعت المدينة جميعها لسيطرة اليهود ، فمنذ الأيام الأولى لحرب عام ١٩٦٧م ، قامت إسرائيل بدمج قسيمي المدينة وإخضاعها لإدارتها ، كما شرعت إسرائيل في تغيير طابع المدينة .

• منظمة المؤتمر الإسلامي ووضع القدس:

فبعد واقعة الاعتداء على المسجد الأقصى المبارك من جانب عدد من المتطرفين اليهود ، فكرت الدول الإسلامية في إنشاء كيان إسلامي يحفظ المقدسات الإسلامية وحرمة العالم الإسلامي ، ويدافع عن قضاياها . واعتبر أن العمل الجماعي الممثل في منظمة المؤتمر الإسلامي ، من مهامه الأساسية: المحافظة على حرمة الأماكن المقدسة في فلسطين وسلامتها ، وأحد الأهداف الأساسية التي أنشئت المنظمة من أجل

تحقيقها، وباشرت المنظمة عملها في ذلك .

فعلى سبيل المثال : تضمّن البيان الختامي لمؤتمر القمة الإسلامي الأول الذي انعقد في الرباط ٩-١٢ رجب عام ١٣٨٩هـ / ٢٢-٢٥ سبتمبر عام ١٩٦٩م فقرة مهمة جاء فيها : «إن حكومات الدول الإسلامية وشعوبها، قد عقدت العزم على رفض أي حل للقضية الفلسطينية لا يكفل لمدينة القدس وضعها السابق لأحداث يونيو عام ١٩٦٧م» .

وفي مؤتمر القمة الثاني، الذي انعقد في لاهور بباكستان خلال الفترة من ٣٠ محرم إلى ٢ صفر سنة ١٣٩٤هـ / ٢٢-٢٤ من فبراير سنة ١٩٧٤م، جاء في بيانه نصاً صريحاً يقول : «إنّ القدس رمز فريد من نوعه لالتقاء الإسلام الأديان السماوية المقدسة، وعلى ذلك فإنّ البلدان الإسلامية لا تقبل باستمرار الاحتلال الإسرائيلي للقدس» .

وفي مؤتمر القمة الإسلامية الثالث، أكد على ذلك والتزم بتحرير القدس، وتتابع التأكيد على ذلك، بدون تحرك فاعل إلى الآن، ومن يدري لعل الغد يأتي بالخير العميم .

• القدس في المفاوضات النهائية بين عرفات والإسرائيليين:

من الواضح أن السياسات الإسرائيلية تجاه القدس، باتت في اتجاه إيجاد أو خلق واقع إداري ديموجرافي يصعب تغييره أو تعديله، ولا يمكن التعامل معه في إطار مفاوضات الحل النهائي التي بدأت خلال نوفمبر عام ١٩٩٩م، حيث كانت هذه السياسات تهدف في النهاية إلى تغيير البنية الأساسية للقدس من حيث التوازن السكاني، وذلك بطريقة الأمر الواقع على الأرض . فبعد احتلال القدس في عام ١٩٦٧م، وضعت إسرائيل قانوناً جديداً للعودة يعطي الفلسطينيين في القدس بموجب حق الإقامة المؤقتة، وذلك وفقاً لقانون الإقامة الذي وضعته وزارة الداخلية .

تركز اهتمام اليهود في توسيع النطاق الجغرافي لبلدية القدس، الأمر الذي يمكن إسرائيل من تحديد الواقع الذي تدور حوله المفاوضات، وحتى يمكن إيجاد بدائل قد

تكون مقبولة على المستوى الدولي . ويشمل ذلك تأسيس كيان جديد يسمّى قدس ، من قرى العزيزية وسلوان ، وأبو رديس بينما تسمى القدس «أورشليم» ، وهذا الكيان الجديد مع القدس الأولى يسمّى القدس الكبرى ، ويأخذ الفلسطينيون هذه القرى وتكون بديلة عن القدس الأصلية ، ويتلها بها .

• آراء الإسرائيليين حول القدس :

أعلن «رايين» بعد توقيع اتفاق أوسلو ، أنّه مُصّرّ على إخراج القدس من التسوية الجزئية أو الشاملة في الاتفاقات .

ويطرح وزير الخارجية الإسرائيلية في ٦ / ٢ / ٢٠٠٠م بأن : «من يتوقعون أن نسحب إلى حدود ١٩٦٧م ونقبل بتقسيم القدس ، واهمون» .

ويقول نتن ياهو : «لن يرفرف العلم الفلسطيني أبداً على القدس ، وأعتقد أنّ هذه هي وصفة السلامة» .

ويقول إيهود أولمرت رئيس بلدية القدس يوم ٢٤ / ٣ / ١٩٩٩م : «إنّ مجلس الوزراء الإسرائيلي لا يوافق على التخلي عن القدس ، ويعتبر اجتماعه في مدينة القدس تعزيزاً لذلك .

في ظل هذا الوضع ، وفي هذه الرؤية الإسرائيلية ، بدأت مفاوضات الوضع النهائي ، ومن ثم فإنّ توقّع شيء بالنسبة للقدس ، لا بد وأن يرتبط بالصورة الأساسية التي تكونت على أرض الواقع في القدس ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، سيتأثر وضع القدس بالمجري العام لتطورات المفاوضات على المسار الفلسطيني الإسرائيلي .

فمنذ أن بدأت مفاوضات الوضع النهائي في ١٣ / ١١ / ١٩٩٩م يلاحظ أن المحادثات لازالت في مراحلها التأشيرية الأولى ، هذا ويمكن وضع بعض الملاحظات عليها ، منها :

١ - إنّ هذه المفاوضات بدأت بصورة قسرية ، حيث بدأت دون أن يتم تنفيذ ما اتفق عليه في المراحل السابقة ، وهذا ما يشكك في إمكانية تعديل التحيز لصالح

إسرائيل أثناء سير المفاوضات ، كما أنها بدأت في ظل عدم وجود شروط موضوعية تحكم المناخ السياسي الذي تجري في ظله وتمنع من الإخلال بشروطها كما حدث في السابق .

٢ - إنَّ هذه المرحلة من المفاوضات ، وإن كانت تتضمن الملفات الأساسية : القدس ، اللاجئين ، الحدود ، والدولة الفلسطينية ، إلَّا أنَّه يتضح أن سير المفاوضات حتى الآن بات قاصراً على مناقشة ملف اللاجئين . وهذا ما يعني أن المفاوضات يمكن أن تجري بصورة جزئية ، فإنَّ المفاوضات الإسرائيليين يطرحون إمكانية تأجيل التفاوض بشأن القدس كما يراه الإسرائيليون ، حيث تجمع القرى العربية في «أبو رديس» .

٣ - إنَّ القدس غير قابلة للتفاوض ، ووفقاً لما صدر في صحيفة «هاآرتس» في ١١ / ١٩٩٩ م عن رؤية «باراك» لإطار التسوية النهائية ، فإنَّ القدس ستبقى موحدة لكن حدودها ستوسع لتشمل أحياء عربية ، مع اعتراف الفلسطينيين بالقدس الغربية عاصمة لإسرائيل .

وفي ظل هذا الوضع يمكن القول:

إنَّ إسرائيل وضعت شروطها للانتقال لمفاوضات الوضع النهائي ، فإنَّها حددت من ناحية الجدول الزمني لموضوعات التفاوض ، ومن ناحية أخرى حددت مضمون وواقع هذه الموضوعات .

وبالتالي يمكن القول:

إنَّ التوصل إلى حل مسألة القدس ، قد لا يخرج عن إطار الرؤية الإسرائيلية ؛ نظراً لأنَّ الواقع أصبح معقداً بصورة يصعب معها إعادة التوازن بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، وهذا ما ظهرت آثاره مبكراً في مفاوضات اللاجئين حيث الحديث عن التوطين كثير . ولكنه إذا اتَّحدَ العرب وتوحدت رؤية الأقطار الإسلامية ، يمكن أن يتغير الوضع إلى الأفضل ، إن شاء الله .

الفصل الثاني

مشاريع التسوية السلمية الانهزامية للصراع العربي الإسرائيلي

طرحَت مشاريع عدة للسلام؛ لمحاولة تسوية النزاع العربي الإسرائيلي، إلا أن تلك المشاريع لم تنجح في جميع أطراف الصراع على حل للقضية، وكانت بعض القوى العربية تتحدث عن مفاوضات غير مباشرة وسرية بين العرب وإسرائيل، ولم تعلم الأمة بذلك إلى أن أثمرت بعد ذلك بقاء مصر وإسرائيل في اتفاقية كامب ديفيد.

ففي عام ١٩٧٨م، وقّع رئيس مصر أنور السادات اتفاقية «كامب ديفيد».

• مشاريع السلام قبل يونيو (حزيران) ١٩٦٧م:

- ١ - المشروع النرويجي: تقدّم مندوب النرويج بمشروع قرار إلى الأمم المتحدة في ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٢م من أجل إيجاد تسوية بين العرب وإسرائيل.
- ٢ - مشروع جامعة الأمريكي: طرح الأمريكيون مشروعاً عُرفَ باسم «مشروع جامعة الأمريكي»، في سبتمبر (أيلول) ١٩٥٥م، على أن يقوم الرئيس الأمريكي روزفلت ومايلز كوبلانت بسلسلة من المحادثات مع جمال عبد الناصر للوساطة بينه وبين بن غوريون لحل القضية، إلا أن المشروع رُفِضَ من قِبَل بن غوريون؛ لعدم استعداده لتقديم تنازلات للعرب.
- ٣ - مشروع تونس في ١٩٦٥م: أعلن الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية مشروع تسوية النزاع العربي الإسرائيلي على أساس قرار التقسيم، وعودة اللاجئين الفلسطينيين وإقامة دولة فلسطينية، وإنهاء الحروب بين العرب وإسرائيل.
- ٤ - مشروع آلون في ١٩٦٧م: طرح وزير الخارجية الإسرائيلي إيجال آلون مشروع سلام في يوليو (تموز) ١٩٦٧م، دعا فيه إلى ضمّ مساحات شاسعة من الضفة

الغربية إلى إسرائيل، وأن يكون نهر الأردن هو خط الحدود بين الأردن وإسرائيل، وقد فشل المشروع.

ثم جاء بعده مشاريع أخرى، لم يُكْتَبَ لها النجاح، مثل:

مشروع روجرز ١٩٧٠م، مشروع الملك حسين ١٩٧٣م، مشروع ك تر ١٩٧٧م، مبادرة السلام الفلسطينية ١٩٨٨م، مشروع شامير للحكم الذاتي ١٩٨٩م، مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط عام ١٩٩١م.

• مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط ١٩٩١م:

كان مؤتمر مدريد للسلام، الذي عُقِدَ عام ١٩٩١م، هو آخر الصيغ التي طُرِحَتْ لحل الصراع، وذلك بمبادرة الرئيس الأمريكي جورج بوش في ٦ مارس ١٩٩١م في خطاب له أمام الكونجرس دعا فيه إلى عقد مؤتمر لأطراف النزاع، وقد استجابت الأطراف جميعها لأول مرة ١ - ٢ / ١١ / عام ١٩٩١م، وقد انبثق عن المؤتمر مساران للتفاوض: أحدهما: ثنائي، والآخر: متعدد الأطراف؛ حيث جرت في هذا المؤتمر مفاوضات مباشرة بين كل الأطراف العربية المعنية بالصراع مع إسرائيل.

وقد اعتُبر هذا المؤتمر نقطة انطلاق العملية السلمية لحل الصراع العربي-الإسرائيلي، المنذع منذ أوائل هذا القرن في الشرق الأوسط، وعقد المؤتمر بحضور دول المواجهة العربية إضافة إلى منظمة التحرير الفلسطينية ودول الاتحاد المغاربي ودول مجلس التعاون الخليجي والسوق الأوروبية وبرعاية أمريكية-سوفياتية مشتركة، على مستوى القمة «جورج بوش، وميخائيل جورباتشوف».

وقد هدف المشروع-أساساً- إلى كسر حالة الجمود التي تعترى الاتصالات السياسية في المنطقة بخصوص الصراع إلى كسر «الحاجز النفسي» كما عبّر عن ذلك أحدهم، أو بمعنى أدق: إكمال إزالة الحاجز النفسي الذي بدأه الرئيس المصري الراحل أنور السادات في مبادرته الخاصة بزيارة القدس عام ١٩٧٧م، الأمر الذي يعمل على كسر حدة الصراع وتفاعل عوامله الساخنة باتجاه عدم الاستقرار السياسي

والأمني خصوصاً للجانب الإسرائيلي، كما هدفت إلى تحويل طبيعة الحوار الدولي حول حل الصراع من القضايا الجوهرية التي سببت الصراع إلى القضايا الفرعية سهلة الحل؛ وذلك بهدف استثمارها لتكون مدخلاً لحل القضايا الأكبر، ولإيجاد آلية تفاوض دائم ومستمر بين الجانبين. ومن ثمّ العمل على تأسيس قاعدة السلام بديلاً لقاعدة الحرب في العلاقة بين الجانبين، وإحداث التحول الكلي في المنطقة نحو الشرق الأوسط الجديد الذي تكون إسرائيل لاعباً أساسياً فيه، إن لم تكن اللاعب الأهم.

ومارست الولايات المتحدة ضغوطاً واسعة النطاق على الأطراف العربية فيما مارست أقصى درجات الإغراء والإحراج مع الجانب الإسرائيلي عبر الضمانات المتوالية لأمن إسرائيل وتقبل شروطها المختلفة، وذلك من أجل إنجاح انعقاد المؤتمر وتأمين نصاب أطراف الصراع فيه، وبعد الانعقاد الأول، تحوّل المؤتمر إلى محوري تفاوضي.

وكان الأول في الإطار الثنائي بين إسرائيل وكل دولة عربية على حدة؛ بهدف إنهاء النزاع وتحييد البُعد الدولي من الضغط على إسرائيل خصوصاً فيما يتعلق بقرارات الأمم المتحدة المؤيدة لحقوق الشعب الفلسطيني والعربي.

وكان الثاني على الصعيد المتعدد الأطراف، وبمشاركة دول من خارج المنطقة؛ بهدف بناء الشرق الأوسط الجديد، وتوفير ضمانات أساسية لمصالح الدول الكبرى، وإخراج بعض القضايا من مجال التفاوض الثنائي بوصفها عقبات أمام تقدمها إلى المجال المتعدد. وليعمل على بناء سوق اقتصادي شرق أوسطي، ونظام أمن إقليمي، وهياكل بنوية تعاونية إقليمية مختلفة.

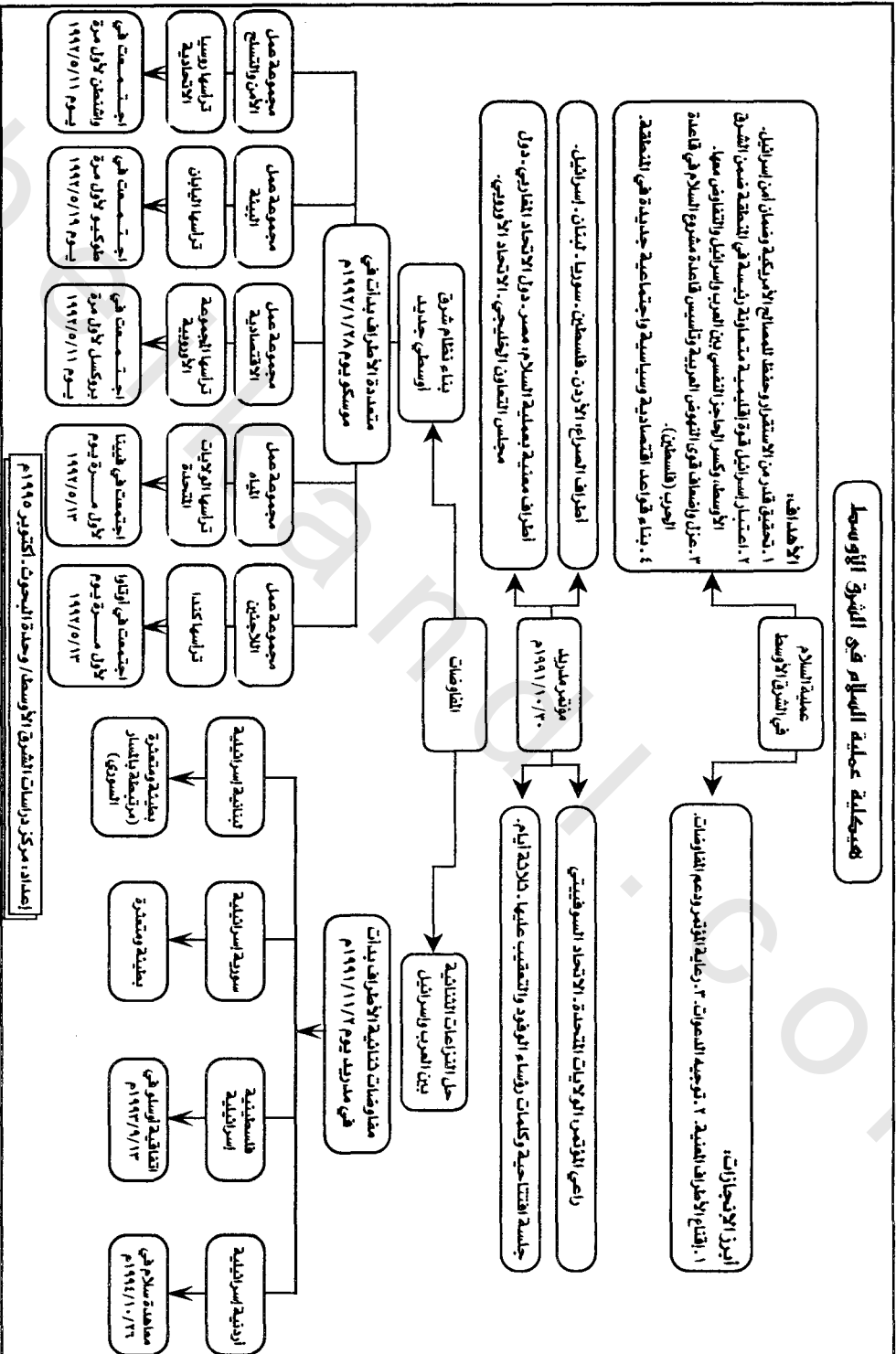
• المفاوضات الثنائية:

تم خلال المفاوضات الثنائية (١١ / ٩١ - ١٠ / ٩٤م) التوصل إلى اتفاقين رئيسيين، بين كل من إسرائيل والفلسطينيين والأردنيين، عُرفا باسم «اتفاق أوسلو» في

١٣/٩/١٩٩٣م بمراحله المختلفة، ومعاهدة «وادي عربة» في ٢٦/١٠/١٩٩٤م بلحقاتها التفصيلية المختلفة أيضاً على التوالي، حيث تناول اتفاق أوسلو: إقامة حكم ذاتي محدود لفترة انتقالية تبلغ خمس سنوات في الضفة والقطاع للفلسطينيين، كما اتفق خلاله على تأجيل بحث قضايا الصراع الأعقد وهي وضع مدينة القدس، والسيطرة على الأرض والمعابر، ومستقبل المستوطنات، وشكل الكيان الفلسطيني الذي سيؤول إليه الحكم الذاتي، كما تجاهل الاتفاق الثنائي أهمية مسألة المرجعية الدولية أو ما يطلق عليه بـ «الشرعية الدولية» وإضعافها؛ إذ استبعد تدخل أي طرف ثالث ذي قوة أو نفوذ في المفاوضات كطرف فاعل ورئيس.

وعلى صعيد معاهدة «وادي عربة» فقد استعاد الأردن معظم أراضيه المحتلة، ونصف حقوقه المائية، ووقع اتفاقية أمنية لمنع الاعتداءات على إسرائيل، كما وعد بدعم اقتصاده وإعطائه دوراً مهماً في الترتيبات الإقليمية للمنطقة في حقبة السلام، وفي الحل النهائي لمدينة القدس.

فيما لم تسفر المفاوضات على المسارين السوري واللبناني، عن التوصل إلى اتفاقات، واقتصرت على جدول الأعمال وبعض التفاهات الأولية مع حكومة حزب العمل الإسرائيلية تنكرت لها حكومة اليكود بعد فوزها في انتخابات مايو ١٩٩٦م، خصوصاً ما يتعلق بالدور السوري في لبنان، والانسحاب الإسرائيلي من الجنوب، وطبيعة الانسحابات المطلوبة على جانبي الحدود المشتركة، والانسحاب من هضبة الجولان، والترتيبات الأمنية، ومسألة العلاقات الدبلوماسية والتطبيع.



اتفاق واي بلانتيشن (١٩٩٨/١٠/٢٣ م) دلالاته وأخطاره

بعد مفاوضات تواصلت لمدة ثمانية أيام بين حكومة نتن ياهو والسلطة الفلسطينية في متجّع «نهر واي» بولاية «ميرلاند» في الولايات المتحدة الأمريكية، توصل الطرفان برعاية مباشرة من الإدارة الأمريكية إلى اتفاق بشأن تطبيق بند إعادة انتشار قوات الاحتلال الإسرائيلية في الضفة الغربية المنصوص عليها في الاتفاقيات السابقة، مقابل تعهد السلطة باتخاذ إجراءات أمنية صارمة ومحددة ضد قوى الشعب الفلسطيني، الرافضة للتنازلات، والتي تتبنّى مشروع مقاومة الاحتلال، وفي مقدمتها حركة «حماس»، وقد تم توقيع الاتفاق في البيت الأبيض يوم الجمعة ١٩٩٨/١٠/٢٣ م.

ونظراً لخطورة الاتفاق، وما ينطوي عليه من آثار ونتائج وخيمة على قضية الشعب الفلسطيني وحاضر ومستقبل المنطقة بأسرها، فإننا نضع هذه المذكرة بين أيدي شعبنا وأمتنا؛ قياماً بواجب التوعية والتنبيه، وأملًا في مبادرة كل قادر على أخذ دوره في الدفاع عن قضية فلسطين وشعبها ومقدساتها، والعمل الجاد للحيلولة دون تمديد المشروع الصهيوني على حساب مصالح الأمة في حاضرها ومستقبلها.

• أولاً: الملاحظات الأساسية على نصوص الاتفاق:

١ - تناول الاتفاق خمسة موضوعات، هي: إعادة الانتشار، والأمن، والمسائل الاقتصادية، ومفاوضات التسوية الدائمة، والنشاطات أحادية الجانب. وقد استغرق الاتفاق في وضع تفاصيل المسائل الأمنية، مما جعله شكلاً وحقائقة اتفاقاً أمنياً وليس سياسياً.

٢ - اعتبر اتفاق «واي بلانتيشن» مذكرة التطمينات الأمريكية باتفاق الخليل الذي وقّع في ١٧/١/١٩٩٧ م إلى جانب الاتفاق المرحّل الذي وقع في ٢٨/٥/١٩٩٥ م، مرجعية في تطبيق بنود الاتفاق. وأهم ما جاء من تراجعات في تلك الوثيقة:

الاعتراف للطرف الإسرائيلي بحقه وحده بتحديد مساحة الانتشار وجدولتها زمنياً. وطالما لم يرفق بالاتفاق الجديد أي خرائط، فإن العدو وحده هو الذي يحدد المواقع التي سيتم إعادة الانتشار فيها.

٣- في الوقت الذي تحدث فيه بنود الاتفاق عن مبدأ التبادلية، فإنها خلت من أي تفصيلات أو ضمانات مطلوبة من جانب العدو، واكتفت بالإشارة إلى ما هو وارد في الاتفاقات السابقة، بينما وضعت تفصيلات كثيرة فيما هو مطلوب من جانب السلطة الفلسطينية، بحيث جاء الاتفاق من حيث الشكل والجوهر كقائمة التزامات وتنازلات مطلوبة من السلطة الفلسطينية.

٤- ربط الاتفاق خطوات تنفيذ إعادة الانتشار من قبل جيش الاحتلال بالتزام السلطة الفلسطينية بتطبيق جدول زمني للإجراءات الأمنية لمكافحة قوى الشعب الفلسطيني التي تقاوم الاحتلال أو تدعو لمقاومته. وفيما كانت صياغات البنود المتعلقة بالتزامات السلطة واضحة ومحددة، كانت البنود المتعلقة بالتزامات العدو عامة وغامضة.

ومن أمثلة نصوص وعبارات البنود الأمنية المختلفة المطلوبة من السلطة والواردة في الاتفاق، ما يلي:

- مكافحة المنهجية والفعالة ضد «الإرهاب» والبنية التحتية المساندة له والوسط الذي يدعمه.
- مكافحة يجب أن تكون متواصلة ومستمرة على مدى فترة طويلة، ويحظر أن تكون هناك فترات انقطاع.
- تعاون أمني بين «إسرائيل» والفلسطينيين، وتبادل مستمر للمعلومات والأفكار والنشاطات على أن يكون التعاون «الثنائي» تاماً ومستمراً ومكثفاً وشاملاً.
- لجنة أمريكية فلسطينية تنعقد كل أسبوعين لتدارس الخطوات المتخذة للقضاء على «الإرهاب».
- لجنة أمريكية فلسطينية تنعقد من أجل دراسة تقديم المشبوهين للمحاكمة أو

- معاقبتهم ، ويلتزم الطرف الفلسطيني بذلك .
 - تعاون مهني في التحقيقات وتبادل المعلومات .
 - لجنة ثلاثية إسرائيلية - فلسطينية - أمريكية ، تنعقد مرة كل أسبوعين بالحد الأدنى من أجل تقدير التهديدات الفورية ومعالجة كل العقبات .
 - يقوم الجانب الفلسطيني بإعلام أعضاء اللجنة بشكل كامل بنتائج التحقيقات مع المشبوهين .
 - اعتقال فوري لثلاثين فلسطينياً مطلوبين للعدو ، ومحاكمتهم تحت إشراف (CIA) .
 - حظر الأسلحة غير القانونية لدى الجانب الفلسطيني ، والقيام بجمعها ومنع تهريبها وإدخالها إلى مناطق السلطة .
 - حظر كل أشكال التحريض للعنف والإرهاب ، وسيكون ذلك وفقاً للقانون الإسرائيلي الذي يتعلق بهذه القضية ، وتشكيل لجنة أمريكية - فلسطينية - إسرائيلية للإشراف على ذلك ومتابعة وتبادل المعلومات التي تساعد على منع التحريض .
 - يقدم الفلسطينيون خطة مفصلة للعمل الأمني للولايات المتحدة الأمريكية بعد الأسبوع الأول من تطبيق الاتفاق .
- ٥ - لم يحدد الاتفاق مدلولات بعض المصطلحات ، خاصة الإرهاب ، والعنف ، والهياكل الداعمة ، ومفهوم التحريض . وترك ذلك للجان أمنية مشتركة بين العدو والسلطة ، أو السلطة والمخابرات المركزية (CIA) ، أو لجنة ثلاثية ، مما يعني أن تفسير مدلولاتها سيكون واسعاً جداً؛ لأن الذي سيفرضه هو العدو نفسه ومعه (CIA) .
- ٦ - خلاصة الاتفاق فيما يتعلق بالأرض : هي موافقة حكومة العدو على إعادة الانتشار - المشروطة بتنفيذ السلطة لإجراءات أمنية محددة وصارمة من ١٣ ٪ من مساحة الضفة الغربية عدا القدس ، ١ ٪ منها تضاف لمنطقة (أ) و ١٢ ٪ لمنطقة (ب) سيخصص ٣ ٪ كمحمية طبيعية (الأمن فيها للاحتلال) ، إضافة إلى تحويل

٢, ١٤٪ من منطقة (ب) إلى منطقة (أ).

وإذا طبقت هذه النسب، يكون وضع الضفة الغربية، كما يلي:

• ٢, ١٨٪ منطقة (أ): خاضعة لإشراف السلطة إدارياً وأمنياً.

• ٨, ٢١٪ منطقة (ب): تديرها السلطة والأمن بيد الاحتلال.

• ٦٠٪ منطقة (ج): بيد الاحتلال ١٠٠٪.

٧- إضافة إلى ذلك: ورد في الاتفاق، الموافقة على تشغيل مطار غزة والبدء بمفاوضات حول المرور الآمن من غزة إلى الضفة، ومفاوضات لاحقة حول ميناء غزة، وقد تم تأجيل البت في قضايا الاستيطان وإعادة الانتشار الثالثة وغيرها من قضايا المرحلة الانتقالية من خلال إحالتها إلى لجان تفاوضية.

٨- فرض نتن ياهو على المفاوضين الفلسطينيين في الاتفاق، إلغاء بنود محددة في الميثاق الوطني الفلسطيني، وبطريقة محكمة ومذلة، تبدأ باللجنة التنفيذية للمنطقة، ثم يصادق عليها المجلس المركزي الفلسطيني، ثم اجتماع شامل للمجلس الوطني الفلسطيني والمجلس المركزي والمجلس التشريعي الفلسطيني ووزراء السلطة، وبحضور الرئيس الأمريكي كليتتون، بحيث يشهد على مصادقتهم جميعاً على الإلغاء والتعديل.

٩- لم يتضمن الاتفاق أي نص محدد واضح يقيّد الاستيطان ويقرر نزع سلاح المستوطنين.

١٠- رغم الحديث في الإعلام عن تعهد العدو بالإفراج عن ٧٥٠ معتقلاً على مراحل، من أصل أربعة آلاف فلسطيني معتقل في سجونهم، إلا أن الاتفاق لا يتضمن نصاً واضحاً محدداً يقرر ذلك ويؤكدده، سوى الإحالة على الاتفاقات السابقة.

• ثانياً: تحليل مضمون الاتفاق ودلالاته:

١- كرّس الاتفاق منهجية نتن ياهو في إعادة التفاوض على ما تم الاتفاق عليه سابقاً، على قاعدة زادة الالتزامات الفلسطينية، وتقليل الاستحقاقات الإسرائيلية،

حيث تمت موافقته على إعادة الانتشار ١٣ ٪ في شهر أغسطس (آب) الماضي ،
ثم أخذ مقابل ذلك في «واي بلانتيشن» تنازلات فلسطينية كثيرة .
٢ - قدمت السلطة الفلسطينية تنازلات جديدة ، أهمها ما يلي :

أ - التجاوب مع منهجية نتن ياهو وقبول إعادة التفاوض على ما تم الاتفاق عليه .

ب - قبول نسبة ١٣ ٪ ولكن على قاعدة (١٠ + ٣) التي وضعها نتن ياهو ، على الرغم من مطالبتها قبل ذلك بنسبة ٤٠ ٪ طبقاً للاتفاق المرحلي ، ثم بنسبة ١٣ ٪ طبقاً للمبادرة الأمريكية .

ج - عدم تحديد يوم ٤ / ٥ / ١٩٩٩ كسقف محدد لنهاية مفاوضات التسوية الدائمة ، الأمر الذي يفقد السلطة ورقة إعلان الدولة المستقلة قبل ذلك التاريخ . أمّا الإشارة الواردة في الاتفاق حول هذا التاريخ ، فهي عامة وغير قاطعة أو ملزمة .

د - التراجع عن الحل الشامل للمرحلة الانتقالية والقبول بحل جزئي .
هـ - القبول بشراكة ومراقبة جهاز الاستخبارات الأمريكية المركزية (CIA) في التخطيط والتنفيذ والرقابة على تنفيذ الإجراءات الأمنية المطلوبة ضد الشعب الفلسطيني والقوى المقاومة للاحتلال ، الأمر الذي يجعل السلطة غير قادرة على التملص والمناورة من جهة ، وغير قادرة على إعلان الدولة المستقلة من جهة أخرى .

٣ - لم يتم التوقيع على الاتفاق إلاً بجهد مركز من الإدارة الأمريكية بكاملها ، خاصة الرئيس كليتون ، ولا يتم تنفيذه إلاً بإشراف الإدارة الأمريكية من خلال (CIA) ، الأمر الذي يجعل تنفيذ بنود الاتفاق تحسم لصالح فهم العدو بسبب علاقة التحالف الاستراتيجي التي تربط بينه وبين الطرف الأمريكي .

٤ - أعطى الاتفاق مساحة واسعة لدور الإدارة الأمريكية ممثلة في (CIA) في التخطيط والتنفيذ والإشراف على كل بنود الاتفاق ، الأمر الذي يعني قبول السلطة بمصادرة سلطتها الإدارية - المتقصصة أصلاً ! - لصالح الطرف الأمريكي .

والقيام بهذا الدور يتطلب توسيع نشاط (CIA) وزيادة كوادرها وبناء مكاتب لها في الضفة الغربية وقطاع غزة، وربما في دول أخرى.

٥ - على الرغم من أن الاتفاق أنهى الجحود الذي شهدته المسار التفاوضي الإسرائيلي الفلسطيني على مدار تسعة عشر شهراً، إلا أن انتصار نهج نتن ياهو، وعمومية البنود المتعلقة بالتزامات الطرف الإسرائيلي، تجعل نتن ياهو الذي لا يؤمن بأوسلو أصلاً، قادراً على التوصل من اتفاقاته تحت ذرائع متعددة، كعدم قناعته بتنفيذ السلطة للإجراءات المتفق عليها، أو لعدم تمكنه من إقناع شركائه في الحكم بما تم التوقيع عليه. ونظراً لعدم وجود أي ضمانات لتنفيذ الاتفاق من طرف العدو، ولوجود ثغرات كثيرة أمام تطبيقه، فإنه يمكن أن يكون سبباً لتأزم الوضع من جديد.

٦ - تضمن الاتفاق الدعوة للدخول في مفاوضات التسوية الدائمة، لكنه لم يضع أي قيود على المضمون، الأمر الذي يرشح الوضع الانتقالي ليصبح هو الوضع النهائي كما تخطط حكومة نتن ياهو.

٧ - إصرار المفاوض الصهيوني على إلغاء بنود محددة من الميثاق الوطني الفلسطيني، وبالطريقة المحكمة المحددة في الاتفاق، تعني أن العدو لم يكتف من السلطة بخطوة الاعتراف بشرعية الاحتلال، بل يريد منها إدانة تاريخها وماضيها، كما يريد إذلال الفلسطينيين من خلالها وفرض تغيير الفكر والقناعات عليهم.

٨ - تجاهل الاتفاق لموضوع الاستيطان وسلاح المستوطنين، وعدم تقييد العدو في ذلك، خطأ قاتل وفادح، ودليل على عجز السلطة عن حماية الشعب الفلسطيني وتوفير الأمن له، أو عدم مبالاتها بذلك، ليظل الشعب عرضة لعريضة المستوطنين وجرائمهم ضد الأطفال والنساء والشيوخ من أبناء شعبنا، فهل هذا هو الأمن والاستقرار الذي سيحققه الاتفاق؟!!

• ثالثاً: الانعكاسات والأخطار على الوضع الفلسطيني؛

١ - يكرّس الاتفاق وضع القضية الفلسطينية من قضية تحرر وطني إلى قضية أقلية سكانية عربية في دولة صهيونية، وتنصيب سلطة على هذه الأقلية مهمتها

الحفاظ على أمن الكيان الصهيوني ، وقمع الأقلية الفلسطينية بما يحول دون مقاومتها للاحتلال وحتى الإعراب عن آرائها بضرورة مقاومة الاحتلال وإزالته .

٢ - نظراً لالتزام السلطة بنود الاتفاق ووجود آلية تراقب تطبيقها ، تشارك فيها الـ (CIA) ، فإنها ستدخل في صراع مباشر مع جماهير الشعب الفلسطيني سواء كانوا من حماس أو الجهاد الإسلامي أو غيرهما ؛ بسبب تبنيها لبرنامج مقاومة الاحتلال ، أو القوى التي تعبر عن رأيها بضرورة المقاومة ، أو تشجع عليه ، تحت ذريعة التحريض ، أو حتى قوى مؤيدة للحلطة بسبب اضطرار السلطة لجمع السلاح الذي بحوزتها .

٣ - ونتيجة لقيام السلطة بمكافحة برنامج المقاومة ، وتكسيم الأفواه ، وقمع الصحفيين ، واعتقال العلماء والوجهاء والسياسيين والمفكرين ، وضرب لجان الزكاة والمؤسسات الاجتماعية والإغاثية ؛ بحجة دعم المقاومة ، وضرب المساجد والمؤسسات الإعلامية والثقافية ؛ بحجة التحريض على المقاومة والصمود ، فإن المجتمع الفلسطيني مهدد بالفوضى وعدم الاستقرار والدخول في صراعات داخلية عنيفة قد تتحول إلى حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس - لا سمح الله - ولا يستفيد منها إلا الاحتلال الذي يعمل على ذلك ، ويعلم أن الاتفاق يدفع بهذا الاتجاه .

٤ - الوضع الناشئ عن تطبيق الاتفاقية ، وهو من جانب واحد ، سيمكن دولة العدو من تكريس الاحتلال والسيادة على جميع الأرض الفلسطينية ، وطي ملف القضية الفلسطينية تحت عنوان : « حصول الشعب الفلسطيني على سلطة إدارية خدمية في المناطق الأهلة بالكثافة السكانية العالية » ، فيما تبقى معظم مساحة الضفة الغربية تحت تصرف الاحتلال لبناء المزيد من المستوطنات ، وسيؤول وضع الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية إلى ما آل إليه وضع الشعب الفلسطيني في المناطق التي احتلت عام ١٩٤٨ م .

٥ - نظراً للدور الواسع لدائرة الاستخبارات الأمريكية المركزية (CIA) في الاتفاق

الذي يشمل المشاركة في التحقيق ومراجعة قرارات المحاكم، ووضع تفاصيل مفهوم التحرير، وجمع المعلومات والتحقيق... وغيرها، تجعل الإدارة الأمريكية عدواً مباشراً في نظر الشعب الفلسطيني وجلاداً إضافياً طور دوره السابق في دعم العدو الصهيوني، إلى دور مباشر في قمع شعبنا والتآمر عليه، الأمر الذي يُعقّد الوضع ويزيد عدم الاستقرار المنشود من مسيرة التسوية.

• رابعاً: الانعكاسات والأخطار على الوضع العربي والإسلامي؛

١ - إن إضعاف الشعب الفلسطيني - الذي يؤدي إليه تطبيق الاتفاق - وإضعاف مقاومته وصموده وثباته في وجه الاحتلال، وإشغاله في صراعات داخلية وتفكيت وحدته الوطنية - لا سمح الله - يجعل الميدان أكثر انفتاحاً للعدو، وسيغريه بالمزيد من إجراءات مصادرة الأراضي والاستيطان والتهويد، ومن ثم الانتقال إلى خطوة متوقعة في مخططات العدو، وهي تهجير الشعب من جديد إلى البلاد العربية المجاورة، وهو أمر يضر بمصلحة القضية، كما يضر بمصلحة الدول العربية والإسلامية.

٢ - يكرّس الاتفاق عزل القضية الفلسطينية عن عمقها العربي والإسلامي، ويعطي التحالف الأمريكي الصهيوني ورقة إضافية لفصل المسار الفلسطيني عن المسار السوري اللبناني، والضغط على سوريا والدول العربية الأخرى لإنجاز تسوية مماثلة. كما سيكون العدو في موقف أقوى في أي مفاوضات ثنائية أو إقليمية، خاصة في ظل الدعم الأمريكي غير المحدود.

٣ - يساعد الاتفاق كلاً من العدو وأمريكا، على المضي قدماً في وضع مخططات أمنية إقليمية محورها الكيان الصهيوني؛ لبسط الهيمنة على المنطقة، والحيولة دون حصولها على أسباب القوة من تقدم وتكنولوجيا وخاصة في مجال الأسلحة والطاقة الذرية. ولعل التحالف العسكري الإسرائيلي التركي هو البداية في هذا المجال.

٤ - نتيجة للشراكة بين حكومة العدو والسلطة الفلسطينية، وتكريس ذلك من خلال الاتفاق، ستدخل السلطة - حكماً وضرورة - في التحالفات الإسرائيلية مع بعض

دول المنطقة . كما سيحتل العدو الصهيوني علاقات السلطة الفلسطينية العربية كأداة استخباراتية أو ضغط أو إقناع لتحقيق المصالح الصهيونية ، وخاصة أن الكيان الصهيوني نجح في زرع عملاء له في أجهزة السلطة الفلسطينية .

٥ - من خلال دور الإدارة الأمريكية الواسع في تطبيق بنود الاتفاق ، ستلجأ - كما فعلت سابقاً - إلى مطالبة الدول العربية والإسلامية بتجفيف الموارد المالية عن الشعب الفلسطيني ومؤسساته المدنية والاجتماعية ، بحجة أنها تسهم في دعم ما تسميه بالعنف والإرهاب ، والضغط عليها بشكل خاص لقطع العلاقة مع حركة حماس ، الأمر الذي يؤدي إلى جعل الموقف العربي والإسلامي تحت وطأة الضغط الأمريكي المتواصل ، وبتشجيع من السلطة الفلسطينية نفسها ، رغم ثقتنا بأن الموقف العربي والإسلامي لن يخضع لهذه الضغوط التي لا تخدم مصلحة قضيتنا وأمتنا .

٦ - نتيجة لهذا الجهد المعادي الهادف لفصل القضية الفلسطينية عن بعدها العربي والإسلامي ، وبشكل خاص الموقف العربي الموحد ، فإن القدس والأقصى المبارك ستكون الضحية في مفاوضات التسوية الدائمة ، وستظل أولى القبلتين تحت سيطرة العدو ، الذي قد يبادر بعد ذلك إلى هدم الأقصى المبارك وإقامة الهيكل الثالث المزعوم !

● خامساً: الخلاصات والنتائج والموقف المطلوب؛

- ١ - يُعتبر الاتفاق اتفاقاً أمنياً إذعانياً للشروط والمطالب الصهيونية ، وسيكون أداة تدمير لقدرات الشعب الفلسطيني ومؤسساته ومجتمعه المدني ، ووحدته الوطنية ، وإثارة عدم الاستقرار في المنطقة ، على نحو يخدم المصالح الصهيونية الأمريكية على حساب مصالح الشعوب العربية والإسلامية .
- ٢ - إن مواجهة الاتفاق وآثاره وانعكاساته ، لا تقتصر على حركة حماس والقوى الفلسطينية الأخرى المعارضة ، ولا على جميع شرائح الشعب الفلسطيني فحسب ، بل تقع على عاتق الحكومات والشعوب العربية والإسلامية .
- ٣ - لقد باشرت السلطة الفلسطينية تنفيذ بنود الاتفاق الأمنية منذ لحظة التوقيع ،

حيث تم اعتقال الصحفيين الذين زاروا الشيخ المجاهد أحمد ياسين لأخذ رأيهِ في الاتفاق، كما قامت قوات الأمن بحملة اعتقالات في صفوف حركة حماس والجهاد الإسلامي، وتم اعتقال خطيب المسجد الأقصى المبارك ورئيس رابطة علماء فلسطين الشيخ حامد البنتاوي مباشرة بعد إجرائه مقابلة إعلامية عبر الهاتف، والشيخ نافذ عزام بعد حديثه في مهرجان. كما قامت الاستخبارات العسكرية الفلسطينية باقتحام مقر حركة فتح في رام الله لمصادرة الأسلحة، وإطلاق النار على مظاهرة سلمية لأنصار حركة فتح، الأمر الذي أودى بحياة شاب فلسطيني من حركة فتح وعدد من الجرحى؛ مما أدّى إلى توتر عام في المدينة.

أوهام السلام العربية

• حرب القرارات العربية :

عقدت القمة العربية العديد من المؤتمرات ، وأصدرت الكثير من القرارات ، وتمنت الكثير من الأماني ، ولكن هل كان لكل ذلك أثر ؟ لا أظن بعد القراءات للواقع العربي الراهن والمعاصر ، أن نجد لهذه القرارات أي تأثير في نطاق العمل السياسي أو الفاعلية على أرض الواقع ، وإليك بعضاً من هذه القرارات .

قرارات للسلام في فلسطين

- ١ - توجيه تحية إجلال وإكبار لصمود الشعب الفلسطيني وقيادته الشرعية والوطنية ، وعلى رأسها الرئيس الراحل ياسر عرفات ، في وجه العدوان الإسرائيلي المستمر والمتصاعد والهادف إلى النيل من حقوقه ومقدراته ومقدساته وقيادته الوطنية ، والتأكيد مجدداً على مواصلة كل أشكال الدعم السياسي والمعنوي والمادي للشعب الفلسطيني وانتفاضته الباسلة ومقاومته المشروعة ضد الاحتلال .
- ٢ - اعتبار ما تقوم به إسرائيل من عدوان شامل ومخطط على الشعب الفلسطيني وسلطته ومؤسساته الوطنية يرمي إلى إنهاء عملية السلام في الشرق الأوسط برمتها تتحمل إسرائيل وحدها كامل المسؤولية عن ذلك .
- ٣ - تأكيد حق الشعب الفلسطيني المشروع في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي لأراضيه والعمل وفقاً للشرعية الدولية ، وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، والمؤسسات الدينية والطبية ، واستهداف الهيئات الدولية العاملة في الحقل الإنساني .
- ٤ - التحرك لوقف العدوان على الشعب الفلسطيني ، وتوفير الحماية الدولية للمدنيين

الفلسطينيين من خلال إرسال قوات حماية دولية، وإلزام إسرائيل بالامتثال لأحكام اتفاقية جنيف الرابعة، ومطالبة الأمين العام للأمم المتحدة العمل على سرعة إرسال فريق للتحقيق في الجرائم الإسرائيلية وتحديد مرتكبيها تمهيداً لتقديم لمحكمة دولية.

٥- التأكيد على عروبة القدس ورفض الإجراءات الإسرائيلية كافة لتحويلها، واعتبار ما تقوم به إسرائيل السلطة القائمة بالاحتلال من إجراءات وممارسات باطلة ولاغية ومخالفة لقرارات الشرعية الدولية، واعتبار الاستيطان في القدس وفي باقي الأرض الفلسطينية خطراً يهدد الأمن والسلام في المنطقة. وتجديد الدعم العربي لأهل هذه المدينة الصامدة.

٦- إدانة المواقف الإسرائيلية الراضية للمبادرات والمقترحات الرامية كافة؛ لتحقيق حل سلمي عادل وشامل في الشرق الأوسط والمطروحة حالياً من قبل العديد من الأطراف والمجموعات الدولية.

٧- تأكيد تمسك الدول العربية بمبادرة السلام العربية التي أقرتها القمة العربية في بيروت ٢٠٠٢م التي تتضمن أسس الحل السلمي العادل والشامل في المنطقة وتحمل إسرائيل مسؤولية فشل جهود السلام.

٨- دعوة اللجنة الرباعية الدولية إلى استئناف العمل لتحقيق السلام في الشرق الأوسط وإيجاد حل عادل وشامل للصراع العربي الإسرائيلي على أساس المبادرة العربية للسلام.

٩- التأكيد مجدداً على قراراته السابقة المتعلقة بتحكيمهم بالسلام العادل والشامل كهدف وخيار استراتيجي يتحقق في ظل تنفيذ قرارات الشرعية الدولية على جميع المسارات استناداً لقرارات مجلس الأمن خاصة القرارات ٢٤٢ و ٣٣٨ و ٤٢٥ وقرار الجمعية العامة ١٩٤ والمرجعية مؤتمر مدريد ومبدأ الأرض مقابل

السلام .

١٠ - ويؤكدون أن ذلك يتحقق بانسحاب إسرائيل الكامل من جميع الأراضي العربية التي تحتلها بما في ذلك الجولان العربي السوري المحتل حتى خط الرابع من يونيو ١٩٦٧م ومن الأراضي اللبنانية التي ما زالت تحت الاحتلال بما في ذلك مزارع شبعا وإنهاء احتلال الأراضي الفلسطينية ، وتمكين الشعب الفلسطيني من التمتع بجميع حقوقه غير القابلة للتصرف بما فيها حقه في تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة على كامل ترابه الوطني وعاصمتها القدس وتأمين حق العودة للاجئين الفلسطينيين والإفراج عن المعتقلين والمخطوفين العرب من السجون الإسرائيلية كافة .

١١ - تكليف لجنة مبادرة السلام العربية بتكثيف ومواصلة التحرك العربي على الساحة الدولية والإعداد لعرض الأمر على مجلس الأمن حتى يتحمل كامل مسؤولياته تجاه الوضع الخطير في الأراضي الفلسطينية وتداعياته على الأمن والاستقرار في المنطقة والعالم .

١٢ - تجديد الالتزام العربي بالدعم المالي لموازنة السلطة الوطنية الفلسطينية لستة أشهر قادمة ، تبدأ من أول أبريل ٢٠٠٣م ، وتجديدها تلقائياً على نفس الأسس التي أقرتها قمة بيروت طالما استمر العدوان الإسرائيلي ، ودعوة الدول الأعضاء التي لم تتكمل مساهماتها بشأن دعم ميزانية السلطة الوطنية الفلسطينية وصندوق الأقصى وانتفاضة القدس وفقاً لقرارات قمة بيروت تحويل تلك المساهمات .

١٣ - تكليف الأمانة العامة لمواصلة جهودها في جمع التبرعات الشعبية العربية دعماً لصمود الشعب الفلسطيني والاستمرار في تعاونها مع المنظمات الدولية المعنية بتوفير الدعم لعملية التنمية وإعادة الإعمار في الأراضي الفلسطينية .

السراب الذي ينقلب ماء

كلما يراد خداع العرب يخترع لهم قضية، يلوكون فيها ويتكلمون عنها ضياعاً للوقت وخداعاً للفلسطينيين والعرب، ومن ذلك مشروع خريطة الطريق الذي جاء به (بوش).

نص خريطة الطريق

نشرت وكالة رويترز ترجمة غير رسمية لنص ما يسمّى «خريطة الطريق» الرامية لإقرار السلام في الشرق الأوسط وإقامة دولة فلسطينية بحلول عام ٢٠٠٥م، والتي اخترعتها الولايات المتحدة لخداع العرب والفلسطينيين.

مقدمة الخريطة: الوارد أدناه خريطة للطريق، وهي ذات مراحل واضحة وأطر زمنية ومواعيد مستهدفة ومعايير للإنجاز، وتهدف إلى التقدم من خلال خطوات متبادلة من الطرفين في المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية والإنسانية وبناء المؤسسات تحت رعاية اللجنة الرباعية. والهدف هو الوصول إلى تسوية نهائية وشاملة للصراع الفلسطيني الإسرائيلي بحلول عام ٢٠٠٥م كما جاء في خطاب الرئيس بوش في ٢٤-٦-٢٠٠٢م، ورحب به الاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة في البيانين الوزاريين اللذين أصدرتهما اللجنة الرباعية في ١٦-٧-١٧-٩-٢٠٠٢م، ومرت المدة ولم يتحقق شيء، واخترعت بعدها اختراعات للسلام، وأقيمت مؤتمرات ولكن لا حياة لمن ينادي وما هو إلا الخداع.

إن حل الدولتين للصراع الإسرائيلي الفلسطيني لا يمكن تحقيقه إلا من خلال وضع نهاية للعنف والإرهاب عندما يكون للشعب الفلسطيني قيادة تتحرك بصورة حاسمة ضد الإرهاب وذات استعداد وقدرة على إقامة نظام يمارس الديمقراطية، ويقوم على التسامح والحرية، ومن خلال استعداد إسرائيل للقيام بكل ما هو لازم لإقامة دولة فلسطينية ديمقراطية، والقبول الواضح دون لبس من الطرفين بهدف التوصل إلى تسوية من خلال التفاوض بالشكل الموصوف أدناه.

وستساعد اللجنة الرباعية وتسهل تطبيق الخطة بدءاً من المرحلة الأولى بما في ذلك المناقشات المباشرة بين الأطراف كلما استدعى الأمر ذلك . وقد وضعت الخطة جدولاً زمنياً واقعياً للتنفيذ .

ولكن لأنها خطة تقوم على الأداء ، فالتقدم فيها يتطلب الجهود الصادقة للأطراف والتزامهم بكل من الواجبات المنصوص عليها أدناه ويتوقف على هذه الجهود ، فإذا نفذت الأطراف تعهداتها على وجه السرعة فقد يتحقق التقدم في كل مرحلة وبين آخرى أسرع مما هو منصوص عليه في الخطة ، أما عدم الالتزام بالواجبات فيعوق التقدم .

وستؤدي التسوية التي سيتم التفاوض عليها بين الأطراف إلى قيام دولة فلسطينية مستقلة وديمقراطية قادرة على الحياة تعيش جنباً إلى جنب بأمن وسلام مع إسرائيل وجيرانها الآخرين .

وستنهي هذه التسوية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وستنهي الاحتلال الذي بدأ في عام ١٩٦٧م وفقاً للأسس الخاصة بمؤتمر مدريد ومبدأ الأرض مقابل السلام وقرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ و ١٣٩٧ والاتفاقات السابقة المبرمة بين الأطراف ، ومبادرة ولي العهد السعودي الأمير عبد الله التي اعتمدها القمة العربية في بيروت ، والتي تدعو إلى قبول إسرائيل كجار يعيش في أمن وسلام في إطار تسوية شاملة .

هذه المبادرة هي عنصر حيوي في الجهود الدولية الهادفة لتحقيق سلام شامل على جميع المسارات ، بما في ذلك المساران السوري الإسرائيلي واللبناني الإسرائيلي .

وستجتمع اللجنة الرباعية بانتظام على مستويات عالية لتقييم أداء الأطراف في تنفيذ الخطة .

ويتوقع من الأطراف في كل مرحلة أداء التزاماتها بشكل متواز ما لم ينص على غير ذلك .

المرحلة الأولى

**وضع نهاية للإرهاب والعنف وإعادة الحياة الفلسطينية إلى طبيعتها
وبناء المؤسسات الفلسطينية من الآن وحتى عام ٢٠٠٣م**

في المرحلة الأولى: يشرع الفلسطينيون فوراً في تطبيق وقف غير مشروط للعنف وفقاً للخطوات المحددة أدناه. وينبغي أن تصاحب مثل هذه الخطوة إجراءات داعمة من جانب إسرائيل. وفيما يلي التزامات الجانب الفلسطيني والإسرائيلي:

- يستأنف الفلسطينيون والإسرائيليون التعاون الأمني على أساس خطة تينت لإنهاء العنف والإرهاب، والتحريض من خلال أجهزة أمنية فلسطينية فعالة أعيد هيكلتها.

- يقوم الفلسطينيون بعملية إصلاح سياسي شاملة تحضيراً للدولة بما في ذلك صياغة دستور فلسطيني، وإجراء انتخابات حرة ونزيهة ومفتوحة على أساس تلك الإجراءات. وقصد بذلك الحداد الديمقراطي ولكن المقاومة جعلته حقيقة، فكانت نكبة على اليهود ويريدون التخلص منها.

- تقوم إسرائيل بكل الخطوات اللازمة للمساعدة في إعادة الحياة الفلسطينية إلى طبيعتها، فتسحب إسرائيل من المناطق الفلسطينية التي احتلت بعد ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٠م، ويعود الجانبان إلى الوضع الذي كان قائماً قبل هذا التاريخ مع تقدم الأداء والتعاون الأميين. وتحمّد إسرائيل أيضاً جميع الأنشطة الاستيطانية بما يتوافق وتقرير ميثيل.

- مع بداية المرحلة الأولى تصدر القيادة الفلسطينية بياناً واضحاً لا لبس فيه يعيد تأكيد حق إسرائيل في العيش في سلام وأمن، ويدعو لوقف فوري وغير مشروط لإطلاق النار، ووقف النشاط المسلح وجميع أعمال العنف ضد الإسرائيليين في أي مكان، وتوقف كل المؤسسات الفلسطينية الرسمية التحريض ضد إسرائيل.

- تصدر القيادة الإسرائيلية بياناً واضحاً لا لبس فيه تؤكد فيه التزامها برؤية الدولتين ودولة فلسطينية مستقلة وقابلة للحياة وذات سيادة تعيش بأمن وسلام إلى جانب إسرائيل كما عبر عنها الرئيس بوش، وتدعو إلى وقف فوري للعنف ضد

الفلسطينيين في أي مكان، وتوقف كل المؤسسات الرسمية الإسرائيلية التحريض ضد الفلسطينيين.

الأمن

- يعلن الفلسطينيون بشكل لا لبس فيه وقف العنف والإرهاب ويقومون بجهود ملموسة على الأرض لاعتقال وتوقيف وشل حركة الأشخاص والجماعات التي تشن وتخطط لهجمات عنيفة ضد الإسرائيليين في أي مكان.
- يبدأ الجهاز الأمني للسلطة الفلسطينية الذي أعيد بناؤه وتوجيهه عمليات متواصلة وموجهة وفعالة تهدف إلى التصدي لكل المشاركين في الإرهاب، وتفكيك القدرات والبنى التحتية الإرهابية. ويشمل ذلك بدء مصادرة الأسلحة غير المشروعة، وتعزيز سلطة الأمن التي تخلو من أي ارتباط بالإرهاب أو الفساد.
- لن تقوم الحكومة الإسرائيلية بأي أعمال من شأنها أن تقوض الثقة بما في ذلك الإبعاد والهجمات ضد المدنيين، ومصادرة أو هدم المنازل والممتلكات الفلسطينية أو كلاهما كإجراء عقابي أو لتسهيل أعمال البناء الإسرائيلية، وتدمير المؤسسات والبنى التحتية الفلسطينية، وغير ذلك من الإجراءات المحددة في خطة تينت.
- اعتماداً على الآليات القائمة والموارد الموجودة على الأرض يبدأ ممثلو اللجنة الرباعية المراقبة غير الرسمية، ويتشاورون مع الأطراف لإنشاء آلية رسمية للمراقبة وتنفيذ تلك الآلية.
- كما تم الاتفاق من قبل، يبدأ تطبيق الخطة الأمريكية لإعادة البناء والتدريب واستئناف التعاون الأمني بالتعاون مع مجلس خارجي للإشراف (يضم الولايات المتحدة ومصر والأردن)، ودعم اللجنة الرباعية للجهود الرامية لتحقيق وقف دائم وشامل لإطلاق النار.
- يتم دمج جميع الأجهزة الأمنية الفلسطينية في ثلاثة أجهزة تكون مسؤولة أمام وزير داخلية له صلاحيات.
- يستأنف مسؤولو أجهزة الأمن الفلسطينية التي سيتم إعادة بنائها وإعادة تدريبها ونظرائهم في الجيش الإسرائيلي بصورة مطردة التعاون الأمني وغيره من

الالتزامات تطبيقاً لخطّة تينّت ، بما في ذلك الاجتماعات الدورية على مستوى رفيع بمشاركة مسؤولين أمنيين أمريكيين .

• تقطع الدول العربية التمويل العام والخاص وكل أشكال الدعم الأخرى للجماعات التي تدعم العنف والإرهاب وتشارك فيهما .

• يحول جميع المانحين الذين يقدمون دعماً للميزانية الفلسطينية هذه الأموال من خلال الحساب المالي الموحد لوزارة المالية الفلسطينية .

• مع تقدم الأداء الأمني الشامل يقوم الجيش الإسرائيلي بانسحاب مطرد من المناطق المحتلة بعد ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٠ م ، ويعود الطرفان إلى الوضع الذي كان قائماً قبل ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٠ م ، وتتشر قوات الأمن الفلسطينية في المناطق التي يخليها الجيش الإسرائيلي .

• بناء المؤسسات الفلسطينية؛

• التحرك الفوري بخصوص عملية جديرة بالثقة لصياغة مسودة دستور الدولة الفلسطينية .

• تقوم لجنة دستورية بأسرع ما يمكن بتوزيع مسودة الدستور الفلسطيني القائمة على أساس ديمقراطية برلمانية قوية وحكومة يرأسها رئيس وزراء ذو صلاحيات لطحها للنقاش والتعليق العامين .

• تقترح اللجنة الدستورية مسودة الوثيقة لتقديمها بعد الانتخابات لإقرارها من جانب المؤسسات الفلسطينية المناسبة .

• تعيين رئيس وزراء مؤقت أو حكومة يتمتعان بسلطة تنفيذية ذات صلاحيات كهيئة لصنع القرار .

• تمهّل الحكومة الإسرائيلية بالكامل تنقل المسؤولين الفلسطينيين من أجل جلسات المجلس التشريعي الفلسطيني والحكومة والتدريبات الأمنية التي تتم بإشراف دولي والانتخابات وغيرها من أنشطة الإصلاح ، وتتخذ غير ذلك من

الإجراءات الداعمة ذات العلاقة بجهود الإصلاح .

• تعيين وزراء فلسطينيين ذوي صلاحيات للقيام بإصلاح جذري ، واستكمال خطوات إضافية لتحقيق فصل حقيقي بين السلطات ، بما في ذلك أي خطوات إصلاح قانوني فلسطينية ضرورية لبلوغ هذه الغاية .

• إنشاء لجنة انتخابات فلسطينية مستقلة ، ويراجع المجلس التشريعي ويعدل قانون الانتخابات .

• الأداء الفلسطيني في القضاء والإدارة والاقتصاد وفقاً للأسس التي وضعتها اللجنة الدولية حول الإصلاح الفلسطيني .

• في أقرب وقت ممكن يجري الفلسطينيون انتخابات حرة ومفتوحة وعادلة ذلك استناداً إلى الإجراءات المذكورة أعلاه وفي إطار المناقشة العلنية والحملات التي تتميز بالشفافية لاختيار المرشحين .

• الحكومة الإسرائيلية تسهل مساعدة اللجنة الدولية للانتخابات وتسجيل الناخبين وتنقل المرشحين ومسؤولي التصويت .

- الحكومة الإسرائيلية تعيد فتح الغرفة التجارية الفلسطينية وغيرها من المؤسسات الفلسطينية المغلقة في القدس الشرقية على أساس التزام هذه المؤسسات بالعمل بحزم وفقاً للاتفاقات السابقة بين الطرفين .

• الردود الإنسانية؛

- تقوم الحكومة الإسرائيلية بخطوات لتحسين الأوضاع الإنسانية ، وتنفذ إسرائيل والفلسطينيون تنفيذاً كاملاً التوصيات الواردة في تقرير برتيني لتحسين الأوضاع الإنسانية ورفع منع التجول ، وتخفيف القيود المفروضة على حركة الأشخاص والبضائع والسماح بتحرك كامل وآمن للموظفين الإنسانيين والدوليين .

- الحكومة الإسرائيلية والسلطة الفلسطينية تواصلان عملية تحصيل العائدات وتحويل الأموال وفقاً لآلية رقابة شفافة ومتفق عليها .

• المجتمع المدني:

- تواصل دعم المانحين للبرامج الشعبية وتنمية القطاع الخاص ومبادرات المجتمع المدني.
- المستوطنات:

- تفكك الحكومة الإسرائيلية فوراً جميع البؤر الاستيطانية التي أقيمت منذ شهر مارس (أذار) ٢٠٠١ م.
- تجمد الحكومة الإسرائيلية جميع النشاطات الاستيطانية تطبيقاً لتقرير لجنة ميتشيل (بما في ذلك النمو الطبيعي للمستوطنات).

المرحلة الثانية

الانتقال من ٢٠٠٣ إلى يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٤ م

تتركز الجهود في المرحلة الثانية على خيار إنشاء دولة فلسطينية مستقلة ذات حدود مؤقتة، وتتمتع بخصائص السيادة على أساس الدستور الجديد كمحطة على الطريق نحو الحل الدائم.

وكما لوحظ فإن هذا الهدف يمكن بلوغه حينما يكون للشعب الفلسطيني قيادة تتصرف بحسم لمكافحة الإرهاب ومستعدة وقادرة على بناء ديمقراطية فعالة أساسها التسامح والحرية.

ومع وجود مثل هذه القيادة والمؤسسات المدنية المصلحة والهيكل الأمنية فإن الفلسطينيين سيحظون بمساندة فعالة من رباعي الوساطة والمجتمع الدولي في إقامة دولة مستقلة لها مقومات البقاء.

وسيكون التقدم في المرحلة الثانية على أساس الحكم الجماعي للجنة الرباعية فيما إذا كانت الظروف مواتية للتقدم أخذاً بعين الاعتبار أداء جميع الأطراف.

وتعزيزاً للجهود لإعادة الحياة الفلسطينية إلى طبيعتها وبناء المؤسسات الفلسطينية، فإن المرحلة الثانية تبدأ بعد الانتخابات الفلسطينية مع إمكانية إنشاء دولة

فلسطينية ذات حدود مؤقتة في عام ٢٠٠٣م!

أهدافها الرئيسة: هي أداء أمني شامل ، وتعاون أمني فعال متواصل ، وجهد متواصل لإعادة الحياة الفلسطينية إلى طبيعتها ، وبناء المؤسسات ، ومواصلة البناء على الأهداف التي تحددت في المرحلة الأولى ، والتصديق على دستور فلسطيني ديمقراطي ، واستحداث منصب رئيس وزراء ، وتعزيز الإصلاح السياسي ، وإنشاء دولة فلسطينية ذات حدود مؤقتة .

• المؤتمر الدولي:

• تعقده اللجنة الرباعية بالتشاور مع الأطراف مباشرة بعد الانتهاء الناجح للانتخابات الفلسطينية ؛ لدعم إعادة بناء الاقتصاد الفلسطيني ، وإطلاق عملية تؤدي لإنشاء دولة فلسطينية ذات حدود مؤقتة .

• هذا الاجتماع سيكون شاملاً وعلى أساس هدف تحقيق السلام الشامل في منطقة الشرق الأوسط (بما يشمل السلام بين إسرائيل وسوريا وإسرائيل ولبنان) وعلى أساس المبادئ التي وردت في مقدمة هذه الوثيقة .

• إعادة الروابط العربية مع إسرائيل التي كانت قائمة قبل الانتفاضة (المكاتب التجارية وغيرها) .

• إعادة إحياء الارتباطات المتعددة الأطراف في قضايا منها: مصادر المياه الإقليمية والبيئة ، والتطوير الاقتصادي ، واللاجئون ، وقضايا الحد من التسليح .

• إنجاز وإقرار دستور جديد لدولة فلسطينية مستقلة وديمقراطية من قبل المؤسسات الفلسطينية الملائمة ، وإجراء انتخابات أخرى إذا تطلب الأمر بعد إقرار الدستور الجديد .

• إنشاء رسمي لحكومة إصلاح ذات صلاحيات مع رئيس وزراء وذلك وفق مشروع الدستور .

• استمرار الأداء الأمني الشامل بما في ذلك تعاون أمني فعال على الأسس التي وضعت في المرحلة الأولى .

• إنشاء دولة فلسطينية ذات حدود مؤقتة من خلال عملية تفاوض فلسطينية إسرائيلية يطلقها المؤتمر الدولي .

وكجزء من هذه العملية تنفيذ الاتفاقات السابقة وتحقيق أقصى حد من التواصل الجغرافي بما في ذلك خطوات إضافية على صعيد الاستيطان بالتزامن مع إنشاء الدولة الفلسطينية ذات الحدود المؤقتة .

- تعزيز الدور الدولي في مراقبة التحول مع الدعم الفعال والعملي والمتواصل من قبل اللجنة الرباعية .

ويسعى أعضاء اللجنة الرباعية من أجل اعتراف دولي بالدولة الفلسطينية بما في ذلك إمكانية الحصول على عضوية الأمم المتحدة .

* * *

المرحلة الثالثة: اتفاق الوضع الدائم

وإنهاء للصراع الإسرائيلي الفلسطيني ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م

التقدم نحو المرحلة الثالثة على أساس الحكم الإجماعي للجنة الرباعية ، وأخذاً بعين الاعتبار خطوات جميع الأطراف ، ومراقبة اللجنة الرباعية .

أهداف المرحلة الثالثة هي استكمال الإصلاح واستقرار المؤسسات الفلسطينية وأداء أمني فلسطيني فعال ومفاوضات فلسطينية إسرائيلية تهدف للتوصل إلى اتفاق نهائي في عام ٢٠٠٥م .

• مؤتمر دولي ثانٍ:

• تعقده اللجنة الرباعية بالتشاور مع الأطراف في بداية عام ٢٠٠٤م لإقرار الاتفاق المبرم بشأن دولة فلسطينية مستقلة ذات حدود مؤقتة ولإطلاق رسمي لعملية تحظى بدعم فعال وعملي متواصل من قبل اللجنة الرباعية وتؤدي إلى حل نهائي ووضع دائم عام ٢٠٠٥م ، بما يشمل الحدود والقدس واللاجئين والمستوطنات ودعم التقدم نحو تسوية شاملة في الشرق الأوسط بين إسرائيل ولبنان وإسرائيل وسوريا

يتم التوصل إليها في أسرع وقت ممكن .

- استمرار التقدم الفعال والشامل في جدول أعمال الإصلاحات المحددة من قبل مجموعة العمل الدولية تحضيراً لاتفاق الوضع الدائم .
- استمرار الأداء الأمني الفعال والدائم والتعاون الأمني الفعال والدائم على الأسس التي وردت في المرحلة الأولى .
- جهود دولية لتسهيل وضع الإصلاح واستقرار المؤسسات الفلسطينية والاقتصاد الفلسطيني تحضيراً لاتفاق الوضع الدائم .
- تتوصل الأطراف إلى اتفاق الوضع الدائم الشامل والنهائي الذي ينهي الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في عام ٢٠٠٥م ، من خلال تسوية متفق عليها عبر التفاوض بين الأطراف قائمة على أساس قرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ و ١٣٩٧ التي تنهي الاحتلال الذي بدأ ١٩٦٧م ، وتشمل حلاً واقعياً شاملاً وعادلاً لموضوع اللاجئين وقراراً متفاوضاً عليه حول وضع القدس يأخذ بعين الاعتبار اهتمامات كلا الطرفين السياسية والدينية ، ويحمي المصالح الدينية لليهود والمسيحيين والمسلمين في العالم ، ويحقق رؤية دولتين تعيشان جنباً إلى جنب في سلام وأمن ، إسرائيل وفلسطين المستقلة الديمقراطية القادرة على الحياة ذات السيادة .

* * *

التعديلات التي وضعتها إسرائيل على خريطة الطريق الإبادة... «خريطة الطريق» المعتمدة لدى شارون

ربما يكون التوقيت الذي أعلن فيه بوش عن خطته - خريطته للسلام على المسار الفلسطيني هو الأسوأ على الإطلاق، ذلك أن إعلانه هذا لن ينطلي على أحد من أصحاب الشأن والحق، والتجربة في فلسطين والعراق والمنطقة كلها، لذلك نستقبل هذا الترحيب الفلسطيني والعربي والدولي بخريطة الطريق الأمريكية (الإسرائيلية الأصل والفكرة) ببالغ الدهشة والعجب؟!

فلماذا كل هذه الاحتفالية الكاذبة المخادعة، والجميع يعلم أن بوش إنما أراد بإعلانه المتعجل عن خريطة الطريق ذر الرماد في العيون وتقديم «الجزرة المسمومة» للفلسطينيين والعرب والعالم عشية الحرب التدميرية الظالمة على العراق.

فأي خريطة طريق هذه التي يقدمها بوش؟ وما مضامينها وأبعادها الحقيقية؟ وإلى أين تقود هذه الطريق؟! ولصالح من تصب في نهاية المطاف؟

يمكن أن نثبت بداية ووفقاً لكم كبير من المؤشرات الإسرائيلية وغيرها أن خريطة الطريق الأمريكية، إنما هي إسرائيلية المضامين والأهداف واشتراطات التطبيق، ورغم هذه الحقيقة الكبيرة إلا أن الحكومة الإسرائيلية كانت قد أدخلت عليها أكثر من مائة تعديل أبرزها:

- ١ - فبركة قيادة جديدة بديلة للسلطة الحالية كشرط للتسوية .
- ٢ - إعلان القيادة الجديدة عن تنازلها عن حق العودة والقرار ١٩٤ الخاص باللاجئين الفلسطينيين .
- ٣ - فرض قيود وشروط قاسية جداً على استقلالية الدولة الفلسطينية .
- ٤ - تفصيل المطالب الأمنية الإسرائيلية التي ستفرض على الفلسطينيين وفقاً لوثيقتي «تينت وزيني» .

- ٥ - وقف الانتفاضة والمقاومة وأشكال الاحتجاج الفلسطينية كافة .
 - ٦ - شطب وإسقاط الجداول الزمنية المتعلقة بالتطبيق .
 - ٧ - عدم إعلان «إسرائيل» وقف حملاتها الحربية والإجراءات القمعية «المشروعة من وجهة نظر بوش» ضد الفلسطينيين .
 - ٨ - تشترط «إسرائيل» قبل أن تطبق ما يخصها من بنود، الالتزام الفلسطيني الكامل والشامل والمستمر بتنفيذ البنود والإجراءات الأمنية كافة بنسبة ١٠٠٪ ويقصد هنا - حسب المصادر الإسرائيلية - وقف الانتفاضة والمقاومة، أما عن السيادة فحدث ولا حرج!
- يضاف إلى كل ذلك أيضاً: أن لشارون خريطة طريق خاصة به مضامينها الأساسية الملموسة على مدار الساعة: حرب لا هوادة فيها على الشعب الفلسطيني، ومواصلة حملات الاجتياحات والاغتيالات والمجازر والعقوبات الجماعية والنسف والتدمير الشامل للبنى التحتية الفلسطينية ومقومات الدولة المستقلة كافة، ومضامينها الأساسية أيضاً مواصلة مخططات وحملات المصادرات والاستيطان والتهويد وبناء دويلة المستوطنين الإرهابية في الضفة الغربية .
- وبعد كل ذلك، يأتي شارون ليعلن: «أن الدولة الفلسطينية قائمة عملياً على الأرض» - صحيفة ידיעות أحرونوت ٢٠ / ٣ / ٢٠٠٣ - ورغم بلدوزر الإرهاب والقتل اليومي للفلسطينيين والتدمير الشامل لبيتهم المجتمعية المدنية، يأتي بوش أيضاً ليعلن: «أن شارون رجل سلام» فكيف يكون رجل الحرب إذن؟ و«أن التقدم في تطبيق خريطة الطريق مرهون بحجم الصلاحيات التي ستعطى لرئيس الوزراء الفلسطيني وبمدى نجاح هذا الرئيس في وقف الإرهاب وأن وقف الاستيطان مرتبط بتوقف العنف الفلسطيني» .
- في الخلاصة المكثفة يمكن القول: تسعى الإدارة الأميركية بعد الحرب على العراق وفي ضوء صحتها المفاجئة على خريطة الطريق إلى المواءمة بين مسألتين:
- ١ - الحاجة الماسة إلى تأييد العرب وغطائهم .

٢ - ضبط إيقاع سياساتها ومواقفها جوهرياً مع خريطة الطريق الإسرائيلية .

لكن السؤال هنا: كيف ومتى ستفرض هذه الإدارة اليمينية المتصهينة آلية تنفيذ رؤيتها للدولة الفلسطينية؟ هل يمكن أن تفرضها غداة الحرب، بعد أن تكون - لا سمح الله - قد حققت أهدافها من وراء الحرب؟ أو ربما عشية الانتخابات الرئاسية الأمريكية القادمة عندما تكون بحاجة للأصوات اليهودية؟

من السذاجة التوقع بأن يقوم بوش في ضوء كل ما ذكر وغيرها الكثير الكثير، سواء قبل حربه على العراق بأيام أو بعدها بأيام أو أسابيع أو أشهر العمل على تحقيق خريطته فقد تركها أصلاً للمفاوضات الثنائية بين الفلسطينيين والإسرائيليين؟

فمن يصر على شن أظلم حرب في التاريخ ومن يريد فرض الظلام الاستعماري من جديد على العراق والمنطقة والعالم لا يمكن أن يكون وارداً في نواياه ومخططاته أن يمح بفسحة ضوء في فلسطين خاصة أن الحرب على العراق في جوهرها وأبعادها الاستراتيجية - وفقاً لاعترافات إسرائيلية وأميركية - حرب من أجل تكريس المشروع الصهيوني وتكريس الهيمنة الصهيونية وتطبيب فلسطين لهم إلى الأبد - أو إلى أطول زمن ممكن، لكن هذا رهن بحجم وسرعة وفعالية اليقظة العربية والفعل العربي في نهاية المطاف .

• الاعترافات بالمجرم وقتل الضحية:

الغريب أن يقدم لخطه الطريق المزعومة بالاعتراف بالمجرم شارون وتعزيز موقعه، رغم سحقه للشعب الفلسطيني وهدمه للقرى والمدن والبنية التحتية لشعب تغتصب أرضه وتتزع دياره ومقدساته كل يوم بزرع المستوطنات هنا وهناك ومصادرة الأراضي وتخريب المزارع التي تعيش على فتاتها الأسر الفقيرة المعدمة، هذا مع الولوغ في دماء الناس وقصف الطائرات والدبابات وراجمات الصواريخ لشعب أعزل لا يملك إلا الحجارة للدفاع عن نفسه ودياره .

وفي المقابل يتهم القتلى والشهداء المدافعين عن أرضهم وأعراضهم ومقدساتهم بالإرهاب الذي يجب تصفيته وسحق ما تبقى من هؤلاء المجاهدين على قيد الحياة .

هذا ويرى العالم هذا البغي والعدوان حياً ومصوراً إعلامياً وتلفازياً كل يوم في الانتفاضات الفلسطينية على الاحتلال والبغي اليهودي وفي الانتفاضة التي سبقت خريطة الطريق وعلى مدى ٣٥ شهراً وما يزال فيما يسمى بانتفاضة الأقصى والاستقلال، أو بالأحرى حرب تحرير الأقصى وفلسطين، والتي يحمل عبئها الشعب الفلسطيني، والتي يرصد الإعلام العربي أحداثها بتجرد وبرود شديدين، وبدون استخلاص أي نتائج، ودون محاولة لتخطي البيانات العسكرية التي يدلي بها المتحدثون الرسميون الصهاينة، ثم تطيرها وكالات الأنباء وما يسمى «الصحافة العالمية» (أي الغربية) وكأنه يرصد انتخابات البلدية في بوليفيا، أو مسابقة ملكة جمال العالم، أو تزايد عدد القطط في زنجبار.

ولذا فالانطباع العام الذي يصلنا هو أن الفلسطينيين شعب يقاتل لأنه من هواة القتال الذي لا يُرجى من ورائه فائدة ويضحى بنفسه لأنه يستعذب الألم، شعب يذهب ممثلوه يومياً يحملون أواني الدم الغالي ليكبوه بشكل منتظم عند آلهة الانتقام الصهيونية الوثنية، فهو شعب دخل في طريق العذاب المسدود، مما يجعل الجهاد والتضحية أموراً لا طائل من ورائها وقد استخدم الصهاينة والإعلام الغربي لفظ «الإرهاب» للإشارة لأعمال «المقاومة» ولفظ «الانتحار» للإشارة إلى عمليات «الاستشهاد» وتبنت بعض وسائل الإعلام، فضلاً عن معظم النخب الحاكمة هذين المصطلحين. وفي هذا الإطار الإدراكي لم تعد القضية هي: «تحرير الأرض السليبة»، أو «استعادة الحقوق الضائعة»، أو «التصدي للعدو وهزيمته»، أو «دعم الانتفاضة سياسياً ومالياً وعسكرياً وعدم الاكتفاء بالدعم اللفظي الرتيب». أو الضغط من أجل تحويل مكاسب الانتفاضة الميدانية والعسكرية إلى مكاسب سياسية، أو «رد الاعتبار للأمة العربية واستعادة كرامتها». بدلاً من هذا كله تصبح القضية رفع المعاناة عن الشعب الفلسطيني «وإيقاف العنف».

وفي رواية أخرى: «الإرهاب» ووقف العمليات الانتحارية بل و«العودة إلى مائدة المفاوضات»، والتنازل عن حق العودة حقناً للدماء» ﴿فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]. ونحن لا ندرى هل هذا الموقف الإعلامي المتخاذل

هو نتيجة الهزيمة الداخلية التي تجعل البعض غير قادرين على رصد أي شيء سوى مؤشرات الهزيمة، أو أنه يتم بتوجيه من بعض الحكومات العربية التي يهملها ألا تعرف الجماهير حجم الانتصارات الفلسطينية على العدو الصهيوني الحكومات التي لا تكف عن الحديث عن قوة العدو وعن خيار السلام باعتباره «خياراً استراتيجياً»؟! *

مؤتمر أنابوليس

آمال اليائسين :

بعد لآئ من الزمان ويأس من الأمان واندثار خريطة الطريق ظهرت هناك ألعيب أخرى حتى تعطي بعضاً من الأوهام لليائسين وتعددهم بوعود، ووعود بعدها وعود ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]، جاء هذه المرة في مبادرة أخرى حشد لها ساسة العرب تسمى أنا بوليس .

● مؤتمر أنابوليس :

عقد في أنابوليس بولاية ميريلاوند الأمريكية يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ من نوفمبر مؤتمر أنا بوليس بمشاركة رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت ورئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس والعديد من حكام العالم، وتدل مشاركة هذا العدد الكبير من الزعماء - وبعضهم من الحكام العرب والمسلمين .

قال المحللون : يخطئ من يظن أن اجتماع أنابوليس أعطى قوة ومكتسبات دافعة فقط لمن حضر «مهرجان التعارف» كما أسماه المفكر العربي عزمي بشارة، ففي الجهة المقابلة هناك مكتبات حصلت عليها أيضاً حركة المقاومة الإسلامية حماس وباقي فصائل المقاومة، قد لا تبدو ظاهرة للعيان ظهور معانقات وقبلات المدعويين مع بعضهم . ولعل شكل استفادة حماس من المؤتمر لن يتوقف عند سقوط رموز فلسطينية وعربية من تلك التي عانقت أولمرت وباراك وكوندي وأخذت معهم صوراً تذكارية في ذات يوم سقوط عدد من الشهداء ، بل سيمتد إلى الأيام المقبلة بعد ظهور نتائج المؤتمر و«سوءاته» على حد تعبير كثير من المراقبين .

• معارضة شعبية والتحام فصائلي:

ويمكن إحصاء أبرز مكتسبات حماس من عقد المؤتمر بالتالي:

أولاً: يُعدّ حضور الرئيس عباس وأركان سلطته للمؤتمر (دون سقف مسبق أو محدد أو معروف النتائج والخطوات) استعداداً ضمنياً لتقديم تنازلات لا ترضي الشارع الفلسطيني، بالتالي أرجع ذلك لحركة حماس حظوة الشارع الرافض لأي شكل من أشكال التنازل، ودفع بها من جديد لقيادة دفعة المعارضة الشعبية والفصائلية بكونها قوة الممانعة الأولى التي يمكن الركون عليها واقعاً للوقوف في وجه أي تنازل، وهو ما كانت تحتاجه الحركة فعلاً بعد الآثار التي ترتبت على أحداث غزة.

ثانياً: في مهرجانها الجماهيري الضخم الأخير مع حركة الجهاد الإسلامي وباقي الفصائل في غزة - لرفض أنابوليس - تكون حماس كسبت نقطة جديدة هامة في مربع الوثام المدني مع حركة الجهاد والفصائل الأخرى، التي راهن كثيرون على اتساع الفجوة بينهما وصولاً لحالة الاحتكاك العسكري، وهو ما تمناه خصوم الحركة منذ اليوم الأول لميطرة الحركة على القطاع، وهو ما يؤسس مستقبلاً لشراكة فعلية إيجابية تبعد شبح التنافر على قاعدة وحدة البرنامج والمصير.

ثالثاً: حقق مؤتمر أنابوليس قوة دفع رباعية لاستجابة الشارع لتحركات ومهرجانات ومسيرات حماس ونجاحها بحشد مئات الآلاف من الأنصار، ما اعتبر رداً ومظهراً مناظر على الذين نظروا لحجم حضور مهرجان الذكرى السنوية للراحل عرفات على أنها استفتاءٌ غزيٌّ على رفض وضعف السيطرة الحماسية على القطاع.

• إخفاق يعزز موقف حماس:

رابعاً: أجمع محللون ومراقبون بل مشاركون في المؤتمر أن سقف التوقعات كان متدنياً جداً مقارنة بالأمول، ما يعطي دلالة فشل واقعية للمؤتمر، فقد قالت رايس: إن أمريكا «ستحاول المساعدة» في التوصل إلى اتفاقية سلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين «خلال السنة المقبلة».

وهذه إشارة واضحة إلى عدم وجود شيء محدد في المؤتمر، فالهدف السنة

المقبلة ، على طريقة لافته (الدين غدا) التي يضعها بعض التجار في دكاكينهم ، وهذا يعطي الطرح المقاوم التي تؤمن بها حماس حضورياً معنوياً وواقعياً متنامياً بين الجمهور الفلسطيني والعربي يضخّ في عروق رفضها وتمسكها بثوابت شعبها مزيداً من العزم والإرادة والتصميم في وجه الحصار والتحديات .

خامساً: إن فشل مؤتمر أنابوليس في وضع جداول زمنية أو رؤى مكتملة التكوين سيدفع بالعديد من الدول للتعاطف مع حماس والحصار المفروض عليها بشكل أو بآخر ، وسيضع الدول العربية أمام تساؤلات جدية من قبل شعوبها عن حقيقة تلبية دعوات الطرف الإسرائيلي والأمريكي الرافض لأي تسويات عادلة تنصف الشعب الفلسطيني في ظل شكل المساهمة المباشرة وغير المباشرة للعديد من الدول العربية في إحكام الحصار المفروض على غزة منذ شهور .

سادساً: وضع أنابوليس قيادتي السلطة وتنظيم فتح - المتجاوبة مع التسويات والمطالب الأمريكية والإسرائيلية - في موضع حرج جداً أمام الشعب الفلسطيني وكوادر التنظيم الفتحاوي الطامحة لسقف عال من التوقعات والمطالب المشروعة ، وخصوصاً بعد حديث عباس لأولمرت نصاً: متى سمعتني أطالب بحق العودة إلى «إسرائيل»؟ عباس قال: «إسرائيل» ولم يقل: «فلسطين»! وحديث المفاوضات الفلسطينية صائب عريقات: «إن الفلسطينيين ملتزمون بشروط خارطة الطريق» . (وتنص الشروط على الاعتراف بحق دولة إسرائيل في الوجود ، وعلى القضاء على المقاءمة ، وعلى سقوط حق العودة . .) ! «وهو ما من شأنه توسيع شقّ الفجوة الداخلية للتنظيم الذي لم يتعافَ بعد من ارتدادات أحداث غزة ، ما سيعزّز من حضور التيار الرافض للتسويات وبخاصة تيار كتائب شهداء الأقصى وبرز دعوات إعادة اللحمة للشارع الفلسطيني عبر فتح قناة تواصل واتصال مع حماس دون شروط» .

سابعاً: يسهم المطلب الإسرائيلي المتمثل بالاعتراف بيهودية الدولة وإقرار الرئيس الأمريكي في أنابوليس بدعم وتأييد هذا المطلب ، حين قال رئيس الوزراء الإسرائيلي

إيهود أولمرت : «إن أي مفاوضات إضافية بين إسرائيل والفلسطينيين بعد المؤتمر، ستعتمد على اعتراف الفلسطينيين بدولة إسرائيل كدولة للشعب اليهودي». كل هذا سيسهم دون شك في تأجيج جذوة «الصراع الديني» بين الطرفين الفلسطيني المسلم والإسرائيلي اليهودي، ما يدفع صوب التفاف واقتراب الشارين الفلسطينيين والعربي الإسلامي صوب أصحاب الطرح «الديني» في الطرف المسلم - إن جاز التعبير - والذي تشكل حماس رأس حربته على أرض الواقع .

صحة قراءة حماس للوضع :

ثامناً: من شأن النتائج الهزيلة التي خرج بها المؤتمر أن تؤخر عملية التطبيع المتبادل التي طالب بها أولمرت الدول العربية، ما يقوي شوكة الممانعة الشعبية والرسمية الراضة لتقديم «تطبيع مجاني» وهو ما يخدم في إطاره العام موقف حماس، كذلك شكلت النتائج الهزيلة للمؤتمر ضربة قوية لجهود السلطة الفلسطينية الرامية لتشديد الحصار على حماس من خلال الإتيان بثمار يانة تقنع أطراف الحصار العربية والأوروبية بجدوى استمراره، وصولاً لإعلان حماس قبولها شروط فتح للتفاهم والحوار .

تاسعاً: أثبت المؤتمر صحة القراءة السياسية التي دفعت بها حماس وفصائل المقاومة منذ اليوم الأول لإعلان ترتيباته والتحشيد له، وهو أنه ليس في الدولة العبرية قيادة يمكنها الإقدام على توقيع تسوية نهائية مع الفلسطينيين تمنحهم الحد الأدنى من مطالبهم، فضلاً عن ثبوت نظرية أن البيت الأبيض لا يثوي بدوره قيادة يمكن أن تفرض على الإسرائيليين شيئاً لا يريدونه، وعلى الجانب الفلسطيني أيضاً أن ليس ثمة قيادة يمكن أن تفرض على شعبها تسوية مشوهة .

عاشراً: رغم الحضور العربي المشترك مع الإسرائيليين فإن نتائج المؤتمر أوضحت أن الوضع العربي البائس والذي يعول عليه بعض الإسرائيليين والأمريكان من أجل دفع الفلسطينيين نحو مزيد من التراجع بدا بدوره غير مؤهل للعب دور الضاغظ أو المتخذ خطوات سياسية خارج السياق في ظل صحوة شعبية لا ينكرها من يتابع تحولات الشارع العربي .

وهذا يصب بطبيعة الحال في سياق المكاسب المعنوية لحركة حماس ومشروعها المقاوم في فلسطين .

حادي عشر: أعطى مهرجان الرفض الذي شاركت فيه فصائل المقاومة في دمشق - وعلى رأسها حماس - رغم مشاركة سوريا المفاجئة في المؤتمر صورة عن استقلالية توجه ومسار الحركة عن المسار السوري ، الذي طالما اتهمت فيه بالذوبان والانقياد والتبعية ، وهو ما يؤكد استقلالية البرنامج والثبات على المبدأ حتى إن تعارض مع وجهة نظر الدولة المضيفة .

ثاني عشر: أثبتت المظاهرات الراضية للمؤتمر والتي نُظمت في الضفة - دون مشاركة حماس لاعتبارات عدة معلومة - أن رقعة المواجهة مع برنامج السلطة يتسع ليشمل كل فصائل الشعب الفلسطيني - يسارية قومية نخبوية - كذلك أثبتت سلطة القمع التي جوبهت بها تلك المظاهرات من قبل أجهزة أمن عباس حجم التضليل الذي كان يقوم به إعلام السلطة وشخصه والناطقون باسمه من قمع حماس للرأي الآخر في غزة والاعتداء على الصحفيين ووسائل الإعلام المختلفة .

ثالث عشر: يُعتبر قبول العرب الذهاب لأنابوليس دون جعل المبادرة العربية جزءاً لا يتجزأ من حيثيات أي اتفاق - تنازلاً وقبولاً ضمناً - عن بنودها ، وهي المبادرة التي طالما استُخدمت كقميص عثمان في وجه حماس لإحراجها واتهامها بمخالفة الإجماع العربي .

بقي أن نقول إن المحلل الإسرائيلي سيفر بلوتسكرك علق على مشاركة الدول العربية في أنابوليس ، معتبراً أن وجودها «يسهم فقط في عدم التوصل لتسويات سياسية» منوهاً إلى أن إسرائيل تحقّق اتفاقيات وتفاهات مع الدول العربية عندما تقوم بإجراء اتصالات ومفاوضات ثنائية فقط .

وشبّه بلوتسكرك الوفود العربية بـ «عرائس جئن لمغازلة عريس هو (أولمرت) برغم أنوفهن» ، معتبراً أن نتيجة المؤتمر باتت معروفة ؛ حيث سيتصلّب الموقف الصهيوني ، وتستغلّه الدول العربية في الدعاية ، والنتيجة أن تنتهي العملية السياسية إلى مأزق .

مفكرون عالميون: أنابوليس ليس الطريق الصحيح

في مؤتمر شعبي حاشد انعقد في الولايات المتحدة مؤخراً قبيل مؤتمر أنابوليس، قال المفكر الأمريكي البارز ناعوم تشومسكي وأسقف جنوب إفريقيا ديزموند توتو - الحائز على جائزة نوبل للسلام - : إن مؤتمر أنابوليس ليس الطريق الصحيح للسلام، وإن السلام يبدأ بإزالة الفصل العنصري الذي يمارسه الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني.

انعقد المؤتمر الأخير بعنوان : «نموذج الفصل العنصري في فلسطين - إسرائيل : إلقاء الضوء على قضايا العدالة والمساواة» ، وذلك في مدينة بوسطن ، عاصمة ولاية ماساشوستس الأمريكية ، قبيل عقد مؤتمر أنابوليس في الولايات المتحدة .

وتحدث في مؤتمر بوسطن عدد من المفكرين العالميين ، على رأسهم المفكر والفيلسوف الأمريكي البارز ناعوم تشومسكي ، وديزموند توتو أسقف جنوب إفريقيا ، والمناضل ضد نظام الفصل العنصري السابق في جنوب إفريقيا .

واعتبر تشومسكي - وهو سياسي أمريكي يهودي بارز ومن أهم علماء اللغويات المعاصرين في العالم - أن الدعم الأمريكي المتواصل للاحتلال «الإسرائيلي» الذي يواصل ضمّ الأراضي الفلسطينية هو أكبر عقبة في طريق السلام .

وقال في كلمته : «إن الجرائم التي تُرتكب ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة وأماكن أخرى - وخصوصاً في لبنان - فظيعة للغاية ، لدرجة أن ردّ الفعل العاطفي الصحيح والوحيد عليها هو الغضب والدعوة إلى القيام بأعمال متشددة ، لكن هذا لا يساعد الضحايا ، بل من المرجح أن يضرهم في الواقع» .

وأضاف تشومسكي - في المؤتمر الذي رعته منظمة (سبيل) ، وهي منظمة مسيحية فلسطينية - : «يتعين علينا أن نعرف أنه لن تكون هناك إجابات واضحة على السؤال عما إذا كان نموذج الفصل العنصري ينطبق في «إسرائيل» أو هنا في بوسطن ، أو في

مكان آخر» .

وقال : «نحن الآن نقرب من مؤتمر أنابوليس التاريخي لجورج بوش - كما يُسمى - بشأن «إسرائيل» وفلسطين ، ولهذا فإنه يمكننا أن نتوقع طوفاناً من الخداع والتشويه لوضع الإطار المناسب ، وينبغي علينا أن نعد أنفسنا لمواجهة عدوان الدعاية ، التي بدأت بالفعل» .

وأضاف تشومسكي - صاحب العديد من الكتب عن السياسة الأمريكية - : «لقد ذهب بوش رقم ٢ (بوش الابن) إلى أبعد مدى في الرفض ؛ فقد أعلن أن المستوطنات غير الشرعية في الضفة الغربية يجب أن تظل جزءاً من إسرائيل ، وهذا يتوافق مع موقف كليتون ، الذي عبر عنه مفاوضه دينيس روس ، عندما قال إن ما وصفه بـ «حاجات إسرائيل لها الأسبقية على حاجات الفلسطينيين» .

يُشار إلى أن تشومسكي صدر له مؤخراً كتاب «الدول الفاشلة . . إساءة السلطة والعدوان على الديمقراطية» ، منتقداً ما يُقال عن ديمقراطية إسرائيل ؛ حيث أشار إلى عدم تساوي غير اليهود مع اليهود في الحقوق لدى إسرائيل ، في حين أن قرى الضفة الغربية بأكملها يتعذر الوصول إليها ؛ لأن جميع الطرق المؤدية إليها تم حفرها بجرافات جيش الاحتلال .

كما تحدث أيضاً في المؤتمر ديزموند توتو ، أسقف جنوب إفريقيا وأحد الرموز البارزة في مقاومة نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا ، داعياً «إسرائيل» ومؤيديها إلى اتباع دعوة الكتاب المقدس إلى «الوقوف دائماً إلى جانب الضعيف والمظلوم والمضطهدين ، ضد الملوك والظالمين الأقوياء» ، وانتقد توتو - الحاصل على جائزة نوبل للسلام في ١٩٨٤م - سياسة الاحتلال «الإسرائيلي» ضد المواطنين الفلسطينيين ، والصّعب التي يضعها الاحتلال أمام الفلسطينيين على نقاط التفتيش والمعابر ؛ حيث قال : « . . . لقد استعدت تجربتي (مع نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا) عندما رأيت نقطة تفتيش أمنية يُضطرّ الفلسطينيون للتفاوض عليها أغلب حياتهم ، حتى إنني تذكرت بألم شديد نفس نقاط التفتيش في جنوب إفريقيا

العنصرية، عندما كان رجال الشرطة البيض يعاملون جميع السود مثل القاذورات». يُشار إلى أن توتو عضو في جماعة دولية من حكماء العالم، تضم الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر، ونيلسون مانديلا، الرئيس الأسبق لجمهورية جنوب إفريقيا، وكوفي عنان، الأمين العام السابق للأمم المتحدة، ومحمد يونس، الفائز بجائزة نوبل للسلام هذا العام ومؤسس بنك جرامين للفقراء.

وأضاف توتو أنحكام نظام الفصل العنصري قرروا في النهاية التفاوض مع أعدائهم اللدودين (من السود)، «ووجدوا الأمن الذي راوغهم لفترة طويلة وكلف الكثير من المعاناة والدم، (لكنه) لم يأت من ماسورة البندقية، لا، لقد جاء عندما تم الاعتراف بالطموحات الشرعية والحقوق الإنسانية للجميع واحترامها».

وختم الأسقف كلمته بقوله: «لقد حدث هذا منذ ١٣ عامًا، وما زال السلام مستمرًا... إن اليهود لا يتغنون عن عالم جيد ورحيم وعادل، وكذلك الفلسطينيين».

وتجدر الإشارة إلى أن الاحتلال «الإسرائيلي» كان قد منع ديزموند توتو في ٢٠٠٦م من دخول قطاع غزة على رأس وفد تابع للأمن المتحدة؛ للتحقيق في قيام قوات الاحتلال بقتل ١٩ فلسطينياً في غزة العام الماضي.

الوهم المعشوق في أنابوليس!!

سبقت أنابوليس فتن كقطع الليل المظلم، بدأت بالإيقاع بين فتح وحماس وثبتت بعضيان فتحاوي يستتبعه عدم الاعتراف بحماس كبديل أو كمشارك في السلطة، وثلثت بنزع السلطات من الحكومة الحماوية وإعطائها لشخص واحد أسموه «الرئيس عباس»، والرابعة: أعطوه قيادة القوة الأمنية وتركوا وزير الداخلية الذي يريد أن يحفظ الأمن بدون حول ولا قوة، والخامسة: أخذت إسرائيل وبعض الدول العربية تدرب القوى الأمنية وتسلحها لا لتدافع عن الوطن أو المقدسات، ولكن لتستطيع القضاء على حماس، والسادسة: إطلاق يد القوى الأمنية لتفعل ما تشاء في غزة والضفة، مما نتج عنه انفلات أمني موصى به من قبل عملاء إسرائيل، والسابعة: حرق الجامعة الإسلامية ودور العلم، والثامنة: تسليم قوى الأمن لـ «محمد دحلان» الإسرائيلي انتماؤه والعدو للدود لحماس ليؤلف «فرق الموت» الممولة بالكامل من إسرائيل، والتاسعة: محاولة قتل رئيس الوزراء من قبل زبانية فتح وقد قُتل العديد من حراسه وأصيب الآخرون، والعاشر: وضع مخطط للقضاء النهائي على حماس ولو أحرقت غزة أو قتل في سبيل ذلك الألوف المؤلفة، والحادية عشرة: الإيعاز لإسرائيل باعتقال نواب المجلس التشريعي ورئيسه، والثانية عشرة: حصار خانق على غزة لإجاعة أهلها وقطع الرواتب عنهم، والثالثة عشرة: إغلاق المعبر الأساسي «رفع»، حتى تظل غزة في سجن كبير، والرابعة عشرة: محاولة إقامة القلاقل في غزة بين الحين والآخر، والخامسة عشرة: انكشاف وثائق المخابرات التي تحمل العمالة والخيانة والفضائح الخلقية.

هذا وغيره الكثير والكثير الذي كان آخره وليس آخراً الارتقاء في حضن إسرائيل لتهزأ بهم هم والعرب ولتعرضهم على المدافعين بحق عن مقدسات المسلمين آناء الليل وأطراف النهار، وتلعب بهم وتعددهم وتمنيهم، وما يعددهم الشيطان إلا غروراً.

وقد سمعنا مراراً مواقف حماس من حركة فتح تلك المواقف التي تعبر عن أجواء ودية خالصة لصالح الشعب الفلسطيني، وسمعنا مراراً عن حرص حماس على لُحمة الشعب الفلسطيني وطلبها للحوار مع محمود عباس والفتحوايين السائرين في فلكه، وما زالت تواصل طلب الحوار. ويظهر أن طلب الحوار والحرص على لم شمل الشعب الفلسطيني أصبح يُساوَم عليه من قبل البعض الذين يريدون استثمار هذا الوضع لصالحهم في البقاء على كراسيهم المتهارة، ونهبهم للمال الحرام، وبقائهم في أحضان الصهيونية حراساً أمناء للاستعمار والقهر الإسرائيلي مستقوين بحرابه، ولهذا نسمع بعض المقهورين من «فتح» يضعون شروطاً تعجيزية للحوار لإعادة الوضع المأساوي كما كان، فيقولون: لا يمكن أن يجري حوار مع حماس إلا بعد أن تعاد الأمور على الساحة الداخلية الفلسطينية لطبيعتها ويتراجع الانقلابيون عن الانقلاب وتبعاته، ويلتزموا إعلان التقييد بالتزامات منظمة التحرير الفلسطينية ويعتذروا للشعب الفلسطيني عما بدرَ منهم.

وأضاف المسؤول الفتحاوي قائلاً: إن كل هذه التحركات التي تدور بين الجانبين لا تسمى حواراً، فالحوار سيبدأ عندما تسلم حماس جميع مقررات السلطة الأمنية فيها، والمدنية، والخاصة إلى السلطة الوطنية ممثلة في الرئيس محمود عباس، والاعتذار للشعب الفلسطيني. هنا فقط يمكن أن يبدأ الحوار!!

ولا ندري كيف يطلب من الحكومة الفلسطينية التي انقلبت عليها فتح مع أنها السلطة الشرعية الوحيدة المنتخبة من الشعب تسليم كل هذا إلى فرد واحد يسمى عباس «الشرعي» رغم ما عددناه من حوالي عشرين اعتداء وأكثر عليها في محاولة لاستئصالها لصالح إسرائيل، هل هذا يصلح شرطاً لاستئناف الحوار؟ أم أن هذا إملاء على قوى وطنية شرعية صامدة في وجه المغتصب وعملائه، ثم من الذين ينبغي له أن يعتذر للشعب الفلسطيني؟ أهم الذين يحرضون على الانفلات الأمني ويؤلفون فرق الموت لقهر الشعب لحساب اليهود والفساد والمصالح الخاصة؟! ثم من الذي يؤمر بالاعتذار للشعب الفلسطيني الذين يحاورون العدو ويهرولون وراءه بغير طائل؟ ويضيعون المقدسات ويسكتون على هدم بيت المقدس بالحفريات الدائرة

والمتمرة حول المسجد الأقصى، بدون حتى أدنى اعتراض؟ ويمسكتون على بناء الجدار العنصري الذي يقطع البلاد قطعاً وأشلاء ويصمتون عن موجات القتل المستمر من اليهود للشعب الفلسطيني الذين لا يتوقفون عن بناء المستعمرات ليلاً ونهاراً، ويحاصرون الشعب الفلسطيني ويمنعون عنه الغذاء والكساء والدواء؟

هؤلاء هم الذين يجب أن يعتذروا للشعب الفلسطيني عن الغباء والبلادة والخداع الذي وقعوا فيه، بعد وقوعهم في «أوسلو» الأولى والثانية و«واي ريفر» وسواها وبعد خداعهم وضياع وقتهم وتخديرهم بـ «خريطة الطريق»، ثم بعد بدعة «أنابوليس» التي تمخضت فولدت فأراً يعلن عن قرارات التفاوض على التفاوض!! ونسوا في زحمة «الاستعباط» حق العودة، ومدينة القدس، والحدود وغيرها من المطالب المشروعة للشعب الفلسطيني، بل مما زاد الطين بلة جرّ العرب إلى الجلوس مع إسرائيل والتطبيع معها وإضافة تعبير «الدولة اليهودية» أو «دولة الشعب اليهودي» والحض على اغتيال المقاومة وطلب بوش من الفلسطينيين تنازلات سماها بـ «المؤلة» وهي: حق العودة، وحق الفلسطينيين في مدينة القدس.

ومع كل هذا وبعد ذلك، هل يستطيع أحد أن يتحدث أن هناك سلطة تسمى «عباس» يتطبع بعقليته هذه أو بمن حوله أن يكون أميناً على مقدرات الشعب؟ وهل يستطيع بتوريطه للعرب أن يكون أهلاً لعون العرب؟

أقول، وتقول معي الشعوب المسلمة: لا، وألف لا.

ملخص تاريخ القضية الفلسطينية

(١٨٩٧م. ١٩٩٥م)

١٨٩٧م: عقد أول مؤتمر صهيوني في (بازل) في سويسرا، حيث أعلن الصحفي اليهودي النمساوي (ثيودور هرتزل) عن احتمالية، أو إمكانية إقامة دولة يهودية في فلسطين خلال ٥٠ عاماً.

١٩٠١م: بدأ المؤتمر الصهيوني الخامس يجمع التبرعات للصندوق القومي اليهودي من أجل شراء أراض في فلسطين.

١٩١٤/٧/١م: اندلعت الحرب العالمية الأولى.

١٩١٦/٥/١٦م: وقّعت فرنسا وبريطانيا اتفاقية (سايكس - بيكو) السريّة، لاقسام ممتلكات الامبراطورية العثمانية إلى مناطق نفوذ بريطاني وفرنسي «البلاد العربية».

١٩١٧/١١/٢م: أصدرت بريطانيا (وعد بلفور) الذي يدعو إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

١٩١٧/١٢/٩م: دخل الجنرال البريطاني (أدموند اللني) إلى القدس، وقال: الآن انتهت الحروب الصليبية.

١٩١٨/٨/٣١م: بعث الرئيس الأمريكي (وورد ويلسون) برسالة إلى الحاخام (ستيفن وايز) يعبر فيها عن موافقته على وعد بلفور.

١٩٢٠/٧/١م: عين (هربرت صموئيل) أول مندوب سام على أرض فلسطين.

١٩٢٠م: منعت قوات الانتداب البريطاني انعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني الثاني في القدس في شهر مايو (أيار)، وقد عقد المؤتمر الفلسطيني الثالث في حيفا، وانتخبت لجنة تنفيذية بقيت تحكم الحركة السياسية الفلسطينية حتى عام ١٩٣٥م.

١٩٢١/٦/٥م: انعقد المؤتمر الفلسطيني الرابع في القدس، وقرر إرسال وفد إلى

لندن لشرح وجهة النظر الفلسطينية حول وعد بلفور .

فبراير ١٩٢٢م: أعلن عن تشكيل وفد فلسطيني ثان وإرساله إلى لندن ، ليعبر عن رفضه لوعد بلفور ، لمكرتير الاستعمار البريطاني (ونستون تشرشل) ، والمطالبة بالاستقلال الوطني الفلسطيني .

١٩٢٢/٦/٣٠م: صادق الكونجرس الأمريكي على وعد بلفور .

١٩٢٢/٧/٣م: أصدر (ونستون تشرشل) الورقة البيضاء حول فلسطين ، موضحاً مفهوم الوطن القومي اليهودي ، ومنكراً بأن وعد بلفور سيؤدي إلى قيام دولة يهودية في فلسطين ، كما استثنى في ورقته شرق الأردن من هذا الوعد .

سبتمبر ١٩٢٣م: الانتداب البريطاني على فلسطين ، طبقاً لقرار عصبة الأمم المتحدة .

سبتمبر ١٩٢٣م: اندلاع الثورة الفلسطينية ضد اليهود والبريطانيين .

١٩٣٠/١٠/٢٠م: أصدر البريطانيون الكتاب الأبيض الذي يحدد أعداد المهاجرين اليهود ويمنع بيع الأراضي لهم .

١٩٣١/٢م: بعث رئيس الوزراء البريطاني (رمزي ماكدونالد) برسالة إلى (حاييم وايزمان) يؤكد له فيها أن بريطانيا ملتزمة بقيام وطن قومي لليهود في فلسطين ذلك بعد الانتقادات اليهودية للكتاب الأبيض .

١٩٣٥/١١/٢٠م: استشهاد المجاهد عز الدين القسام في معركة أحراش يعبد ، على يد القوات البريطانية .

١٩٣٦م: من شهر أبريل (نيسان) ، حتى أكتوبر (تشرين الأول) : الإضراب الفلسطيني الكبير .

١٩٣٦/٥/١٨م: عينت بريطانيا لجنة (ريل) للتحقيق في أسباب الثورة الفلسطينية .

١٩٣٩م: عقد مؤتمر عربي - بريطاني حول فلسطين ، في لندن .

١٩٣٩/١٠م: تشكلت العصابة الصهيونية (شتيرن) بقيادة (أبراهام شتيرن) الذي قُتل فيما بعد على يد الشرطة البريطانية في عام ١٩٤٢م.

١٩٤٥/٨/١٦م: دعا الرئيس الأمريكي (هاري ترومان) إلى توطين اليهود في فلسطين.

١٩٤٦/٧/٢٢م: نسف فندق الملك داود في القدس من قبل عصابة مناحيم بيغن، مما أدى إلى مقتل ٩٥ شخصاً بريطانياً وعربياً.

١٩٤٧/١١/٢٩م: صوتت الأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين: واحدة عربية، والأخرى يهودية، وذلك ابتداءً من ١/١٠/١٩٤٨م، ولكن المندوبين العرب شجبوا القرار وخرجوا من الجلسة احتجاجاً عليه.

١٩٤٨/٤/٨م: استشهد القائد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل.

١٩٤٨/٤/٩م: حدثت مذبحة دير ياسين حيث قتلت العصابات الصهيونية أكثر من ٢٥٠ شخصاً، منهم ١٠٠ امرأة وطفل، بقيادة الإرهابي (مناحيم بيغن).

١٩٤٨/٤/١٣م: أعلنت الجامعة العربية الحرب ضد عصابات اليهود في فلسطين.

١٩٤٨/٥/١٤م: أعلن عن إنشاء دولة إسرائيل وانتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين.

١٩٤٨/٥/١٥م: اعترف الرئيس الأمريكي (هاري ترومان) بإسرائيل الساعة ١٢ و١١ دقيقة صباحاً.

١٩٤٨/٥/١٥م: دخلت خمسة جيوش عربية (الأردن، ومصر، والعراق، وسورية، ولبنان) إلى فلسطين؛ لإنقاذها من براثن العصابات الصهيونية.

١٩٤٨/٦/١١م: أعلن عن هدنة بين العرب واليهود لمدة أربعة أسابيع.

١٩٤٨/٩/١٧م: اغتالت العصابات الصهيونية وسيط الأمم المتحدة للسلام (الكونت برنادوت).

- ١٩٤٨/٩/٢٠م: أعلنت الجامعة العربية عن قيام دولة عموم فلسطين .
- ١٩٤٩/١/٢٥م: أصبح ديفيد بن غوريون أول رئيس لوزراء الدولة اليهودية .
- ١٩٤٩/٥/١٠م: أصبحت إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة .
- ١٩٤٩/١٢/١٦م: أعلن رئيس الوزراء الصهيوني بن غوريون بأن القدس ستصبح عاصمة للدولة إسرائيل ابتداء من ١/١/١٩٥٠م .
- ١٩٥٠/٣/١٧م: اعترفت تركيا وإيران بإسرائيل .
- ١٩٥٠/٤/٢٤م: أعلنت وحدة الضفتين الغربية والشرقية لنهر الأردن .
- ١٩٥٠/٥/٣١م: هاجمت العصابات الصهيونية وادي عربة، وقتلت ٣٠ عربياً .
- ١٩٥١/٥/١٨م: احتجت الأمم المتحدة على المحاولات الصهيونية لتحويل مجرى بحيرة الحولة .
- ١٩٥٢/١٠/١٥ - ١٤م: تم تنفيذ مذبحه قبية حيث قتل ٤٢ فلسطينياً وهدم ٤١ منزلاً .
- ١٩٥٤/١١/٢م: بدأت إسرائيل بتحويل مجرى نهر الأردن .
- ١٩٥٦/١٠م: مذبحه كفر قاسم، على يد (أريئيل شارون) حيث قتل ٤٧ عربياً .
- ١٩٥٦/١٠/٢٩م: هاجمت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، مصر . فيما يسمى بالعدوان الثلاثي من أجل السيطرة على قناة السويس، وقد احتلت قوات الغزو الإسرائيلي غزة وسيناء .
- ١٩٥٧/٣/١م: انسحبت القوات الصهيونية الغازية من غزة .
- ١٩٦٦/١١/١٣م: هاجمت القوات الصهيونية قرية السموع في جنوب الخليل، وقتلت ١٨ شخصاً وجرح ٥٤، وهدمت ١٢٥ منزلاً .
- ١٩٦٧/٦/٥م: بدأت القوات الصهيونية حرب يونيو (حزيران) عندما هاجمت الأردن ومصر وسورية ولبنان .

١٩٦٧/٦/٧م: احتلت القوات الإسرائيلية الغازية كامل الضفة الغربية وغزة وسيناء .

١٩٦٧/٦/١٠م: احتلت القوات الصهيونية هضبة الجولان السورية .

١٩٦٧/١١/٢٢م: صدر قرار ٢٤٢ عن الأمم المتحدة الذي يدعو إسرائيل إلى الانسحاب من جميع الأراضي التي احتلت في حرب عام ١٩٦٧م .

١٩٦٨/٧/١٠م: اجتمع المجلس الوطني الفلسطيني لأول مرة في القاهرة .

١٩٦٩/٨/٢١م: تم إحراق المسجد الأقصى من جانب سائح يهودي استرالي عاش في الكبوتسات الصهيونية لفترة من الزمن .

١٩٧٠/٩/١٩م: بداية فتنة سبتمبر (أيلول) بين الجيش الأردني والفدائيين الفلسطينيين .

١٩٧١/١٠/٤م: أعلن المبعوث الأمريكي (روجرز) عن خطة سلام للشرق الأوسط .

١٩٧٣/١٠/٦م: بدأت حرب رمضان (أكتوبر) على الجبهة المصرية والسورية ضد الدولة اليهودية .

١٩٧٣/٤/٢٣م: أصبح إسحاق رابين رئيساً للوزراء .

١٩٧٤/٤/٢٩م: بدأ وزير الخارجية الأمريكي (هنري كينجر) جولته في الشرق الأوسط للعمل على فصل القوات على جبهات القتال .

١٩٧٥/١١/١٠م: تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ٣٣٧٩ الذي يساوي الصهيونية بالعنصرية .

١٩٧٧/٦/٢١م: أصبح مناحيم بيغن رئيساً للوزراء في إسرائيل .

١٩٧٧/٨/١٠م: زار وزير الخارجية الأمريكية (سايروس فانس) الشرق الأوسط في مهمة تتعلق بالسلام .

١٩/١١/١٩٧٧م: زار الرئيس المصري محمد أنور السادات، إسرائيل، كأول رئيس عربي يزورها علناً منذ قيامها.

١٧/٩/١٩٧٨م: وقّع الرئيس السادات ومناحيم بيغن والرئيس الأمريكي جيمي كارتر اتفاقية معسكر داوود-أو كامب ديفيد.

١٠/٣/١٩٨٠م: أصبح إسحاق شامير رئيساً للوزراء في إسرائيل.

٣٠/٧/١٩٨٠م: أكدت الكنيست الإسرائيلية (البرلمان)، على وحدة القدس بشطريها الشرقي والغربي.

٦/٦/١٩٨٢م: بدأت القوات الغازية الإسرائيلية بغزو لبنان باسم سلامة الجليل لضرب البنية التحتية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

٦/٨/١٩٨٢م: دخلت القوات الصهيونية إلى غرب بيروت.

٢١/٨/١٩٨٢م: بدأت قوات منظمة التحرير بالجلء عن بيروت.

٩/٩/١٩٨٢م: عقد قمة فاس العربية في المغرب، وتم الإعلان عن خطة سلام تتضمن انسحاب إسرائيل من أراضي ما قبل سنة ١٩٦٧م، وقيام دولة فلسطينية وضمان أمن وسلام جميع الأطراف في المنطقة.

١٦ - ١٨/٩/١٩٨٢م: تعاونت القوات الإسرائيلية بقيادة أرئيل شارون مع قوات الكتائب المارونية في لبنان، لذبح سكان مخيمي صبرا وشاتيلا ليلاً، وقد قُتل أكثر من ٢٠٠ رجل وامرأة وطفل.

١٩/٩/١٩٨٢م: أصدر مجلس الأمن الدول قراره رقم ١٢٥ الذي يدين مذبحه صبرا وشاتيلا.

٢٠/٥/١٩٨٥م: بدأت القوات الإسرائيلية الغازية، بالانسحاب من شرق ووسط لبنان.

٢٠/٥/١٩٨٥م: أطلقت إسرائيل سراح ١١٥٠ فلسطينياً مقابل إطلاق سراح ٣ جنود أسرى كانوا لدى الفلسطينيين.

- ١٩٨٧/١٢/٩م: اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في الضفة والقطاع .
- ١٩٨٨/١/٣م: بدأت القوات الصهيونية تنفيذ سياسة الإبعاد خارج فلسطين لقيادات الانتفاضة الكبرى .
- ١٩٨٨/٢/١٥م: قامت قوات الاحتلال الصهيوني بدفن ٤ فلسطينيين وهم أحياء بالجرافات وتم انتشالهم فيما بعد وإنقاذهم .
- ١٩٨٨/٤/١٢ - ١٠م: بداية استقالات العاملين الفلسطينيين في الشرطة لدى الحكم العسكري في الضفة والقطاع .
- ١٩٨٨/٤/١٦م: تم اغتيال خليل الوزير (أبو جهاد) في تونس ، على يد وحدة من المخابرات الإسرائيلية «الموساد» .
- ١٩٨٨/٦/٩ - ٧م: عقد مؤتمر القمة العربي لدراسة أوضاع الانتفاضة .
- ١٩٨٨/٧/٣١م: أعلن الملك حسين عن فك الارتباط القانوني والإداري بين الأردن والضفة الغربية .
- ١٩٨٨/١١/١٥م: أعلن المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في الجزائر عن قيام دولة فلسطينية مستقلة في غزة والضفة الغربية معترفاً ضمناً بإسرائيل .
- ١٩٨٩/١/١١م: أبعدت السلطات الإسرائيلية ١٣ فلسطينياً من قادة الانتفاضة .
- ١٩٩٠/٨/٢م: احتل العراق الكويت .
- ١٩٩١/١/١٥م: تعرّض العراق لعدوان جوي وبحري شامل من جانب الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين .
- ١٩٩١/٣/٦م: إعلان الولايات المتحدة لمبادرة عقد مؤتمر السلام في الشرق الأوسط ؛ لحل النزاع العربي الإسرائيلي بعد ٣ أيام من انتهاء العدوان على العراق .
- ١٩٩١/١٠/٣٠م: افتتح مؤتمر سلام الشرق الأوسط في مدريد برعاية الولاية المتحدة والاتحاد السوفيتي بحضور أطراف الصراع المعنية .
- ١٩٩٢/٦/٢٣م: تسلّم السلطة في إسرائيل ائتلاف حزب العمل بقيادة إسحاق

رايين بعد فوزه بالانتخابات على أساس برنامج انتخابي يضمن فكرة التفاوض مع الفلسطينيين بهدف منحهم حكماً ذاتياً.

١٩٩٣/٩/١٣م: وقَّعت إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية إعلان المبادئ «اتفاقية أوسلو»، الذي جدد معالم مشروع الحكم الذاتي الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وذلك في احتفال أقيم في البيت الأبيض الأمريكي بواشنطن.

١٩٩٤/٥/٤م: وقَّعت إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في القاهرة، اتفاقاً حول تنفيذ الحكم الذاتي في قطاع غزة ومدينة أريحا على أن يلي التوقيع وفي غضون أسابيع، إعادة انتشار عسكري إسرائيلي، وتسلم الحلطة الفلسطينية زمام الأمور في هاتين المنطقتين.

١٩٩٤/٧/١م: دخل ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية إلى غزة وتسلم منصب رئيس الحلطة الفلسطينية.

١٩٩٤/١٠/٢٦م: وقَّع الأردن وإسرائيل معاهدة سلام في احتفال أقيم على الحدود بينهما في وادي عربة، وحضره الرئيس الأمريكي (بيل كلينتون).

١٩٩٥/٩/٢٤م: توصل ياسر عرفات ووزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيريز إلى اتفاق حول تفاصيل تنفيذ الحكم الذاتي في معظم الأراضي المأهولة بالفلسطينيين في الضفة الغربية المدن الرئيسة، فيما عرف بـ «اتفاق أوسلو - ٢»، أو: «اتفاق المرحلة الانتقالية»، أو: «اتفاقية طابا».

١٩٩٦/٥/٢٩م: استلم الحكم في إسرائيل حزب الليكود على إثر الانتخابات، فتسبب في وقف عملية السلام لأكثر من ستة شهور كاملة.

١٩٩٧/١/١٥م: تم التوقيع على اتفاق جزئي يقضي باستكمال إعادة انتشار القوات الإسرائيلية في مدينة الخليل بعد تقسيمها بين الجانبين، وتقاسم السلطات الأمنية فيها.

١٩٩٩/٥/٤م: إقدام السلطة على إعلان الدولة، ولكنها تراجعت في اللحظات

الأخيرة، ثم عاودت ذلك في شهر ٩ / ٢٠٠٠م، ولكنها تراجعت أيضاً.
وأخيراً: مفاوضات كامب ديفيد المتكررة في سنة ٢٠٠٠م، والتي وقفت قضية
القدس إلى الآن في طريق التسوية المزعومة، وما زالت المفاوضات إلى اليوم تراوح
في مكانها، والخاسر دائماً هو العنصر الأضعف، والرابح هو الأقوى. ونحن
الأقوى بالجهاد والحق والصبر والصمود، ولكن:

هل تريد ذلك السلطة الفلسطينية؟

وهل يريد ذلك العرب؟

وهل تُطلق يد المجاهدين كما فعلت لبنان؟!

الفصل الثالث

حجم التسليح العربي والإسرائيلي في هذه الأيام

وحجم الوهن

ذكرنا في ص ٩٢ ، ٩٣ حجم القوة العسكرية الإسرائيلية والعربية في سنة ١٩٤٨م ، وتبين أن القوات الإسرائيلية كانت حوالي ١٩٠ ألفاً ، مقابل ٢٠ ألف جندي عربي ، بأسلحة بالية . واستطاعت هذه الجيوش - رغم الخيانات - أن تقف أمام اليهود ، ومعهم قلة من الفدائيين ١٠ آلاف ، أن توقف الجيش الإسرائيلي ، وتجعله يطلب الهدنة مرّات ومرّات ، وكادت الجيوش العربية أن تتصرّ رغم الخيانات ، والآن انقلبت الآية ، والجيوش العربية والإسلامية المحيطة بإسرائيل فقط أضعاف أضعاف جيش إسرائيل . ولكن الوهن ، والخوف من إسرائيل ، صار أضعاف أضعاف (سنة ١٩٤٨م) ، مما هو سبب ذلك .

وإليك بيانات التسليح لهذه الجيوش ؛ حتى يكون الجميع على بينة من الأمر :

جدول رقم (١)
القوات المسلحة الإسرائيلية

البيانات العامة	حجم القوة	نوعية القوة
القوات النظامية	١٧٥,٠٠٠ جندي	بينهم ١٣٨٥٠٠ من المجندين لفترات مختلفة.
القوات الاحتياطية	٤٣٠,٠٠٠ جندي	تضاف إليها القوات شبه العسكرية في الدفاع المدني.
القوات عند التعبئة	٦٠٥,٠٠٠ جندي	يعبر الرقم عن الحجم الحقيقي لقوة الجيش بعد الاستدعاء.
القوات البرية	١٣٤,٠٠٠ جندي	تضمهم ٣ فرق مدرعة تصل إلى ١٢ فرقة عند التعبئة.
دبابات القتال الرئيسية	٤٣٠٠ دبابة	بينها ١٠٠٠ دبابة ميركافا و ١٢٠٠ طرازات إم - ٦٠.
العربات المدرعة ونقلات الجنود	٩٨٨٠ عربة	تضم ٥٩٠٠ ناقلة جند مدرعة من طراز إم - ١١٣
قطع المدفعية والمدفعية الصاروخية	٤٣٧٠ قطعة	تمتلك إسرائيل ٤٠٠ هاوت ذاتي الحركة.
القوات الجوية	٣٢,٠٠٠ جندي	بعض عناصرها تتمركز دورياً في تركيا للتدريب المشترك.
طائرات القتال والقاذفات	٤٤٨ طائرة	تضاف إليها ٢٥٠ في المخازن، وبينها طائرات إف - ١٥.
الهليكوبتر المسلح	١٣٠ طائرة	أهمها طائرات «أباتشي» الأمريكية.
القوات البحرية	٩,٠٠٠ جندي	توجد ٣ قواعد بحرية لدى إسرائيل: حيفا، أشدود، إيلات.
القواصات	٣ غواصات	بينها واحدة من طراز دولفين ٢١٢ متطورة.
فرقاطات، مدمرات	لا توجد	لا تضم القوة البحرية الإسرائيلية قطع بحرية من هذا النوع.
زوارق الصواريخ	٢١ زورقا	لدى إسرائيل ٣ زوارق كورفيت، و ٢٩ زورق دورية.
الصواريخ أرض - أرض	جيركو - ٢	بينها ١٠٠ صاروخ جيكو - ٢ غالباً محملة برؤوس نووية.
أسلحة التدمير الشامل	نووية - كيميائية	لا يوجد تقدير محدد لعدد الرؤوس النووية الإسرائيلية.

جدول رقم (٢)
القوات المسلحة المصرية

البيانات العامة	حجم القوة	نوعية القوة
القوات النظامية	٤٥٠,٠٠٠ جندي	بينهم ٣٢٠,٠٠٠ من المجندين، والبقية من العاملين.
القوات الاحتياطية	٢٥٤,٠٠٠ جندي	احتياطي القوات البرية حوالي ١٥٠,٠٠٠ .
القوات البرية	٣٢٠,٠٠٠ جندي	تضم ٤ فرق مدرعة، و ٨ فرق مشاة ميكانيكية.
دبابات القتال الرئيسية	٣٧٠٠ دبابة	بينها ٤٠٠ إم - ١، ١٧٠٠ دبابة طراز إم - ٦٠.
العربات المدرعة ونقلات الجنود	٥١١٥ عربة	بينها ٢٢٠ بي إم بي، ١٩٤٤ من طراز إم ١١٣.
قطع المدفعية والمدفعية الصاروخية	٤٠٠٣ قطع	بينها ٢٧٠ ذاتية الحركة، بينها ٧٦ إس بي ١٢٢.
القوات الجوية	٣٠,٠٠٠ جندي	تضم في صفوفها ١٠٠٠٠ من المجندين.
طائرات القتال والقاذفات	٥٧٢ طائرة	وصل عدد طائرات إف - ١٦ إلى ١٤٠.
الهليكوبتر المسلح	١٢٥ طائرة	بينها ٣٦ من طراز إيه إتش ٦٤ «أباتشي».
القوات البحرية	٢٠,٠٠٠ جندي	تتمركز في ٦ قواعد بحرية على شواطئ الدولة.
القواصات	٨ غواصات	٤ غواصات سوفيتية، و ٤ غواصات صينية طرازات «رومبو»
الفرقاطات	٨ فرقاطات	بينها ٢ من طراز بيرى و ٢ طراز نوكي الأمريكية.
المدمرات	١ مدمرة	المدمرة الفتح، إضافة إلى قطع بحرية أخرى.
زوارق الصواريخ	٢٥ زورقا	تمتلك مصر ١٨ زورق دورية ساحلية.
الصواريخ أرض-أرض	سكاد - بي	تم الإشارة إلى امتلاك ٩ منصات إطلاق.
أسلحة التدمير الشامل	قدرات كيميائية	تقارير تفيد بامتلاك مصر قدرة على إنتاج أسلحة كيميائية

جدول رقم (٣)
القوات المسلحة السورية

البيانات العامة	حجم القوة	نوعية القوة
القوات النظامية	٤٢٠,٠٠٠ جندي	مدة الخدمة الإلزامية ٣٠ شهراً في الجيش السوري.
القوات الاحتياطية	٥٠٠,٠٠٠ جندي	مدة الخدمة في الاحتياط تمتد حتى سن ٤٥ سنة.
قوات خارج الحدود	٣٠,٠٠٠ جندي	تشتمل على فرقة ميكانيكية، وعناصر ملحقة في لبنان.
القوات البرية	٣١٥,٠٠٠ جندي	تشتمل على ٦ فرق مدرعة و٣ فرق ميكانيكية.
دبابات القتال الرئيسية	٤٦٠٠ دبابة	منها ١٥٠٠ تي ٧٢، ٢١٠٠ تي ٥٤/٥٥، ٢٠٠ في المخازن
العربات المدرعة وناقلات الجنود	٤٥١٠ عربة	بينها ٢٣١٠ بي إم، ١٥٠٠ بي تي آر طرازات متعددة.
قطع المدفعية والمدفعية الصاروخية	٣٢١٨ قطعة	تضم ٤٥٠ مدفعاً ذاتي الحركة ١٥٢/١٢٢ مم.
القوات الجوية	٤٠,٠٠٠ جندي	—
طائرات القتال والقاذفات	٥٨٩ طائرة	أهم طرازاتها ٢٠ طائرة ميج - ٢٩ روسية الصنع.
الهليكوبتر المسلح	٧٢ طائرة	بينها ٢٣ طائرة إس إيه - ٣٤٢ إل.
القوات البحرية	٥٠٠ جندي	تعمل في ٣ قواعد بحرية أهمها اللاذقية وطرطوس.
القواصات	٣ غواصات	سوفيتية الصنع من طراز «روميو» - متقدمة.
فرقاطات - مدمرات	٤ فرقاطات	مسلحة بأنظمة تسليح مختلفة بينها «هاربو».
زوارق الصواريخ	١٦ زورقا	توجد ٢٤ قطعة بحرية مختلفة ضمن القوات السورية.
الصواريخ أرض - أرض	سكاد بي - سكاد سي	إضافة إلى صواريخ سطح - سطح أخرى متعددة.
أسلحة التدمير الشامل	قدرات كيميائية	تم الإشارة إلى امتلاك سورية قدرات كيميائية.

جدول رقم (٤)
القوات المسلحة الأردنية

البيانات العامة	حجم القوة	نوعية القوة
القوات النظامية	١٠٤,٠٥٠ جندي	عدد سكان الأردن ٤,٧ مليون من ٥٠ - ٦٠٪ منهم فلسطينيون.
قوات الاحتياط	٣٥,٠٠٠ جندي	احتياطي القوات البرية ٣٠,٠٠٠ جندي، الخدمة العسكرية حتى ٤٠ سنة.
قوات شبه عسكرية	١٠,٠٠٠ جندي	قوات أمن شبه عسكرية تتبع وزارة الداخلية لديها دبابات صغيرة
القوات البرية	٩٠,٠٠٠ جندي	تشتمل على فرقتين مدرعتين وفرقتين مشاة ميكانيكية.
دبابات القتال الرئيسية	١١٤١ دبابة	تضم ٢٧٨ دبابة من طرازات إم - ٦٠ أيه ١ - ٣.
المربات المدرعة وناقلات الجنود	١٣٠٥ عربة	بينها ٣٥ طراز بي إم بي، و ١١٠٠ طراز إم - ١١٣.
قطع المدفعية والصاروخية	٩٣٥ قطعة	تضم ٣٧٠ مدفعاً ذاتي الحركة، و ٤٥٠ مدفع هاون.
القوات الجوية	١٣,٤٠٠ جندي	عدد ساعات الطيران ١٨٠ ساعة.
الطائرات القتالية والقاذفات	٩٧ طائرة	أهم عناصرها ٣٠ طائرة من طراز ميراج إف - ١.
الهليكوبتر المسلح	٢٤ هليكوبتر	الطائرات من طراز آيه إتش - إس.
القوات البحرية	٦٥٠ جندياً	القاعدة البحرية الوحيدة للأردن في العقبة.
القوات البحرية الرئيسية	٥ قطع	تشمل على زوارق حراسة ودورية ساحلية.
الصواريخ أرض - أرض	لا يوجد	لا يمتلك الأردن صواريخ من هذه النوعية.
أسلحة التدمير الشامل	لا يوجد	لا توجد معلومات حول امتلاك أسلحة تدمير شامل.

جدول رقم (٥)
القوات المسلحة اللبنانية

البيانات العامة	حجم القوة	نوعية القوة
القوات النظامية	٥٥,١٠٠ جندي	عدد سكان لبنان ٤,٤ مليون نسمة من طوائف متعددة.
قوات الجيش	٥٣,٣٠٠ جندي	تضم ١١ لواء مشاة بزيادة ٥ آلاف جندي عن العام الماضي.
دبابات القتال الرئيسية	٣٠٥ دبابة	تضاف إليها ٣٥ دبابة خفيفة أي إم إكس - ١٣.
الغريبات المدرعة	١٠٥٠ عربة	بينها ٧٢٥ عربة من طراز إم - ١١٣، إيه ١ - ٣.
قطع المدفعية	٢٠٣ قطع	تضاف إليها ٣٠ عربة مدفعية صاروخية بي إم.
الطائرات	٣ طائرات	من طرازات هنتر لم تتطور منذ نهاية الحرب الأهلية.
الهلوكبتر المسلح	٤ طائرات	من طراز إس - ٣٤٢.
القطع البحرية	١٤ قطعة	زوارق حراسة ودورية من طرازات مختلفة
عناصر شبه عسكرية	٣٠٠٠ عنصر ملح	العناصر العسكرية لحزب الله مسلحة بأسلحة مختلفة.

التقرير الاستراتيجي العربي - المصدر: The Military Balance, IISS, 1997 - 1998

جدول رقم (٦)
قوات الأمن الفلسطينية

البيانات العامة	حجم القوة	نوعية القوة
الاجموع العام	٣٥,٠٠٠ فرد	قوات شبه عسكرية وعناصر أمن مختلفة.
قوات الأمن العام	١٤,٠٠٠ فرد	٦٠٠٠ فرد في غزة، ٨٠٠٠ فرد في الضفة الغربية.
الشرطة المدنية	١٠,٠٠٠ فرد	٤٠٠٠ فرد في غزة، ٦٠٠٠ في الضفة الغربية.
الأمن الوقائي	٣,٠٠٠ فرد	١٢٠٠ عنصر في غزة، ١٨٠٠ في الضفة الغربية.
الاستخبارات العامة	٣,٠٠٠ فرد	موزعين في مقرات منطقة الحكم الذاتي.
الاستخبارات العسكرية	٥٠٠ فرد	مهام ذات طبيعة خاصة.
أمن الرئاسة	٣٠٠ فرد	مهام خاصة برئيس السلطة الفلسطينية.
عناصر مسلحة	غير محدد	تضم خلايا وعناصر مسلحة مختلفة من حماس والجهاد والمنظمات الأخرى.

التقرير الاستراتيجي العربي - المصدر: The Military Balance, IISS, 1997 - 1998

جدول رقم (٦) القوات المسلحة الإيرانية

البيانات العامة	حجم القوة	نوعية القوة
القوات النظامية	٥١٨,٠٠٠ جندي	عدد سكان إيران ٦٨ مليوناً، ٥١٪ من أصول فارسية.
القوات الاحتياطية	٣٥٠,٠٠٠ جندي	تعمل وحدات منهم ضمن عناصر قوات متطوعين مختلفة
الحرس الثوري	١٢٠,٠٠٠ جندي	تمثل «قوة مسلحة» متكاملة مستقلة عن الجيش الإيراني
القوات البرية	٣٥٠,٠٠٠ جندي	تضمهم ٤ فرق مدرعة، ٦ فرق مشاة عادية
دبابات القتال الرئيسية	١٣٩٠ دبابة	بينها ٢٠٠ من طراز تي-٧٢، ١٦٠ طراز إم-٦٠ - أيه ١
العربات المدرعة وناقلات الجنود	١٠٤٥ عربة	بينها ٤٠٠ طراز بي إم ٢، ٦٠ طراز إم-١١٣.
قطع المدفعية والمدفعية الصاروخية	٩٤٤٣ قطعة	بينها ٢٨٩ ذاتية الحركة، و ٦٥٠٠ مدفع «هاون».
القوات الجوية	٣٠,٠٠٠ جندي	يشتملون على ١٢ ألف جندي دفاع جوي.
الطائرات القتالية والقاذفات	٢٩٧ طائرة	بينها ٣٠ طائرة متطورة من طراز ميج-٢٩ بعضها عراقية
الهليكوبتر المسلح	—	لديها ٢٦ هليكوبتر من طرازات مختلفة.
القوات البحرية	١٨,٠٠٠ جندي	يبلغ حجم القوات البحرية للحرس الثوري ٢٠,٠٠٠ جندي
القواصات	٣ غواصات	روسية الصنع من طراز «كيلو»، ٢ منها في الخدمة.
فرقاطات - مدمرات	١-٣ فرقاطة مدمرة	تمتلك إيران ٨ سفن وزوارق إنزال إضافية.
زوارق الصواريخ	٢٠ صاروخاً	تضاف إليها ٢ كورفيت، ٢٦ زورق دورية.
قطع بحرية رئيسية	٤٠ قطعة بحرية	لدى إيران وحدات مشاة بحرية وقوة جوية ملحقة.
الصواريخ أرض-أرض	سكاد سي - سكاد بي	تقوم إيران بتطوير تلك الصواريخ والحصول على صواريخ جديدة
أسلحة التدمير الشامل	لا توجد معلومات	تقارير تشير إلى وجود برنامج نووي ضخم في طور التطوير

جدول رقم (٨)
القوات المسلحة التركية

البيانات العامة	حجم القوة	نوعية القوة
القوات النظامية	٦٣٩,٠٠٠ جندي	بينهم ٥٢٨ ألفاً من المجندين لمدة ١٨ شهراً.
القوات الاحتياطية	٣٧٨,٧٠٠ جندي	احتياطي القوات البرية ٢٥٨ ألف جندي.
قوات شبه عسكرية	١٨٢,٢٠٠ جندي	تشكيلات الجندرية والحرس الوطني وحرس السواحل.
قوات حلف الناتو	٣٢٣٠ جندياً	قوات أمريكية وبريطانية تضاف إليها القوات الجوية للحلف
دبابات القتال الرئيسية	٤٢٠٥ دبابة	بينها ٩٣٢ إم - ٦٠، ٣٩٧ ليوبار «الألمانية».
العربات المدرعة	٣٦٥٠ عربة	٩٨ عربة قتال مدرعة، ٢٨١٣ عربة طراز إم - ١١٣
قطع المدفعية والمدفعية الصاروخية	٤٢٧٤ قطعة	بينها ٨٥٠ مدفعاً ذاتي الحركة، ١٨٤٢ هاون.
القوات الجوية	٦٣,٠٠٠ جندي	تضاف إليها «القوات الجوية التكتيكية للناتو» في تركيا
الطائرات القتالية والقاذفات	٥٠١ طائرة	بينها ١٧٥ إف - ١٦ سي/دي، ١٠٧ إف - ف.
الهليكوبتر المسلح	—	توجد ٣٨ هليكوبتر هجومية ضمن القوات البرية.
القوات البحرية	٥١,٠٠٠ جندي	تعمل في إطار ٨ قواعد بحرية.
القواصات	١٥ غواصات	توجد لدى تركيا ٢٤ سفينة لبث وكسح الألغام.
فرقاطات - مدمرات	٥ مدمرات	توجد لدى تركيا ٨ سفن إنزال إضافية.
زوارق الصواريخ	١٦ فرقاطة	توجد لدى تركيا ٢٤ سفينة إمداد، ومشاة بحرية.
قطع بحرية رئيسية	١٨ زورقا	يضاف إليها ٥٣ زورقاً داورية وساحلي آخرين.
الصواريخ أرض - أرض	—	ضمن النظام الدفاعي لحلف الناتو.
أسلحة التدمير الشامل	—	ضمن النظام الدفاعي لحلف الناتو.

وبعد أن نظرت إلى كل هذه الجيوش ، وحجم هذا التسلح في مقابل تسلح إسرائيل ، لا بد أن يرد على مخيلتك سؤال :

كيف لم يستطع العرب والمسلمون في هذه المنطقة أن يستردوا فلسطين من اليهود ، ويستردوا المقدسات التي أخذها اليهود ، ثم طردت شعباً بأجمعه من أرضه ووطنه ودياره؟!

بل تجبرهم على الاعتراف بإسرائيل كدولة في المنطقة ، وتريد بذلك أن تستولي على مقدراتهم ، ولا تعطهم حتى أرضهم التي احتلتها ، فضلاً عن شيء من أرض فلسطين .

وكيف أجبرتهم على الجلوس إلى طاولة المفاوضات التي كانوا ممتنعين عنها من عقود مضت في (أوسلو) وفي «واي ريفر» ، بل أصبحت إسرائيل هي التي تمنع ونحن الذين نستجدي ونسوق الدول لإقناع إسرائيل بالجلوس معنا .

وكيف استطاعت أن تلغي ميثاق التحرير الفلسطيني بغير شيء وتقنع الفلسطينيين تحت التهديد بفض ثورة الحجارة وضرب منظمة حماس المجاهدة ووصمها بالإرهاب ، وجمع الدول العربية كلها في مؤتمر شرم الشيخ لوصم المجاهدين العرب باسترداد الأرض بـ «الإرهاب» ، وطلب محاربتهم ونبذهم ومطاردتهم وإلقائهم في السجون الفلسطينية والعربية ، وحض السلطة الفلسطينية على تصفية المجاهدين في الطرقات .

هل يستطيع أحد - مهما أوتي من البراعة السياسية - تفسير ذلك بغير ثلاثة أشياء :
إمّا الوهن والخور ، أو الخيانة ، أو العمالة .

• وأخيراً، هل احتلت فلسطين بانهزام حربي أم بأدوار خيانية؟!

مازلت للآن كلما تصفحت تاريخ الاحتلال الصهيوني لفلسطين ، تأخذني رعدة من هول الكارثة التي حلتّ بالمسلمين وحجم الخسارة التي لحقت بهم وبديارهم من

العصابات الصهيونية التي تسربت إلى فلسطين واستطاعت بحقد يهودي ونذالة صهيونية ومساعدة استعمارية وإمداد صليبي وخيانة عربية، أن تعملق وتتعاظم في ساحة يقطنها قطعان من العزل، وجموع من المسلمين البُلَّه وسلطة من السماسرة المحترفين للخيانة، وأصبح مراراً من فرط ما بي من ألم وغم:

أين كان ساستنا وولاية أمورنا الأكارم؟ وأين كان مثقفونا ووطنونا العظام؟ وأين كانت جنرالائنا وجيوشنا وفرقنا الأشاوس؟

أكانوا نياماً والأعداء أيقاظ، وأغراًراً والاستعمار يبيّتُ لبيل، أم كانوا جنباء شهوانيين يتمرغون في الأوحال صباح مساء، ولا يفيقون.

أم كانت هناك بيوع وأثمان ومقايضات مقابل مناصب كاذبة وكراسي خاوية وعروش فارغة؟ أم...؟! أم...؟!

لم يعد الآن هناك مجالات للاحتتمالات، أو الاستفهامات؛ لأنَّ التاريخ قد كشف كثيراً من الحقائق وأظهر العديد من الوثائق والوقائع التي تشير بالأصابع والأيدي والأرجل إلى أصحاب الكارثة والتسبين فيها والحاملين لكبرها ووزرها، لقد كان يكفي للقضاء على العصابات الصهيونية أن يمد شباب فلسطين ومجاهدوهم بالسلاح والعتاد، وما كان هذا بالأمر العسير، ولقد كان الشعب المسلم في فلسطين يتحرَّق شوقاً إلى الجهاد وتخليص بلده من المحتلين - إنجليز وصهاينة - .

فهذا سائق سيارة فقير يطلب إليه الإنجليز أن يقود سيارة تحمل عدداً من جنودهم إلى القدس حيث يساهمون في القضاء على اضطرابات وقعت من المسلمين حولها، ولم يكن في وسعه أن يرفض، فاستجاب لهم وقد بيّت في نفسه نية القضاء عليهم، فودّع أهله، ومضى بهم في طريق القدس وعلى تلك القمة الشاهقة المطلّة على «باب الوادي» انحرف بسيارته إلى منحدر حيق، فاستقرّت في القاع بحمولتها أشلاء ممزقة وصعدت روحه إلى بارئها بعد أن أدّى واجبه، وهذا طفل

ريفي في التاسعة من عمره تمر به إحدى الدوريات الصهيونية ، فيعز عليه أن يتركها تمرّ في أمان ، فتناول بندقية أبيه و يترصد إليهم في إحدى الحدائق ويصوب إليهم بندقيته ، فيصيب منهم مقتلاً ، فتحاصره الدورية وتصيبه في فخذه ، وكم كانت دهشتهم حين وجدوه طفلاً صغيراً .

ولقد حدث صاحب كتاب « قتال الفدائيين » ، أن الصحف اليهودية أخذت تجار بالشكوى المرة من عصابات خطيرة تغير على اليهود في شركة البوتاس من البحر الميت ، وقال : ولم تكن تلك العصابات الخطرة في الواقع إلا أعراباً واحداً يدعى « سلمان خميس » من عربان السعديين في « وادي عربة » ، ولم تكن لديه إلا بندقية من نوع فرنسي قديم وما لا يزيد على عشرين طلقة من الخراطيش الفارغة ، كان يملؤها بيديه من البارود والرصاص ، ثم يكمن بجانب منبع للمياه يدعى « العين البيضاء » كان اليهود يأخذون منه ما يحتاجون من مياه الشرب ، ويظل في مكانه حتى إذا اقترب منه « الصيد اليهودي » أطلق ما معه من رصاصات فيصيب ويقتل من يقتل ، ثم يرجع مطمئناً إلى خيمته ، حيث يعاود تعبئة الخراطيش من جديد ؛ استعداداً لمعاودة الصيد ، وهكذا إلى أن ظفر به اليهود فأصابوا منه مقتلاً ، ولكنه أبى أن يستسلم وظل يركض بعيداً عن المكان مخافة أن يظفر اليهود بجشته ، حتى سقط قريباً من قومه ، واستشهد تاركاً زوجة وأطفالاً ، وسكنت حينئذ الصحف اليهودية عن الشكوى من تلك العصابات الخطرة !

أمثلة كثيرة جداً ، لا يمكن حصرها في هذه الصفحة ، ولكنك ترى فيها عمق الروح الجهادية في الأفراد ، وعمق الإيمان والتضحية في القلوب شيئاً وشباناً ، كما ترى تلك الروح في القادة الشباب الذين تصدروا للعمل الجهادي من أمثال البطل : « عبد القادر الحسيني » ، القائد العصامي الذي دوخ اليهود وأرهبهم بحوادث النصف والتدمير التي قام بها في وسط الأحياء اليهودية ، ولقد بلغ من قوة هذه الأعمال ودقتها ، أن اعتقد الإنجليز واليهود أنها لا يمكن أن تكون عربية إطلاقاً ، وأشاعوا أن

القائمين بها ليسوا إلا متطوعين من الألمان واليوغسلاف ممن سبق لهم الاشتراك في الحروب الكبرى، وما زال الزمن والأيام تذكر المعركة التي قادها عند «كفار عصيون» على طريق الخليل - بيت لحم، وكيف استطاع عبد القادر الحسيني أن يحصد قوة يهودية مصفحة ويحيلها ناراً حامية بعد أن ضرب حولها حصاراً لا فكاك منه حتى اضطرت إلى الاستسلام، وكان عبد القادر يتفجر حماساً وحيوية ويعتقد أن هذه الانتصارات المدوية ستشفع له عند أعضاء اللجنة العسكرية العربية فتعطيه شيئاً - ولو قليلاً - من المال التي جمعته من المسلمين لحرب فلسطين، ولكنها - للأسف - لأسباب غير معروفة تمنعه ولا تعطيه طيلة حربه سوى ٣٧٠ جنيهاً بعد إلحاح، وترك له توزيعها على جنوده ثلاثة الآلاف الذين معه، أمّا السلاح فقد نفذوا أيديهم منه، وأشاروا عليه أن يشتري من هذا المبلغ ما شاء من سلاح أيضاً، وبعد أن يئس عبد القادر الحسيني، قدّم تقريراً إلى الجامعة العربية في ١٦ أبريل سنة ١٩٤٨م يحملها فيه ضياع فلسطين، وكأنه قد شعر أنه أدّى واجبه وأن الخيانة أكبر منه، فتقدّم إلى الجهاد في معركة القسطل وليس معه إلا بضع بنادق قديمة، واستطاع أن يخرج اليهود من «القسطل» بعد يومين من كتابة تقريره، ولكنه استشهد في المعركة بطلاً يشكو إلى ربه عدوان الصهاينة، وخذلان اللجنة العسكرية للجامعة العربية.

وكان يمكن أن يقوم المتطوعون - بقيادتهم الفتية - بأعمال رائعة، ويقولوا كلمتهم في تلك الحرب، وأن يلقنوا الصهاينة درساً لن ينسوه... ولكن...!! أين المخلصون؟!

وقد يوضح هذا حديث الشيخ «حسن البنا» عندما علم نبأ استشهاد بعض إخوانه من المجاهدين في فلسطين، دمعت عيناه، وقال:

«لهم الله هؤلاء الأبرار... لهم الله في إيمانهم وجهادهم... لهم الله فيما هم فيه وفيما ينتظروهم. إن معركتهم الكبرى لا تزال أمامهم مع الفجرة من حكاهم الذين يخشونهم أشد من خشيتهم لليهود، ومع تلامذة مناهج الاستعمار جميعاً، إنَّ

هذا الدم العزيز المسفوح لن نجني له ثمرة مادامت هذه الأوضاع الفاسدة، ومادام الإسلام غريباً في ديار المسلمين، إنهم يبذلون دمهم في سبيل الله في معركة زمامها بأيدي قوم لا يبالون بالإسلام، ولا يبالون أن يتخذوا إلى الله سيلاً، إنهم غرباء... .
غرباء... . وأحسب أن غربتهم ستطول... . إننا نحتسب هذا الدم العزيز المسفوح؛
إعذاراً إلى الله، وتذكيراً لهذه الأمة، إن كانت تنفع الذكرى.

تُرى يا أخي بعد طول سنين، هل استطاعت الأنظمة التي أخلت فلسطين من
المجاهدين، أن تفعل شيئاً؟

وهل ستستطيع الآن أو بعد الآن؟!!!

الفصل الرابع

بعض القضايا الساخنة

لم يقتصر همّ المسلمين على الموات الذهني والحضاري، ولا على ضياع فلسطين وتشريد أهلها، ولا على استئساد اليهود وتحكمهم في البلاد والعباد، ولا على تناسي الدول لهم وعدم اعتبارهم كأهم يعمل لها حساب حتى في الصراع مع إسرائيل، حيث يميل رأي تلك الدول إلى إسرائيل غير عابئة بالعرب والمسلمين وزناً وشعوراً، ولا على العملات التي تظهر في الأفراد والأمم على حساب مصالح الأمة وتقدمها وحضارتها، ولا على كبت الشعوب وقهرها ونسيانها، ولا على ضياع مشروع الأمة الحضاري والفكري، ولا على عدم استثمار الخامات والطاقات، وتعريض الأمة إلى التسوّل حتى في قوتها الضروري.

بل زاد عليها هموم عدة: منها: المحن التي تحيط بالمسلمين هنا وهناك. والإبادة التي يتعرض لها المسلمون في الدول المتحضرة والمتخلفة على حد سواء، والكرامية التي تُشاع ضد المسلمين، ومحاولة اتخاذهم أعداء، وإثارة الفتن والقتل في أقطارهم وبين شعوبهم وبين جيرانهم.

وقد حمل القرن التاسع عشر من هذا، الشيء الكثير، يكثر عن ذكره في كتاب واحد، ولكن كان هناك محن ملكت على المسلمين شعورهم واهتمامهم، وطففت على السطح وفعلت بالقلوب والشعور الشيء الكثير.

منها: قضية العراق، ومحنة البوسنة والهرسك، والشيشان، وكوسوفا.



المبحث الأول

الاستعداد لضرب العراق

مقدمات لا بد منها:

حين وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها منذ ثمانية وخمسين عاماً كانت شعوب العالم وخاصة شعوبنا العربية والإسلامية التي عانت من ويلات وقهر وظلم الاستعمار الأوربي تتطلع بتوق إلى عصر تخرج فيه من ربقة الطغيان وأسر وظلمات الاستعمار ويتأكد فيه حق الشعوب في الاستقلال وتقرير المصير واختيارها لنظام الحكم الذي ترضيه في أجواء يخيم عليها السلام ويشع فيها العدل وتنتشر فيها الحرية وتعمها قيم المساواة بين الدول والشعوب وحق الجميع في استغلال ثرواتهم وإنعاش اقتصادهم والحق بمسيرة العلم والتقدم، وخاصة قد التقت دول وشعوب العالم على قيام منظمات دولية مهمتها حفظ السلام والحيلولة دون وقوع عدوان على دولة من الدول أو شعب من الشعوب .

أمريكا وريثة الاستعمار:

إلا أن أمريكا اعتبرت نفسها طوال هذه السنوات وريثاً للاستعمار الغربي ولجأت إلى سياسات وممارسات استعمارية عدوانية تبخرت معه أحلام وآمال شعوبنا العربية والإسلامية، وواجه علمنا بسببها أكثر من عدوان على شعب من شعوبه وأكثر من خطر نزل بساحة من ساحاته حتى إذا ما وقعت أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م صرنا جميعاً من المحيط إلى المحيط على المستوى العربي والإسلامي، على مستوى الشعوب والحكام، على مستوى الأرض والديار، على مستوى الهوية والأصالة والدور والرسالة، بل على مستوى الوجود والمصير نواجه أعظم خطر أمريكي يهددنا، وأشرس عدوان أمريكي ينزل بساحتنا .

الانحياز الأمريكي للصهيونية:

لقد أعلنت أمريكا بالقول والعمل عن انحيازها للصهاينة في أعقاب الحرب العالمية الثانية فكانت في مقدمة الدول التي سارعت بالاعتراف بالكيان الصهيوني

الغاصب في قلب ديارنا ودعمته بالمال والسلاح وأيدت ممارساته العدوانية وعدوانه على الشعب الفلسطيني وسعيه لابتلاع كل فلسطين وما حول فلسطين واستخدمت أمريكا حق الفيتو في مجلس الأمن للحيلولة دون صدور قرار يناصر حقاً للأشقاء الفلسطينيين أو يرد عنهم عدواناً. وبعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ورفع أمريكا للافقة الحرب على الإرهاب. أسفرت أمريكا عن انحيازها غير المحدود للصهاينة وباركت المجازر الوحشية التي نصبوها لقتل وتصفية الشعب الفلسطيني، وساندت الحصار الصهيوني الخانق حول مدن الضفة وغزة، وقصف الشعب الفلسطيني الأعزل المحاصر بأسلحة الإبادة الأمريكية كافة، مع تجريف أرضه وبناء المستعمرات الصهيونية فوقها وهدم ألوف البيوت لدفع الشعب الأعزل إلى هجرة أرضه ودياره أو مواجهة الهلاك جوعاً ومرضاً ولم تتورع أمريكا عن اتخاذ قرار من خلال الكونجرس يعتبر القدس وفيها المسجد الأقصى عاصمة للكيان الصهيوني وفي الوقت نفسه اتبعت كل سبل ووسائل المراوغة لمنع الشعب الفلسطيني من إقامة دولة له ولو على جزء من أرضه واستخدمت كل وسائل الضغط والترهيب للحيلولة دون وصول أي مساعدة للشعب الفلسطيني المحاصر وتمادت في عدائها للحق العربي فاتهمت الشعب المحاصر الأعزل بأنه يمارس الإرهاب والعنف ضد الصهاينة، أما المجازر والممارسات الوحشية الصهيونية فإنها الدفاع عن النفس.

العداء الأمريكي للإسلام؛

لقد جاءت أحداث سبتمبر ٢٠٠١م؛ لتكشف عن بالغ العداء الأمريكي للإسلام وللعرب والمسلمين وعن الأهداف والغايات الأمريكية البالغة الخطورة التي تستهدف أرض ووجود العرب والمسلمين، لقد أعلنت أمريكا عن تشكيل حلف عالمي لمحاربة الإرهاب، بعد أن اعتبرت الإسلام والعرب والمسلمين مصدر ومنبع الإرهاب، كما اعتبرت ساحة العالم العربي والإسلامي هي ساحة الحرب على الإرهاب.

لقد شنت أمريكا حرباً على الإسلام وعلى العرب والمسلمين في ديارهم وفي شتى جهات العالم، فسلطت حملات الإعلام بوسائلها كافة لتهاجم الإسلام،

وشنت حملات الاعتقال والقهر ضد العرب والمسلمين في أمريكا وفي أوروبا وفي كافة جهات العالم ، كما أصدرت قوائم بتجميد أموال العرب والمسلمين ، واتهمت هيئات الإغاثة الإسلامية بتمويل الإرهاب حتى تحول بينها وبين ممارسة أعمال البر والإغاثة والتكافل ، وسيرت الجيوش والأساطيل لتدمر وتخرّب مدن وقرى أفغانستان وتقتل ألوف الأبرياء من أبناء شعبها المسلم معلنة أن الحرب على الإرهاب سوف تتسع لتشمل أقطاراً عربية وإسلامية غير أفغانستان يجري فيها مثل ما جرى ويجري في أفغانستان من تخريب ، وتدمير للقرى والمدن وسفك للدماء .

وأبانت أمريكا عما في أجندتها من خطط للتوسع والهيمنة وفرض للسلطات والنفوذ على عالمنا واستيلاء على ثرواته وهدم للهوية ، واقتلاع لجور العقيدة والإيمان في القلوب والعقول .

خطط للتجزئة:

كما كشفت عن خرائط جديدة لعالمنا ، تعتمد تفتيته وتجزئته وتغيير عالمه وحدود دولة ، وخطط لتغيير نظم الحكم فيه ، وأيضاً عن خطط لتغيير الفكر ونمط الحياة على مستوى الشعوب ، بل لقد توالى تصريحات المسؤولين الأمريكيين تعلن عن خطوات قادمة وإجراءات منتظرة لتغيير الحكومات ، وخطوات وإجراءات لتطبيق وفرض ديمقراطية وأنشطة في مجتمعاتنا على النمط الأمريكي وأيضاً لتطبيع لشعوبنا على الأمركة وأساليب الحياة الأمريكية حتى بدا الأمر وكأن ساحتنا قد صارت مباحة لتطبق أو تفرض علينا تطبيق ما تشاء أمريكا من نظم وأساليب سياسية واجتماعية واقتصادية فيها سلخ لشعوبنا عن هويتها ومعتقداتها ، صارت أبعادها أكثر من واضحة بعد الحرب الأمريكية الشعواء على برامج التعليم في دول العرب والمسلمين والمطالبة بتغييرها أو تبديلها ؛ لأنها حسب الأمم المتحدة تفرض الإرهاب ، وتنشئ وتخرج الإرهابيين .

رسالة أمريكا إلى الدول العربية:

وإذا كان ما قامت وتقوم به أمريكا في أفغانستان من تدمير وقتل وتشريد هو

رسالة لدول العرب والمسلمين كافة، فإن ما تقوم به أمريكا اليوم من حشد للجيش ومختلف أنواع وأنماط الأسلحة مع تهيئة لأجواء الحرب ضد الشعب العراقي لهو أيضاً رسالة لها مغزاها ومعناها توجهها أمريكا لكل العرب ولكل المسلمين .

نقد زعمت أمريكا أن لدى العراق ترسانات من أسلحة الدمار الشامل ، وأنه يشكل خطراً يهدد أمنها القومي ، وذلك قبل أن ينجز المفتشون الدوليون في العراق مهمتهم ويقدموا تقريرهم لمجلس الأمن ، وبعد أن تمت استباحة كل شبر في العراق ، وبعد أن أعلن العراق فتح أبوابه كافة أمام المفتشين مؤكداً خلوه من الأسلحة كافة ، بل لقد تمادت أمريكا فأكدت تصميمها على ضرب العراق ، ولو ثبت خلوه من أسلحة الإبادة ، وأنه لا بد من إسقاط نظام حكمه ، وتمادت فطالبت بحشر خمسمائة من علماء العراق إلى أمريكا لاستجوابهم ومحاسبتهم في أسلوب من أساليب التحكم في الرقاب والمصائر ، والاستهانة بقيمة الإنسان العربي والمسلم مهما بلغ من العلم والمعرفة .

إن الرسالة الأمريكية من خلال إعداد العدة لضرب العراق ، وحشد الحشود لتدمير شعبه وأرضه . . والإعلان عن حكومة عسكرية لإدارة شئونه تحت رئاسة جنرال أمريكي ، والمطالبة بمحاسبة علمائه ، والتأكيد على تجزئة خريطته ، واحتواء فصائل المعارضة فيه ، لها أكثر من معنى ومغزى وأكثر من مقصد ، كما أنها تجسد أكثر من حقيقة .

حصار أمريكي على العرب؛

إنها تعني حصاراً أمريكياً على العرب والمسلمين يحول بينهم وبين التقدم العلمي والتكنولوجي ، وتعني تجريم أمريكا العرب والمسلمين إذا سعوا لامتلاك أي سلاح حديث يوفر لهم إمكانات الدفاع عن أرضهم وديارهم ، وضد استباحة أوطانهم ووجودهم ، في الوقت الذي تمتلك فيه أمريكا ترسانات هائلة من أسلحة الإبادة كافة ، وتقدم الدعم للكيان الصهيوني ؛ لتكون له ترساناته من السلاح النووي وشتى أسلحة الدمار الشامل ؛ ليقم مشروعه الصهيوني على أطلال العرب والمسلمين .

واللآفت أنه في الوقت الذي تعلن فيه كوريا الشمالية عن استئناف برنامجها للأسلحة النووية واستعدادها لمواجهة أمريكا، يؤكد الرئيس الأمريكي والمسؤولون الأمريكيون الذي لا يفتأ يوجه تهديداته لأكثر من خمسين دولة عربية وإسلامية حرصه على الوصول لحل سلمي مع كوريا الشمالية.

استراتيجية أمريكا لأمنها القومي؛

لقد أعلنت أمريكا عن استراتيجية جديدة لأمنها القومي، أكدت من خلالها عن سعيها لحسم معركة العالم الإسلامي، وعن عزمها لضرب أي مكان في العالم إذا رأت أنه يشكل خطراً يهددها واستباحته استخدام سلاحها النووي لضرب الخطر المزعوم، وأعلنت عن استراتيجية جديدة لحلف الأطلنطي وقوة تدخل سريع لممارسته لدور جديد على ساحة عالمنا العربي والإسلامي، أي أن أمتنا صارت في مواجهة هجمة أكثر شراسة وخطر أكثر من داهم تشكله أمريكا ويشكل الكيان الصهيوني المزروع في قلب ساحتها، والجيش والحشود والأساطيل الأمريكية التي دمرت قطراً من أقطارها، تلحق بها قطراً آخر في مسلسل أقطارها كافة، ويستهدف شعوبها كافة، وأيضاً حكامها كافة، ومن ثم يحتم على الأمة على مستوى شعوبها وحكامها أن تسلك السبل الصحيح والمضمون للمواجهة وحمها لصالحها.

المسلمون المسلمون؛

إن المسلمين لا يدعون إلى الصدام، وليسوا طلاب حرب، ويلتزمون بنبذ العنف والإرهاب والدعوة إلى مبادئهم وأهدافهم بالحكمة والموعظة الحسنة التزاماً بقيم ومبادئ الإسلام، دين الحق والعدل والسلام والحرية لبني البشر جميعاً من كل الأديان والأجناس والألوان، تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ لتعارفوا وتتآلفوا لا لتتعاربوا، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ولكن الإسلام في الوقت نفسه يأمر برد العدوان والتعاون على منع الظلم ونصرة المظلوم، وأمر بحفظ الحقوق والأموال والثروات والدفاع

عنها ضد المعتدين الظالمين .

المسلمون لا يعادون أحداً؛

المسلمون لا يعادون الشعب الأمريكي ، ولا أي شعب آخر ، ويعلمون يقيناً أن أكثرية الشعب الأمريكي تعارض الحرب وتحب الخير والسلام ، ولكن المسلمين يعادون ويعارضون بقوة سياسات التسلط والقهر والهيمنة والعدوان على حقوق ومصالح الأمة العربية والإسلامية التي تمارسها الفئة الأمريكية الحاكمة المتواطئة مع إسرائيل وأعوانها ، والتي تدعم إسرائيل في احتلال واغتصاب الأرض الفلسطينية وترتكب المجازر والمذابح كل يوم للمدنيين العزل باستخدام الأسلحة الأمريكية وأموال دافع الضرائب الأمريكي .

أن العدوان الأمريكي والصهيوني على عالمنا العربي والإسلامي أكثر من خطر ، والكارثة أكثر من جيحة إن لم تتحرك الأمة شعوباً وحكاماً في وحدة صف وكلمة لدفع العدوان ، ودفع الخطر لهذا . وانطلاقاً من النهوض بواجب النصيحة وحق وواجب المشاركة والتكاتف والتآزر الذي يفرضه الإسلام على كاهل الجميع فقد أصبح الأمر يحتم المواجهة الحاسمة والمعالجة الناجعة والحازمة من خلال خطوات نحسب أنها لا تغير عن بال المسؤولين والمهمومين بهموم الأمة كافة ، وتتركز في :

١ - وجوب إصلاح حال الأمة لتغيير الواقع المأساوي إلى الواقع والمأمول والمنشود ، وحال الأمة لن ينصلح اليوم إلا بما صلح به حاله بالأمس بأن تعود الأمة للعيش في ظلال وأجواء قرآن ربها سبحانه وسنة نبيها عليه الصلاة والسلام ، وامتنالاً لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] ، واستجابة لقول نبيها وإمامها وقودتها عليه الصلاة والسلام : « تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنة نبيه »^(١) .

وحكام المسلمين ليسوا كغيرهم من الحكام ، وشعوبهم ليست كغيرها من

(١) السنن الكبرى، للبيهقي (١٠/١١٤) . ودلائل النبوة، للبيهقي (٢١٨٤) ، باب ما جاء في نعي النبي ﷺ (٥٦/٦) ، من حديث ابن عباس رضيهما في حجة الوداع .

الشعوب، فهم جميعاً لا يبدؤون من فراغ، إنما هم جميعاً امتداد لأمة ذات عراقية في التاريخ وذات غناء في المبادئ والقيم بما حملت من أعظم رسالة وبما كرمت بأقوم منهج وشريعة، إنها أمة الإسلام التي تنزل عليها القرآن العربي العظيم يهدي للتي هي أقوم نوراً يمشون به في الناس: ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

والشعوب الإسلامية ترى نفسها مسؤولة عن استمرار هذا الخير، وأن حكاهم يستمدون وجودهم واستمرارهم بما أخذوا عليهم من المواثيق أنهم يحرسون دنياههم بهذا الدين، وأنهم يسوسون الأمة لإعلاء شأن الملة.

وجماع هذا أن ينصروا الله ورسوله بتعظيم كتاب ربهم وإعزاز سنة نبيهم، بالاحتكام إليهما والصدور عنهما، والأخذ منهما، وما للمسلم حاكماً أو محكوماً طريق سواهما، قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. وما يكون غير ذلك عند أولي الألباب من المسلمين شعوباً وحكاماً، وقد جاء في الكتاب العزيز: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حُكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وهذان المصدران نشأت عنهما شريعة معطاء تميزت بالشمول والسعة، والصلاحية لكل ما يتجدد في حياة الناس على اختلاف المكان والزمان والإنسان، فازدهرت فيها مجالات الاجتهاد أمام المستجدات فيما لا نص فيه، وفي المصالح المرسلة وكلها متصلة مع الأصليين بسبب، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، والمجتهد مأجور على كل حال لقول رسول الله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران اثنان، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»^(١).

والشعوب الإسلامية تنتظر من حكاهم المسلمين أن يكونوا حراساً لما ائتمنوا عليه من الأمانات المتمثلة في الأنفس والأموال والأعراض والحريات، بحيث تكفل

(١) الإبانة الكبرى، لابن بطة (٧٠٢)، باب إذا اجتهد الحاكم فأصاب (٢/ ٢١٣)، من حديث أبي هريرة

الحرية لكل مواطن في الأمة يقول كلمته ويعبر عن رأيه، لا يخاف عنثاً ولا مصادرة، ولا يتعرض لقهر أو إذلال، ينال قدير العين، ويصبح بين أهله يسدي النصيح في كل مجال فيذكر الناس وينبه الغافل في سداد من القول وصادق من الحديث لا يخشع في الحق لومة لائم؛ لأنه يعيش في أمة يقول حكامها: لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها، وإذا ما انتشرت هذه الخيرية في القائل وفي السامع عن الأمان فتوافرت الأموال وكرمت الأعراض، وصينت قيم الأمة، وتحقق فيها قول المعلم الأول ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله وعرضه»^(١)، وانبرى الحكام يصغون مرة أخرى إلى أول إعلان لحقوق الإنسان عرفته البشرية في مقررات حجة الوداع حيث نادى الرسول ﷺ قائلاً: «إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم، ألا هل بلغت»^(٢).

وحتى تعيش الأمة شعوباً وحكاماً في أجواء وظلال القرآن والسنة فلا بد من تغيير في برامج التعليم والتربية والإعلام والثقافة، وتغيير في خطوط السياسة والاقتصاد، حتى تكون الأمة في مستوى وعد ربها ووعد الحق والصدق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتُورُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

٢- إعادة ترتيب البيت العربي والإسلامي، وهو أمر سهل وميسور حين تخلص النيات وتصفو النفوس، وتستقيم التوجهات والوجهات ونعيش في أجواء تظللها وتحكمها الخشية من الله ويحكمها السعي لرضاه وحده، فتكون الوقفة الصادقة لنبد الخلافات والارتفاع فوق المصالح الشخصية والتجرد لنصرة الحق ودفع المعتدي، ويكون السعي الصادق لتوحيد الصف وتحقيق وحدة الأمة، بالبدء بإصلاح شامل بكل جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية، بإطلاق الحريات العامة وبالأخص حرية التعبير والنقد السياسي وحرية الاجتماعات وتكوين الأحزاب والجمعيات، وإلغاء سائر القوانين المقيدة للحرية، والالتزام بقواعد

(١) مسلم في البر والصلة والآداب (٤٦٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني (٧٠٦٣)، (٢٣/٢٦٤)، من حديث سري بنت نبهان.

الشورى ونزاهة الانتخابات العامة، والقضاء على كل صور الفساد المالي والإداري الذي يهدر أموال الأمة وطاقاتها، والقضاء على مظاهر الانحلال والتفسخ وانهميار القيم الإنسانية في المجتمع، والتزام الأمة بالسلوكيات الحضارية النابعة من قيم ومبادئ الإسلام وتحقيق عدالة توزيع الثروة ورفع مستوى الفقراء ومحدودي الدخل وتقليل الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين الأغنياء والفقراء، والحد من تضخم الثروات وخاصة بطرق غير مشروعة أو استغلال النفوذ، وإصلاح برامج التربية والتعليم والثقافة، باستهداف تربية النشء والشعب على الجدية والرجولة وتقدير المسؤولية وتعظيم قيمة الوقت والعمل والالتزام بالنظام، والانضباط في السلوك والتصرفات، ونبذ الأنانية والمادية بدلاً من الثقافة السائدة حالياً وهي ثقافة الترفيه والجنس والميوعة والانحلال والجري وراء المادة والشهوات والنزوات، وصدق الله العظيم إذا يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

٣- تفعيل نظامنا الإقليمي، بدعم الجامعة العربية، والمؤتمر الإسلامي وتوفير الآليات والإمكانات الاقتصادية والعسكرية لإحياء اتفاقيات الدفاع المشترك، والوحدة الاقتصادية، وضمان صدور القرار الفاعل الحاسم، في مواجهة هجمة شرسة لا تضمر للأمة إلا الشر والبوار.

٤- من أجل هذا فإن كل المخلصين المهمومين بشئون وهموم الأمة يطالبون بقمة عربية وقمة إسلامية دورية ويكون هي وحدها لها قرارها الحاسم الحازم الذي يعتمد سياسة تغيير وإصلاح حال الأمة، وإعادة ترتيب البيت وتأكيد وحدة الصف وحشد الإمكانيات والطاقات، وإزالة الخلافات والفجوات، والتأكيد على إطلاق الحريات وتحقيق أمن الإنسان.

إن أمريكا والكيان الصهيوني لا يمارسان عدوانهما على شعوبنا لقلة في عدونا، أو لفقر في طاقاتنا وإمكاناتنا أو لعجز في الفكر والذهن، ولكن لفرقة أصابت الصف العربي والإسلامي، وتشتت لحق بامتنا، وخلاف وخلافات فرقت وشتت الشمل، وصرفت الناس عن قول ربهم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ

إِخْوَانًا ﴿آل عمران: ١٠٣﴾، وصارت تحتّم على الجميع خاصة في أجواء العدوان الذي يلحق بساحتنا وشعوبنا . ويهدد وجودنا ودورنا وهويتنا أن يمتثلوا لقول ربهم: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

إن الإسلام الذي وحد صف الأمة وأعزها بالأمس وأعلى من شأنها ومضى بها على الطريق المستقيم لتكون صاحبة دور وقرار على الساحة العالمية وجعلها تقدم على الجهاد في سبيل ربها في تضحية وبذل، هو وحده اليوم الكفيل بتصحيح المسار والمسيرة، ففيه وحي السماء، وفيه النور والضياء، وفيه العزة والكرامة والإباء، وصدق الله العظيم: ﴿... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦] .

إن الخطر داهم، والعدوان صار كالطوفان، والمسئولية عظيمة، والحساب أمام الشعوب والتاريخ في الدنيا عسير، أما الحساب أمام الله - عز وجل - فهو أشد من عسير وصدق الله القائل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] .

التخطيط المسبق للغزو واستغلال الفرصة لتنفيذه

دائماً وأبداً تكون الأمم الاستعمارية مستعدة للدفاع عن نفسها أولاً، وللتربص لتنفيذ أطماعها في خيرات غيره ثانياً. وللتفوق العلمي والتقني، والحربي والاقتصادي، ثالثاً.

ودائماً وأبداً تبحث عن الأسباب والأساليب والفرص التي توصلها إلى ما تريد، والهجمة الأمريكية على الوطن العربي والإسلامي ليست شيئاً عفويّاً أو اعتباطياً أو حتى لردود أفعال، وإنما كانت تحقيقاً لأطماع خطط لها من زمان بعيد كما هو الحال في كل أطماع الدول الكبرى خاصة إذا كان المقابل ضعيفاً فاسداً وتحت السيطرة الكاملة.

ضعف الفريسة يغري المتوحشين:

ولهذا ت اخترع الأسباب والمبائات للانقضاض على الفريسة الضعيفة حتى صار ذلك من منطق أقوىاء هذا العصر، والأمة الإسلامية، بلغت اليوم من الضعف ما يشجع حتى أوهى الأمم بالاعتداء عليها، هذا فضلاً عن تصرفات غير مسؤولة من بعض الدول العربية زادت من تلك الفرص منها.

١ - فرصة احتراق العراق مع الكويت واستيلائه على أرض الكويت واستغاثة الكويت بأمريكا وغيرها أتاح فرصة نادرة لدخول القوات الأجنبية وتعسكرها في الكويت والسعودية وقطر ودول الخليج . . . إلخ .

٢ - فرصة تفرق الأنظمة في التوجهات واختلافها واتهام كل للآخر حتى سميت بعض الدول بدول الضد، وبعضها بغير ذلك وارتداء بعض الدول في أحضان الغير لأغراض معينة، حتى صارت الجامعة العربية ولقاءات القمة العربية مثلاً للتشاحنات والبغضاء .

٣ - كره الشعوب للسلطان فيها لعدم الحريات، واحتكار السلطة، والظلم الواقع

عليها، وحكمها بالحديد والنار، وزيادة الطغيان والفساد غير المسبوق حتى في العصر الجاهلي.

٤ - قيام بعض التحسين المتين إلى الإسلام بأعمال غير مسؤولة عن جهل أو عدم فهم، أو بتحريض من الأعداء خفية وبخطة مرسومة لتقدم أسباب معينة لعمل معين يستفيد منه الأعداء.

٥ - عدم وجود حكومات قادرة على التضحية والجهاد في سبيل الله ومواجهة المعتدي، وبالتالي لم تستعد أو تعد العدة لذلك ورضيت من الغنيمة بالإياب، أو بالتولي والخنوع.

يقول: أي جي سبان: لا يخفى على أحد دوافع أمريكا في حربها على العراق، حيث هناك دافعان:

دوافع قصيرة الأجل

ما الدوافع الحقيقية إذن؟

يشبه كثير من نقاد الإدارة الأمريكية بمن فيهم ديمقراطيون في الكونغرس في وجود محاولة لتحويل الانتباه عن مشكلات داخلية، بل يشبه في ذلك حتى بعض المؤيدين. وقد عرضت إحدى افتتاحيات صحيفة -نيويورك تايمز- الوضع على الوجه التالي: تشير الاستطلاعات إلى أن قضية وحيدة تعمل لمصلحة بوش: الإرهاب. ففي المجال البيئي، والاحتباس الحراري العالمي، وخطط توفير الأدوية للمسنين، وحق المرضى في مقاضاة الأطباء، وإصلاح تمويل الحملات الانتخابية، والإشراف على سلوك الشركات وكل قضية عامة كبرى، يساند الأمريكيون النهج الذي يتبعه الديمقراطيون. والرئيس يملك دوماً سلطة التحكم بموضوع النقاش الوطني. ولما كان بوش يستعمل هذه السلطة لتركيز النقاش على أخطار صدام حسين على الولايات المتحدة وإسرائيل، فلماذا تكون القضايا الأخرى مهمة؟ وهكذا لا يكون مدهشاً أن يشكل العراق القضية المركزية في خطابات بوش إبان التوقيفات في الحملة الانتخابية للمرشحين الجمهوريين في الانتخابات النصفية المقبلة (للكونغرس).

ربما يشته أحدهم في هذه الانتخابات حتى يفسر سبب استعجال إدارة بوش ، لكن حتى لو لم تنشب حرب في يوم الانتخابات ، فإن الإلحاحية لن تبرد إليه . واستناداً إلى تحليل إخباري حديث منشور في - نيويورك تايمز - فإنه من المهم بالنسبة إلى المخططين العسكريين الأمريكيين أن تنشب الحرب هذا الشتاء ، حتى تتيح البرودة للقوات الأمريكية أن تعمل بسهولة وجنودها يرتدون الملابس الثقيلة الواقية من الأسلحة الكيميائية وحتى تتيح لهم الليالي الطويلة الاستفادة من ميزة أجهزة الرؤية الليلية .

دوافع طويلة الأجل

لكن هذه دوافع قصيرة الأجل . وليس من قبيل الحداثة القول إن هناك دافعاً آخر طويل الأمد يتصل بالنفط ، والواقع أن هذا الأمر على الرغم من دقته ، يعتبر مصدراً متكرراً للغموض . فعلى سبيل المثال ، وقبل حرب الخليج الثانية لم تكن إدارة بوش الأب وحدها ، إنما أيضاً قسم من حركة السلام يؤكد أن اهتمام الولايات المتحدة ، هو ضمان التدفق الحر للنفط ، بما يكفي لحل الأزمة . وإحدى الجماعات اتهمت رفض صانعي السيارات لتحسين كفاءة استهلاك الوقود بالتسبب في هذه الأزمة . والافتراض الشائع هنا (في الولايات المتحدة) : أن النفط مصلحة عامة ، حتى ولو كان بفضائل تتحق النقاش .

في الحقيقة يعتبر النفط مصلحة خاصة . وهو مسألة متعددة الوجود ، لا ترقى إلى مجرد زيادة مكاسب الشركات إلى حدها الأقصى فالقضية الكبرى هي توسيع السيطرة الأمريكية التي تنطوي على مجموعة من المكاسب .

ملء الخزانة الأمريكية بالأموال : ودور متجني النفط الأمريكي في إرسال فائق النفط إلى الولايات المتحدة عبر البنوك ، هذا رغم من أن إيرادات الدول الخليجية تذهب إلى خزانة البنوك الأمريكية ولا يذهب إلى جزء يسير إلى أوروبا ولكن الولايات المتحدة يريدها كلها ، فعلى سبيل المثال .

قبل حرب الخليج كانت دولة الكويت تملك استثمارات غربية ضخمة بما في ذلك سندات خزينة أمريكية ومحافظ يديرها - سيتي بنك - واحتياطيات ذهب في الاحتياطي الفيدرالي (البنك المركزي) الأمريكي والبنك المركزي البريطاني وعشرة في المئة من أسهم شركة بريتيش بتروليومس .

وهذا ما أسال اللعاب الأمريكي للاستيلاء على الغنيمة كلها في الخليج ولكن بالتدرج فهناك بلاد تحت السيطرة تؤجل ، وبلاد ليست تحت السيطرة الكاملة لا تؤجل .

فالقضية إنما السيطرة فالسعوديون يفعلون ما نريد لكن العراقيين لا يفعلون وهذه هي المشكلة الحالية .

فماذا يعني ذلك بالنسبة إلى شركات النفط إذا تخلصت إدارة بوش من هذه المشكلة؟ إن الولايات المتحدة ما زالت تتبع وثيقة سياسة عام ١٩٤٧م ، وهي تسعى إلى إزالة أو تغيير الحواجز القائمة أمام توسع العمليات النفطية الأمريكية الخارجية . وقبل أسابيع عدة ، كتبت صحيفة واشنطن بوست : أن عملية إطاحة بصدام حسين تقودها الولايات المتحدة يمكن أن تشكل فرصة استثمارية عظيمة لشركات النفط الأمريكية التي أبعدت طويلاً من العراق ، فرصة تتيح تحطيم الصفقات النفطية المبرمة بين بغداد من جهة وروسيا وفرنسا ودول أخرى من جهة ثانية ، وإعادة هيكلة الأسواق البترولية العالمية ، وكل ذلك استناداً إلى ما يقوله مسئولو الصناعة وزعماء المعارضة العراقية .

وعلى الرغم من أن المسؤولين الكبار في إدارة بوش يقولون إنهم لم يبدؤوا التركيز على القضايا الخاصة بالنفط والعراق ، فإن شركات النفط الأمريكية بدأت أصلاً بالمناورة للفوز بحصة في الاحتياطيات النفطية الهائلة المقدرة بـ ١١٢ مليار برميل هي الأعظم في العالم بعد المملكة العربية السعودية .

دم مقابل النفط؟ ليس تماماً ، لكن يمكنك المراهنة والمخاطرة ؛ لأن النتيجة تتحقق والصيد ثمين .

الحرب الدعائية للتضليل أولاً:

يدرك القائمون على إعداد الخطط الحربية بوزارة الدفاع الأمريكية (البنجابون) تماماً الدور الرئيس التي تلعبه الدعاية للحرب، حيث انطلقت من جنبات البنجابون ووزارة الخارجية ووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية حملة ترهيب وتضليل، يمثل التشويه السافر للحقائق والتلاعب المنظم بجميع مصادر المعلومات جزءاً لا يتجزأ منها، وفي أعقاب أحداث ١١ سبتمبر قام وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد بإنشاء مكتب التأثير الاستراتيجي أو مكتب التضليل، كما يطلق عليه من ينتقدونه.

قالوا في وزارة الدفاع إنهم بحاجة إلى أن يقوموا بذلك، وإنهم كانوا بالفعل يلفقون القصص الكاذبة في الدول الأجنبية في محاولة للتأثير على الرأي العام في جميع أنحاء العالم.

وفجأة تم حل مكتب التأثير الاستراتيجي بشكل رسمي بعد سلسلة من الضغوط السياسية وقصص الإعلام الزائفة التي كان غرضها الكذب عمداً لتقديم المصالح الأمريكية استسلم رامسفيلد وصرح بأن ذلك أمر محرج مع ذلك وبالرغم من هذا التغير الواضح ظلت حملة التضليل تدار بشكل سليم: لا يعتبر وزير الدفاع صريحاً على وجه التحديد هنا. فالتضليل في الدعاية الحربية يمثل جزءاً من الحرب.

أكد رامسفيلد بعد ذلك في مقابلة صحفية أنه رغم أن اسم مكتب التأثير الاستراتيجي لم يعد موجوداً فإن وظائف المكتب المرجوة يجري تنفيذها الآن (يمكن الاطلاع على نص حوار رامسفيلد الكامل على الموقع الإلكتروني).

دور وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية

تطرح مبادرات التضليل السرية تحت رعاية وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية من خلال العديد من وكلاء الاستخبارات في الدول الأخرى وقد نتج عنها، منذ أحداث ١١ سبتمبر، نشر يومي لمعلومات زائفة بخصوص «هجمات إرهابية» مزعومة، في جميع الحالات المعلنة تقريباً (في بريطانيا وفرنسا وإندونيسيا والهند والفلبين . . . إلخ) يقال: إن الجماعات الإرهابية المزعومة لديها «اتصالات مع تنظيم القاعدة الذي يرأسه أسامة بن لادن» بدون الإقرار بالطبع بالحقيقة (الموثقة توثيقاً مسهباً في تقارير الاستخبارات ومستنداتها الرسمية) والقائلة بأن الاستخبارات الأمريكية هي التي أنشأت القاعدة.

ويقع المكون الأكثر أهمية في حملة التهريب والتضليل في يد وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية التي تدعم سرّاً الكتاب والصحفيين والنقاد الإعلاميين من خلال شبكة من المؤسسات الخاصة والمنظمات الرئيسة التي تدعمها الوكالة، كما أن وكالة الاستخبارات المركزية لها تأثيرات على نطاق واتجاه العديد من أفلام هوليوود. فمنذ ١١ سبتمبر أصبحت ثلث أفلام هوليوود أفلام حرب. يسارع نجوم هوليوود وكتابها إلى دعم رسالة الوطنية الجديدة بالتشاور مع الاستخبارات والجيش حيال الهجمات الإرهابية الفعلية المحتملة، وقد حاز فيلم «صيف المخاوف» من إخراج فيل ألدن روبرنسون والذي يرسم سيناريو لحرب نووية، على موافقة ودعم البنتاجون والاستخبارات الأمريكية.

ويخطط عملاء الاستخبارات الأمريكية بشكل روتيني حملات التضليل في غرف الأخبار بكبرى الجرائد اليومية والمجلات وقنوات التلفزيون ويستغلون شركات العلاقات العامة الخارجية لخلق «قصص زائفة» يوثقها بعناية تشيم كوفربيرج فيما يتعلق بأحداث ١١ سبتمبر: يقدم عدد قليل نسبياً من المراسلين ذوي

الاتصالات الجيدة أخباراً مثيرة تغطي الأحداث في مصادر الأخبار الشائعة والقليلة نسبياً، حيث إن ثوابت المناظرة محددة والحقيقة الرسمية مخصصة لخطوط التغذية الرئيسية في سلسلة الأخبار .

عقيدة الدفاع عن النفس

في هذه الفترة الحرجة قبل شهر (أو أشهر) من الإعلان عن غزو العراق اندلعت حملة الدعاية من أجل الترويج لوهم أن أمريكا تتعرض للهجوم ، ورسمت هذه الحقائق الملفقة ، التي تبث ليس فقط عبر وسائل الإعلام واسعة الانتشار ، ولكن أيضاً من خلال عدد من المواقع الإعلامية على شبكة المعلومات الدولية ، الحرب على أنها عمل مشروع للدفاع عن النفس ، بينما تخفي بعناية الأهداف الاستراتيجية والاقتصادية الواضحة للحرب .

وتنمو حملة الدعاية بدورها لتصبح ذريعة للحرب ومبرراً لها وشرعية سياسية لشن الحرب . تعتمد «الحقيقة الرسمية» (التي عبر عنها جورج بوش بوضوح في خطابه) على الحجة الإنسانية الواضحة لما يسمى بالحرب الوقائية أو الدفاعية . وهي حرب لحماية الحرية : إننا نهجم لأننا نحب الحرية ، وما دمنا نحب الحرية ونقدر حياة كل إنسان فإنهم سيحاولون إيذاءنا .

العراق تنزل على حكم الأمم المتحدة بلا جدوى

وقَّع العراق والأمم المتحدة إعلاناً مشتركاً من ١٠ نقاط تتعهد بغداد بموجبه بتعزيز تعاونها مع المفتشين الدوليين عن الأسلحة ، وتم توقيع الإعلان خلال اجتماع عمل في وزارة الخارجية ببغداد بين رئيس لجنة المراقبة والتحقق والتفتيش (انموفيك) هانس بليكس ، ومدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، محمد البرادعي ، ومسؤولين عراقيين ، كما أعلن المستشار الرئاسي الفريق عامر السعدي للصحفيين . ووصف السعدي اللقاء بأنه كان بناءً ومفيداً .

وفي الإعلان الذي تلاه السعدي وتم توزيعه على الصحفيين خلال مؤتمر صحفي في فندق القناة، مقر الأمم المتحدة ببغداد، يلتزم العراق بتسهيل دخول المفتشين إلى كل المواقع بما فيها دور الإقامة الخاصة وتشجيع العلماء العراقيين على الموافقة على أن يتم استجوابهم بشكل منفرد من قبل المفتشين، وعلى تزويد الأمم المتحدة بقائمة كاملة بأسماء العلماء في مختلف مجالات التسلح. لكن لم يرد ذكر لاصطحاب العلماء إلى خارج العراق لاستجوابهم وحثت الولايات المتحدة المفتشين على اصطحاب العلماء إلى الخارج حيث سيشعرون بأمان أكبر. كما وافق العراق في الإعلان على تشكيل لجنة للتحقيق في ١٥ رأساً كيميائياً فارغاً تم اكتشافها أخيراً، والبحث في ما إذا كانت هناك رؤوس أخرى في مستودعها وجاء في النص أن العراق يوافق على مواصلة المباحثات الفنية مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية لإجلاء المسائل المتعلقة بأنابيب الألومنيوم وواردات اليورانيوم المزعومة إلى العراق، واستخدام مواد شديدة التفجير ومسائل أخرى عالقة وأضاف النص أنه تم تقديم رد (عراقي) إلى إنموفيك بشأن عدد من الوثائق. وتم تسليم بعض الوثائق (إلى الأمم المتحدة) كما تم تقديم توضيحات بشأن أخرى.

نص البيان المشترك بين العراق ومفتشي الأمم المتحدة

في ما يلي ترجمة غير رسمية للنص الكامل للبيان المشترك الصادر أمس بعد محادثات استمرت يومين بين العراق وكبار مفتشي الأمم المتحدة عن الأسلحة في بغداد.

كرس الاجتماع بين الجانب العراقي ولجنة المراقبة والتحقيق والتفتيش التابعة للأمم المتحدة والوكالة الدولية للطاقة الذرية لتقييم عمليات التفتيش التي تمت وحل القضايا المثارة. ولوحظ الآتي:

١ - سمح بحرية الدخول لجميع المواقع، وسيستمر ذلك الجانب العراقي، وسيشجع أشخاصاً على قبول حرية الدخول كذلك لمواقع خاصة.

٢ - كانت هناك مساعدة مفيدة في ما يتعلق بإجراءات توفير البنية الأساسية للمفتشين كمثال مكتب الموصل . وسيستمر ذلك كمثال في ما يتعلق بفتح مكتب ميداني في البصرة .

٣ - بعد العثور على قذائف كيماوية فارغة من عيار ١٢٢ ملمترا في مخازن الاخضر عين الجانب العراقي فريقاً لإجراء تحقيق وبحث شامل عن عبوات مماثلة في جميع المواقع وتم تقديم بلاغ واحد بالفعل عن العثور على أربع وحدات أخرى في مخازن التاجي للذخيرة . وستعلن النتائج النهائية .

٤ - وتم تقديم رد على طلب لجنة المراقبة والتحقق والتفتيش الحصول على عدد من الوثائق . سلم بعضها وأعطيت إيضاحات عن بقيتها .

٥ - وستقدم قائمة بأسماء من شاركوا في برامج مختلفة بناء على نصائح من لجنة المراقبة والتحقق والتفتيش والوكالة الدولية للطاقة الذرية .

٦ - وتم بحث إقرار العراق المقدم يوم السابق من ديسمبر (كانون الأول) أبدئ العراق استعداداه للرد على تساؤلات أثرت في ما يتعلق بالإقرار وبحثها .

٧ - وتم تشجيع من طلب منهم إجراء مقابلات خاصة على القائم بذلك .

٨ - وافقت لجنة المراقبة والتحقق والتفتيش والوكالة الدولية للطاقة الذرية على أن طائرتيهمما الهليكوبتر ستقل عدداً ملائماً من المسؤولين العراقيين الذين يرافقون المفتشين في طلعاتهم حسب الحاجة .

٩ - وسيقوم العراق بتفعيل تشريع يتعلق بالأنشطة المحظورة بأسرع وقت ممكن .

١٠ - وافق العراق على مواصلة المحادثات الفنية مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية لتوضح مسائل تتعلق بأنابيب ألومنيوم واستيراد مزعوم لليورانيوم واستخدام مواد ذات قوة تفجير هائلة ومسائل أخرى معلقة .

أمريكا تكشف عن نواياها الحقيقية

كشفت أمريكا عن نواياها في الهجوم على العراق ، مدعية أن العراق يملك أسلحة دمار شامل ، وأن لديه برنامجاً نووياً وجرثومياً معد للانطلاق ، وقال وزير خارجية أمريكا «كولن باول» : إن إطاحتنا لصدام ستمكنا من إعادة تشكيل المنطقة بما يعزز مصالحنا في المنطقة ويساعد على حل النزاع العربي الإسرائيلي - حسب ما نريد .

هذا وقد طلبت أمريكا من مجلس الأمن القيام بالتفتيش على الأسلحة النووية والجرثومية في العراق ، وقد تم ذلك على دفعات ، الدفعة الأولى كانت في حوالي ١٩٩٤ م ، واستمرت إلى أن قال العراق إن هؤلاء المفتشين جماعة من المخابرات الأمريكية الذين لا يكتفون بمراقبة ما يطلب منهم ، وإنما يحرسون على معرفة كل شيء عن العراق ، كما أنهم يتصلون بمن يشاؤون لعمل أي شيء من تجنيدهم . . . إلخ . واتهم العراق بعرقلة عملهم ، وظلت القضية بين شد وجذب إلى ١ / ٢٠٠٢ م ، حيث قرر مجلس الأمن ثانية إرسال المفتشين للبحث عن أسلحة الدمار الشامل في العراق ، ونصح بعض الدول العربية العراق بالسماح لهم بالتفتيش كل شيء ، فذهب المفتشون إلى العراق بكثافة كبيرة ، وأوغلوا في عمليات التفتيش إلى حد الامتهان ، وتفتيش القصور الرئاسية ومصالح الدولة والاطلاع على وثائقها ، ثم تدرج إلى تفتيش بيوت بعض رجالات الدولة وبعض علماء العراق ، ثم تدرج هذا على طلب استجواب العلماء في الكيمياء والذرة وغيرهم فسمح لهم واستجوبوا بعض العلماء ، ثم تدرج الأمر إلى طلب سحب العلماء لسؤالهم في أمريكا ، وتسربت أنباء عن عزم أمريكا اختراع أقوال على ألسنتهم ، فإذا بالعراق يمنع انتقال العلماء إلى أي بلد آخر ، ثم يصرح فيما بعد لمن أراد أن يذهب من العلماء وأحب ذلك فلا بأس عند الإدارة العراقية .

محاولة استغلال مجلس الأمن لتمرير المطالب الأمريكية:

بعد قرار مجلس الأمن الأول إرسال المفتشين إلى العراق، كان العراق مفروضاً عليه حظراً دولياً على كل شيء سواء كان سلاحاً، أو طعاماً، أو دواء، واستمر ذلك إلى نهاية الحرب على العراق فيما بعد ٦/٦/٢٠٠٣ م، وكان المقصود من ذلك: معاقبة العراق وإضعافه؛ حتى يؤدي ذلك إلى ثورة على حاكمه صدام حسين، أو إضعافه بدرجة لا يستطيع المقاومة عندها لأي حرب أو غزو أمريكي.

ولكن لما تمكن صدام حسين طاغية العراق من قهر الشعب وإذلاله وإمساك مقاديره الأمنية بقبضة من حديد، فاستسلم الشعب رغم الجوع والمرض والفقر المدقع وانخفاض العملة إلى حد بلغ الدولار العراقي الذي كان يساوي ٣ دولارات إلى أن صار الدولار الأمريكي يساوي ما يزيد على ألف دينار عراقي.

النفط مقابل الغذاء:

لما بلغ الوضع الشعبي في العراق حد المأساة في المرض ووفات الأطفال وجوع العائلات حتى كانت العائلة تباع أمتعتها قطعة قطعة حتى تستطيع مواصلة العيش، وحتى مات كثير من الأطفال ونشرت الصحافة العالمية هذه المأساة، سمح ببيع جزء من النفط لأغراض معينة منها:

- ١ - شد التعويضات التي فرضت على العراق للمتضررين من الغزو العراقي للكويت وهؤلاء طبعاً لهم حظوة عند أمريكا ومنهم الإدارة الأمريكية والكويت.
- ٢ - شراء بعض المواد الغذائية والأدوية لسد حاجة الشعب العراقي في هذه الناحية فقط، ودون الرفق.

وقد أعطيت الأمم المتحدة الحق في البيع والصرف، بحيث لا تتصرف الحكومة العراقية في شيء من ذلك إلا بواسطة مندوبي الأمم المتحدة.

وهل يظن إنسان ما، كائناً من كان، أن شعباً وسلطة في هذا الوضع، يكون لها كرامة، أو تملك من أمرها شيئاً؟!

قرار مجلس الأمن الثاني رقم ١٤٤١:

أصدر - كما أشرنا - مجلس الأمن قراره الثاني بإرسال المفتشين ليقوموا بالتفتيش بصورة مهينة عن أسلحة مزعومة في العراق ، وكانت أمريكا تطمح أن يمانع العراق ليفسح مجالاً للخيار الحربي لنزع الأسلحة حسب القرار الذي صدر بهذا الشأن إذا لم يسمح للمفتشين يلجأ إلى القوة لنزع الأسلحة .

ولكن العراق سمح بالتفتيش ، وتدرجوا من ذلك إلى تعنتات واستفزازات أشرنا إليها ، فوافق العراق عليها ، ثم تعنت المفتشون أكثر فأكثر فزعموا أن صواريخ العراق من نوع صمود ٢ يبلغ مداها أكثر من المطلوب ٢٠ كيلو ولا بد من تدميرها وتبلغ حوالي ٤٠٠ صاروخ ، فوافق العراق على تدميرها وابتدأ التدمير أمام بصر العراقيين والسلطات العراقية التي تسكت على مضض وعن كره ، ولكن الإدارة الأمريكية لم يرضها ذلك كله ، وطلبت من العراق أن يظهر بنفسه الأسلحة التي عجز المفتشون عن إظهارها والتي ليست موجودة أصلاً ، وهنا جاء العقبة التي أسكت الجميع .

وحاولت أمريكا استصدار قرار ثالث من الأمم المتحدة يصرح بالحرب ضد العراق وحاولت تمريره ، ولكن ذلك وجد معارضة من كثير من الدول في مجلس الأمن المعارضة في مجلس الأمن حول قرار الحرب :

كولن باول والأطماع الأمريكية:

لكن كولن باول وزير الخارجية كان أكثر صراحة في مناسبة أخرى ومكان آخر فقد اقترب الرجل من لب الحقيقة ، حقيقة الحرب ، إذ قال بوضوح أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ : «إن الإطاحة بصدام حسين ، يمكن أن تعيد تشكيل الشرق الأوسط بطريقة تعزز مصالح الولايات المتحدة ، وتساعد على إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي» .

واستطرد قائلاً : «أعتقد أن هناك أيضاً إمكانية لأن يعيد النجاح تشكيل المنطقة جذرياً بطريقة إيجابية قوية بما يعزز مصالح الولايات المتحدة ، وخاصة إذا ما استطعنا

في فترة ما بعد مثل هذا الصراع أن نحقق تقدماً نحو السلام بالشرق الأوسط مع إسرائيل .

وقال باول إن مشكلة واشنطن مع العراق ليست فقط حول تعاون العراق مع الأمم المتحدة في التخلي عن أي أسلحة دمار شامل قد يمتلكها .

وقال : «إننا لا نستطيع أن نقول إننا لن نفعل شيئاً؛ لأن هذا سيسبب لنا مشكلات أخرى في المنطقة، هذه هي المشكلة : إنها ليست فقط القرار ١٤٤١ ، بل إنها صدام حسين كتهديد للمنطقة» .

ألا يتطابق هذا الكلام ما يروج في المنطقة وأصبح أمراً واضحاً من أن الحرب هي حرب مصالح ولا شأن للدكتاتوريات وانتهاك حقوق الإنسان وأسلحة الدمار وغيرها . . وغيرها . . بها؟

وقد كشف تقرير أمريكي - إسرائيلي صدر مؤخراً ، أن هناك اتفاقاً بين الطرفين على تقاسم غنائم الغرب على العراق ، ووضع التقرير سيناريوهات للدور الإسرائيلي في المنطقة - الرأي العام الكويتية - وقد ذكرت مصادر إسرائيلية رفيعة : أن اجتماعاً كبيراً عقد في واشنطن ، وتبعه اجتماع آخر في تل أبيب لرسم خريطة المنطقة بعد اختفاء ، صدام حسين وكيفية التعامل مع أربعة من الأنظمة العربية الأخرى في المنطقة ، وأكدت المصادر أنه لا بد من وجود توازن واستقرار يمكن إسرائيل من المتغيرات التي ستجري وتهيئ اندماجها - إسرائيل - في المنطقة بعد فرض حل على الفلسطينيين .

هل نكون مبالغين إذا قلنا : إن الخطوة التالية بعد العراق هي دفن ملف القضية الفلسطينية بعد تمكين الصهاينة من كامل التراب الفلسطيني؟

وهل نكون مبالغين إذا قلنا : إن احتلال العراق ليس الهدف منه أبداً التخلص من طاغية العراق ، وإنما التخلص من الشعب والدولة والكيان بعد التهامها في بلعوم الوحش الأمريكي ومد الجسور من بغداد لتل أبيب ؛ لتحقيق خطوة جديدة من مخطط «إسرائيل من النيل إلى الفرات» انتظاراً لخطوات أخرى؟

أكثر من ذلك فقد توقع تقرير أمريكي خاص كتبته جورج فريدمان وصدر عن مركز تفكير «ستراتفورد» الأمريكي أن تسفر الحرب الأمريكية المحتملة ضد العراق عن إعادة صياغة جديدة للتركيبة الجيوسياسية في المنطقة وإمكانية أن تصبح الولايات المتحدة لأول مرة في تاريخ منطقة الخليج «قوة إقليمية مهيمنة» عوضاً عن القوى الرئيسة في المنطقة .

وقال التقرير الذي نشرت الوطن الكويتية مقتطفات منه : «إن الوجود الأمريكي في المنطقة سيكون مختلفاً عن الوجود الذي أفرزته عاصفة الصحراء عام ١٩٩١م» .

مواقف شجاعة للدول والشعوب:

من هنا كانت مواقف دول أوروبا الثلاث : فرنسا وألمانيا وبلجيكا ، ومواقف كل من روسيا والصين ، مواقف شجاعة ومكشوفة ، وصريحة لوقف هذا المخطط المحموم للسيطرة على نفط العراق ، وتدمير دولته وإبادة شعبه ، ثم إعادة تشكيل المنطقة بما يتسق مع أهداف هذا المخطط ، أي بما يحقق المصالح الأمريكية ، صحيح أن هذه الدول تنطلق - طبعاً - من منطلق الحفاظ على مصالحها الحيوية ، وهذا أمر مشروع من وجهة نظرهم ولكن السؤال المحزن هو : أين أصحاب المصلحة المباشرة : المادية والمعنوية ، الاقتصادية ، والعقيدية ، وهم العرب والمسلمون !!!

العالم يتظاهر:

لقد انتفض العالم في مظاهرات ضخمة ، قدرت يوم ٢/١٥ بأكثر من ثمانية بلايين في أكثر من ستمائة (٦٠٠) عاصمة ومدينة من القطب الشمالي وحتى القطب الجنوبي في كوكبنا ، شاملة معظم العواصم والمدن الأوروبية والأمريكية والآسيوية والاسترالية ، منددة بالعدوان المرتقب على العراق ، ومنادية برفض إراقة الدماء مقابل النفط ، ومهددة شعبية دعاة الحرب الأمريكيين والإنجليز والاستراليين .

وباعتراف الجميع ، كان هذه المظاهرات غير مسبوقة لدرجة أنها فرضت تغييراً تكتيكياً في صورة ادعاء الارتكان إلى «الشرعية الدولية» ، وإلى التأكيد لاستعادة شعبية فقدت على أن خيار الحرب هو الخيار الأخير !!

ولقد أكدت هذه المظاهرات قوة الأنظمة الغربية التي تقوم على احترام مشاعر الجماهير، وعلى احترام حقوقها في التعبير، حتى وإن كانت مخالفة تماماً للسياسة الرسمية، بل لم تقف تلك الأنظمة لتمنع الكثير من مواطني هذه الدول للسفر إلى العراق في موجات لم تنقطع ليكونوا دروعاً بشرية تقف أمام الدمار والتدمير الذي يتهدد شعب العراق وكل مظاهر الحياة فيه.

في مقابل ذلك، نتساءل ويتساءل المتعاطفون الغربيون معاً: أين العالم العربي والإسلامي؟!

والإجابة المحزنة والمهينة، أن هذا العالم يغط في سبات عميق، ويعيش صمتاً حزيناً ويساق إلى مجهول تحدده الصهيونية العالمية والصليبية الجديدة، بل هناك من كبار مثقفينا وصحفيينا من يروج لما بعد تدمير العراق، وكأن هذا التدمير قدر لا فكاك منه! .

انتهكت الولايات المتحدة حقوقنا المشروعة، قبل نهب واغتصاب ثرواتنا، انتهكت كرامتنا، قبل استخراب اقتصادياتنا، تجرأت على تفكيك كل ثوابتنا من جغرافيا، وتاريخ، وهوية، وعقيدة، وخطاب! وتنادي جهاراً نهاراً بأنها ستعيد تشكيل المنطقة بعد ضرب العراق وستنسينا تاريخنا، وتؤكد أنها ببيها لفرض «إسلام أمريكي، وهوية معدلة، وعقيدة مودرن، وخطاب عصري!!» .

تهدد بضرب العراق بكل الأسلحة بما في ذلك السلاح النووي، تحت دعاوى أنه لا يطبق قرارات الأمم المتحدة وأقطاب الأمم المتحدة ومفتشوها يؤكدون إلى حد الصراخ أن العراق يتعاون بشكل جاد في تطبيق قراراتها والاستجابة لمطالبها، وفتح كل مصانعه ومنشآته الإنتاجية والبحثية والتعليمية، وحتى الدينية (المساجد) وسمح بمسح دقيق وشامل لكل أراضيهِ من خلال طائرات التجسس (اليوتو) دون قيد أو شرط بينما الكيان الصهيوني صدر بالنسبة له أكثر من (١٥٠) قراراً، ولم ينفذ منها قراراً واحداً، والولايات المتحدة نفسها تخرق ليل نهار قرارات الأمم المتحدة، بل تؤكد أنها ليست ملزمة بالانصياع لهذه القرارات، وستضرب العراق سواء صدر

بذلك قرار أو لم يصدر!!

ألا يعي العرب والمسلمون ما تعيشه الأمة من ذل وعار ومهانة وامتهان؟ ألا يفهمون أبسط مسلمات عقيدتنا، بأن الله سبحانه وتعالى أكبر؟ ألا يوقنون بأن النصر من عند الله؟ ألا يعتقدون أن الحالة التي تعيشها الأمة هي حالة كاملة لتطبيق وإعمال فريضة الجهاد؟

أسئلة كثيرة وكثيرة، تدور في ذهن كل مسلم، في الشارع الإسلامي تبحث عن إجابة ولا مجيب!

ومع ذلك، لا مخرج سوى أن تبدأ مسيرة المصالح فتترك الشعوب تعبر عن مشاعرها وأحاسيسها تجاه قضايا أمتها، وسوف ترى الأنظمة أن هذا التعبير لن يخرج عن مضمون الأحداث التي تعيشها من ناحية، وسوف ترى أن هذه الشعوب لا تقل حرصاً على سلامة أوطانها، ولا تقل تحضراً فكرياً وسلوكياً - عن بقية شعوب الأرض.

ولنتدبر قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

بدء الاستعداد للهجوم على العراق

مقارنة بين القوات العراقية والقوات الأمريكية والحليفة في المنطقة

الجيش الأمريكي :

يوجد في منطقة الخليج حالياً ١٥ ألف عسكري منهم ٣ آلاف من القيادة المركزية للجيش في قطر والكويت .

الفرقة الثالثة مشاة: من المحتمل أن تكون الفرقة الأولى التي تنتشر بشكل كامل في الكويت ؛ إذ تتألف من ١٧ ألف عسكري ، ويوجد منها في المنطقة بالفعل ٣٥٠٠ عسكري إضافة إلى ١٥٠٠ في الطريق ، ولديهم حوالي ١٠٠ دبابة قتالية من طراز «ابرامز» ، واللواء الثاني موجود فعلاً هناك مع ٤ آلاف عسكري و ١٠٠ دبابة ، ويجري الآن نشر اللواء الأول الذي يتكون من ٥ آلاف عسكري و ١٠٠ دبابة .

الفرقة الرابعة مشاة: وقد تلقت هذه الفرقة أوامر بالانتشار وتوجه معظم أفرادها وعددهم ١٧ ألفاً إلى الكويت ، وإن كان بعضهم يمكن أن يذهب إلى تركيا .
الفيلق الخامس ، يتمركز في ألمانيا ، ويوجد منه ١٥٠٠ عنصر في الكويت .

القوات الجوية الأمريكية:

يوجد حوالي ١٧ ألف فرد من القوات الجوية في المنطقة إضافة إلى ٢٨٠ طائرة ، ونحو ١٧٠٠ في قاعدة انجرليك التركية .

القوة الجوية الضاربة ٢٨ :

توجه قاذفات بي ١٨ من ساوث داكوتا إلى قاعدة ثمرت الجوية في عمان في أوائل يناير .

وهناك تقارير أقل تفصيلاً عن تحركات لأسراب F15 و F17 إلى السعودية والكويت .

الوحدة الرابعة والعشرون: نزل إلى شواطئ الكويت ٢٣٠٠ من قوة المارينز التي تشمل على كتيبة مشاة وسرب طائرات وطائرات هليكوبتر فوق متن المجموعة

البرمائية التابعة لحاملة الطائرات « يو اس اس ناساو » وهذه لمجموعة تشمل على ١٧٠٠ بحار و ٣ سفن .

وحدة المارينز الثانية: وتضم ٧٥٠٠ من المارينز نزلوا فوق ٧ سفن قبالة سواحل نورث كارولينا الأسبوع الماضي وهم يعبرون حالياً المحيط الأطلسي في طريقهم إلى منطقة الخليج .

قوة المارينز الأولى: من المقرر أن يبصر قريباً ٧ آلاف من المارينز المتشربين في كامب بندلتون بكاليفورنيا على متن ٧ سفن تقودها سفينتان هجوميتان برمائيّتان ، ويوجد في الكويت منها حوالي ألف من أفراد مقر القيادة .

البحرية الملكية (البريطانية):

القوة المنتشرة بالفعل هي المدمرة كارديف ، وخزان الوقود باياف والفرقاطة كامبرلاند ، ومجموعة التصدي للألغام (أربع كاسحات ألغام وسفينة معاونة ، وغواصة نووية تطلق صواريخ توماهوك ، إجمالي الأفراد : ألف .

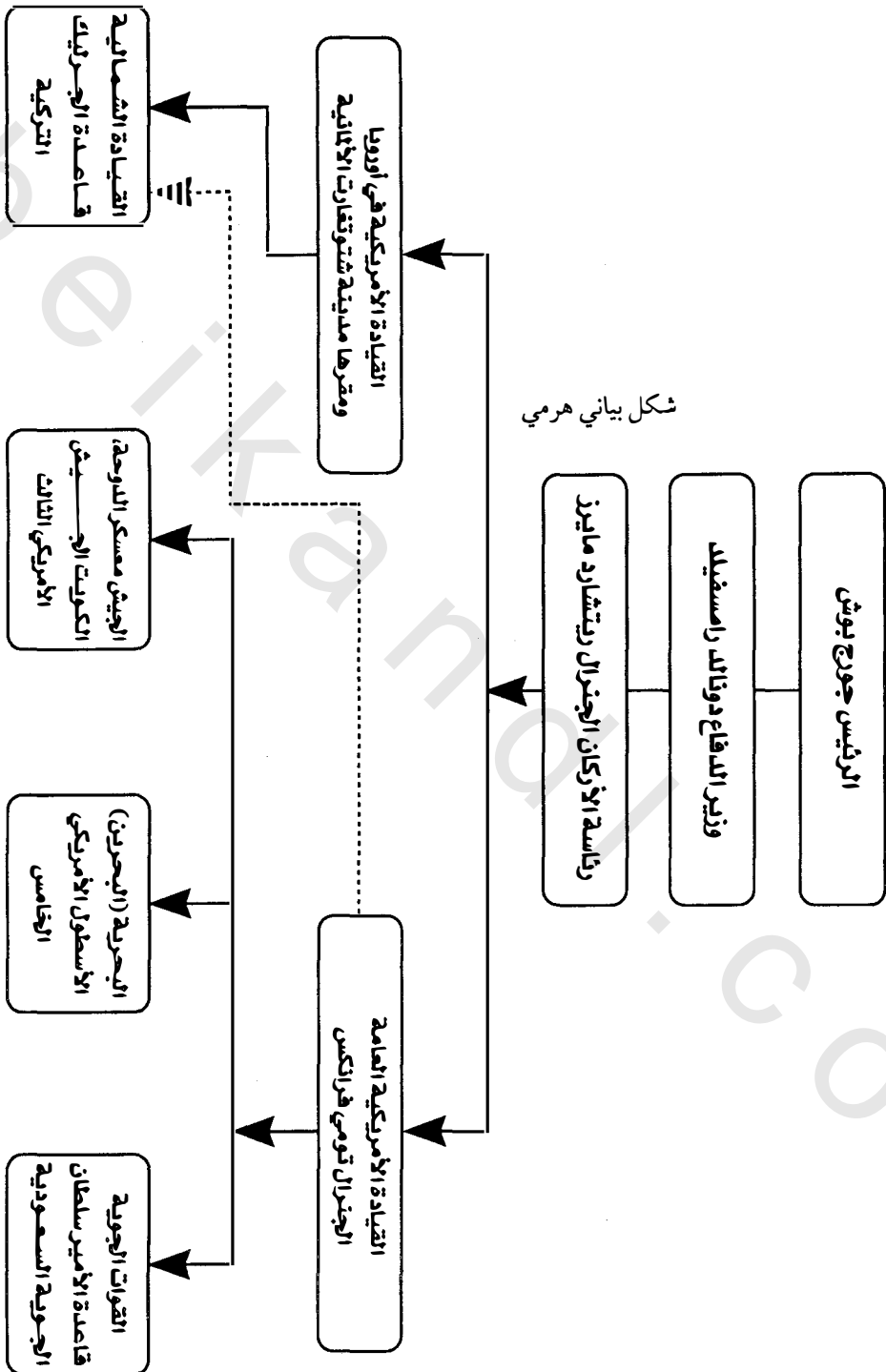
وفي الطريق مجموعة حاملة الطائرات اتش ام اس أرك رويال وحاملة الهليكوبتر اتش إم اس اوشن وثلاث مدمرات وعدد من السفن المعاونة ، وفي الطريق أيضاً مجموعة تصد للألغام ، وغواصة نووية تطلق صواريخ توماهوك ، إجمالي الأفراد ٥ آلاف .

في المنطقة بالفعل ٣٤ طائرة نفائة تكتيكية و ١٥٠٠ فرد إضافة إلى ١٤ طائرة إمداد .

القوة الموجودة في المنطقة حالياً تشمل اللواء الوجستي ١٠٢ الذي يعد القواعد ، إما إجمالي عدد القوات والقوات البحرية التي في طريقها إلى المنطقة فيصل إلى ٢٦ ألف جندي .

قوات بحرية أخرى ، فرقاطات ومدمرات في المنطقة : استراليا كندا (٢) ، فرنسا (٢) ألمانيا .

(٤) ، اليونان (١) ، إيطاليا (١) اليابان (٢) أسبانيا (٢) .



بدء الحرب الفعلية على العراق

استكملت التجهيزات والاستعدادات الحربية لغزو العراق، وتجمعت القوات البرية الغازية في دولة الكويت المجاورة للعراق، وتمركزت حاملات الطائرات في مياهاها الإقليمية، وفتحت القواعد الأمريكية المتشرة في المنطقة العربية أبوابها واستعدت للقصف والنزال، وفي يوم الأربعاء ١٩ / ٣ / ٢٠٠٣م تم الهجوم بالقصف الجوي المكثف على بغداد وكانت قاعدة الميلية في قطر هي مركز القيادة الحربية الأمريكية والبريطانية توجه منها الجيوش والطائرات والعمليات الحربية المختلفة.

وظلت آلة الحرب الأمريكية تطلق من صواريخها وطائراتها الحمم التي لا مثيل لها في تاريخ الحروب على بغداد، لا تفرق بين الآمنين من الناس وغيرهم، فيما يسمى بحملة الترويع، حتى حسب الناس أن نار جهنم قد فتحت على العراق والعالم كله لا يتحرك، والعالم العربي في سبات عميق.

غارات أمريكية وبريطانية وحشية على النجف وكربلاء لتأمين الطريق إلى بغداد.

معارك عنيفة مع قوات الحرس الجمهوري وفدائيي صدام.

قاذفات بي ٥٢ تقصف المواقع والمدن العراقية في الشمال.

مذابح مروعة للمدنيين وقصف مستشفى ومسجد وأضرحة مقدسة

وهكذا استمرت جرائم الحرب الأمريكية ضد المدنيين العزل، حيث قصفت طائرات العدوان مستشفى ولادة تابعاً للهِلال الأحمر في بغداد، مما أدى لإصابة عدد كبير من الأطباء والمرضات والمرضى. كما قصفت الطائرات الأمريكية معرضاً تجارياً ومبانٍ سكنية قرب المستشفى، وقال شهود عيان: إنَّ الهجمات الوحشية فاجأت المارة الذين حاولوا الخروج من منازلهم خلال فترة هدوء نسبي في الغارات، وأضافوا أن القصف أسفر عن تدمير خمس سيارات على الأقل وأن من بداخلها ماتوا حرقاً. ولم يعرف بعد عدد الشهداء في أحداث مذبحة.

واستمرت الغارات الجوية المسعورة مستمرة على بغداد مستهدفة قصوراً رئاسية ومواقع في قلب المدينة وعلى أطرافها بزعم أن بها وحدات لقوات الحرس الجمهوري .

هذا وقد بدأت الحرب قدرة غير أخلاقية يمارسها الغزاة الذين يقولون : إنهم متحضرون وتمدنيون إنهم الآن يقتلون الأسرى بلا شفقة ولا رحمة ولا مراعاة للقوانين الدولية . إن القتلى من الجانبين أصبحوا منذ أمس يعدون بالمئات ، لقد انفلت عيار الغزاة الذين لا يعرف أحد ما الذي يريدونه بالضبط إن الأمريكيين والبريطانيين لم يعودوا كما كانوا أو كما ظن الناس إنهم متمدنيون حقاً يراعون القوانين والمعاهدات ولا يطلقون الرصاص عشوائياً على المدنيين العراقيين في مفارق الطرق وفي المناطق المزدحمة بالسكان المدنيين ، إنهم يعلنون أن الحرب الكبرى قد بدأت ويعنون بالحرب الكبرى ، تلك التي لا يراعون فيها قوانين الحرب ولا قواعد الأخلاق .

وإذا كان الأسبوعان الأولان من هذه الحرب القذرة التي يشنها الأمريكيون والبريطانيون بلا هدف معلن ولا أخلاق يراعونها المتحاربون ، ولا قواعد وضعت ولا أخلاق روعيت ، جعلت هزائمهم غير المتوقعة خلال الأسبوعين الأولين يخرجون على القواعد والأخلاق والقوانين المرعية ، ويمارسون كل ما حرّمته قوانين الحرب وكأن الدنيا قد خلت فعلاً من أي ضابط ، ولم تعد تراعي فيها القيم والعادات والقوانين والأخلاق التي كانت تراعي في الحروب التي مضت ، وطبيعي ألا يقابل العراقيون الغزو الأوروبي الهمجي بالمكوت والاستسلام ، ولكنهم بطبيعة الحال سوف يبذلون أقصى الجهد ليردوا الغزاة على أعقابهم مدحورين مهزومين .

وهكذا تبدأ الحرب الحقيقية القذرة من جانب الغزاة الذين يقولون عن أنفسهم إنهم متحضرون وتمدنيون ، وإذا بهم يكشفون علناً عن أخطأ العادات والأخلاق والقيم ، يريدون كسب حرب بلا مبرر ولا سبب معروف معلن ، يريدون كسبها بأخطأ وأقذر الممارسات التي لا يعرفها إلا الهمجيون الذين يكشفون عن أخطأ القيم

وأقذر الممارسات .

وليس هذا سوى دليل على أنهم ذاقوا مرارة الهزيمة ، وعرفوا أن الحرب ليست كما تصوروها في أول الأمر لعبة محلية تستغرق بضعة أيام ، ثم ينتهي الأمر باستلام العراقيين تحت وطأة الأعداد الكبيرة وآلات الحرب الجهنمية وقساوة الممارسة . ولكنهم رغم هذا كله ، بدا عليهم الذهول والدهشة من الصمود العراقي والظن بأنهم فوق البشر العاديين بدا ذلك كله وهماً من الأوهام ، ومضى الأسبوعان الأولان في معارك خاضها العراقيون بكل الصبر والاحتمال والقدرة على مقابلة الزحف الغربي الأوروبي بما تحقق من الصمود الشرقي الذي أذهل الغزاة . وسوف يرون الأكثر والأعنف إذا استمروا على هذه الوتيرة .

حرب غير قانونية وغير أخلاقية

«هذا الرجل يحب الدم» ، بهذه الكلمات شنت صحيفة «ذي ميروور» البريطانية هجوماً على الرئيس الأمريكي جورج بوش ، معتبرة أن نزعة الانتقام تقوده لشن الحرب على العراق . وقالت الصحيفة ، معلقة على قرار الحرب : رغم الخسائر الهائلة التي يتوقع أن تحصل في أوساط المدنيين العراقيين . نحن نتوقع هذا من بوش ، فلقد أعدم خلال حكمه لولاية تكساس ما لم يفعله أي حاكم في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية .

وشنت الصحيفة هجوماً كاسحاً على رئيس الوزراء البريطاني توني بلير وصديقه بوش ، وقلت : إنها سيرتكبان جرائم في حق الإنسانية ؛ لأن ما سيقومان به ، مخالف للقانون الدولي . وخرق لمواثيق الأمم المتحدة .

وتحدثت «ذي ميروور» بمرارة عما سيتعرض له الشعب العراقي ، من قتل ودمار هائلين في خضم حرب ، لم يعرف التاريخ لها مثيلاً من قبل معتبرة أن كل ما سمعناه من بوش وبلير من اتهامات للعراق لم يكن أكثر من ادعاءات لم تثبت ، لقد قالوا : إن صدام حسين عنده أسلحة دمار شامل ، ولم يكشفوا لنا أيّاً من هذه الأسلحة ، قالوا : إن صدام له علاقة بأسامة بن لادن ، وفشلوا في إثبات ذلك . قالوا لنا : إن

هذه الحرب ليست من أجل النفط، وكل المؤشرات تدل على التعطش الأمريكي للسيطرة على آبار النفط هناك، حيث ثاني أكبر مخزون نفطي في العالم، لقد كذبوا علينا وقالوا: لن نخوض الحرب إلا بقرار من مجلس الأمن، وما هم يفعلونها، دون موافقة مجلس الأمن، إننا اليوم جميعاً ندفع ثمن تصرفات قادتنا السياسيين.

هل أصبحت أخطاء القادة السياسيين قدراً محتوماً على الشعوب النامية والغربية على السواء؟

حرب بتكليف إلهي البابا جورج ديليو وأم القنابل

تشير كتابات كثيرة ومنها عددان خصصتها «نيوزويك» لجورج بوش وتوني بلير، بأن ثمة نفحة إيمانية، أي دينية، في توجههما إلى هذه الحرب، فهذان الرجلان مندفعان إلى الحرب بتكليف إلهي في النهاية، هذا ما يراود قوله، وإلا ما الذي أقحم الدين والإيمان؟! وما الذي يمنع القول إن جاك شيراك يرفض الحرب من منطلق إيماني أيضاً، أليس موقفه أقرب إلى موقف الفاتيكان، بل أيضاً إلى موقف أسقف كانتربري وسائر الزعماء الروحيين في الغرب المسيحي؟

رغم الإشارات المتواترة إلى «الصليبية»، لم يجد أصحاب «الرؤية الإيمانية» في توجهات بوش وبلير، ما يمكن أن يؤذي هذا الادعاء في مصداقيته، خصوصاً أن جهداً كبيراً بُذل لتحديد معنى الأمة بمصطلحات دنيوية بحثة، لإبعادها عن شبهة الصراع الديني، ولتنزيه الحرب عن كونها حرباً على الإسلام، لكن هذا اللجوء إلى «الإيمان» بدا ضرورياً لسد ثغرات الإفلاس في تبرير أخلاقية الحرب، تحدثوا عن أدلة عن تهديد للعالم، عن صلة للعراق بالإرهاب وتنظيم القاعدة، وذهبوا إلى التضييد إلى أقصى الممكن، ومع ذلك لم تلبث الحجج أن عادت إلى حجمها الحقيقي، فهناك الكثير مما يوصم به النظام العراقي، ومما يبرر تغييره، لكن ليس هناك الكثير مما

يوجب الذهاب التلقائي إلى الحرب بكل ما تعنيه الحرب وما يعنيه الاحتلال وفي الأيام الأخيرة حدثت تسريبات عدة عن دخول شركات أمريكية في ورشات التحضير لما بعد ولم يقل أحد إذا كان توزيع الصفقات يدخل في إطار القفزة الإيمانية، بل يؤشر بحملة دعائية لعام القنابل التي اختبرت في جبال أفغانستان، فهي تزن عشرة أطنان، وتنتثر رذاذاً قابلاً للاشتعال في محيط خمسمائة متر حول الهدف، وإذا استخدمت في العراق فهي لن تستخدم في الجبال، وإنما فوق مدن أهلة بالسكان، ولم يول أحد من أنصار الحرب أي اهتمام بمن سيقتل بهذه القنابل والصواريخ «الذكية»، إنهم يتوهمون أنها ستكون حرباً نظيفة، ومن الواضح أنهم لا يعرفون الحرب أو إنهم مطمئنون إلى كونها بعيدة عن أرضهم وبيوتهم فهم سيتابعون وقائعها الدموية على شاشات التلفزة.

مآزق الاحتلال الأمريكي

من السهل أن تكسب معركة ولكن من الصعب أن تربح الحرب .
هذا هو مآزق الاحتلال الأمريكي في العراق اليوم . لقد سقطت بغداد في ٩ أبريل (نيسان)، ولكن من الواضح اليوم أن الوضع لم يستقر في العراق، وما هو أكثر وضوحاً أنه لن يستقر لفترات طويلة وأن بيئة غنية بالدوافع نحو تصاعد المقاومة تشكل بسرعة كبيرة في العراق ضد الاحتلال الأمريكي .

إذا تصاعدت المقاومة وتنوعت ضد الأمريكان في العراق فإن مشاريع العصابة التكسائية وحلفائها من المحافظين الجدد في الإدارة الأمريكية أقصر الامبراطوريات عمراً في التاريخ لن يصبح العراق النموذج الديمقراطي الذي بشر به هؤلاء في المنطقة العربية بل سيتحول كما يقول المراقبون إلى فيتنام أخرى أشد ضراوة لأسباب لا تخفي، منها أن الخصم فيها مجهول وأن أسلحة المواجهة تعددت وأن النمط الاستشهادي منها قد يكون هو الذي سيجبر قوات الاحتلال على الرحيل تاركة فوضى تعم العراق وستكون نقمة على كل جيرانه وأولهم الذين ساعدوا في احتلاله .

إن وضع القضية الفلسطينية في صورة إن المشكلة هي حركات المقاومة يشبه عملية التقمص النفسي بسبب ما يعانيه الاحتلال الأمريكي في العراق، فتشابه الحالتين الفلسطينية والعراقية هو إنذار لكل الأطراف ورسالة إلى الجميع . المازق الكبير للأمريكيين والبريطانيين في العراق هو الفشل الضخم على الأصعدة كافة في الإدارة المدنية (رحيل غارنر) والخطوات المرتبكة لبرير في حل الجيش وحزب البعث والفشل في جمع الأسلحة .

وفي العثور على أسلحة الدمار الشامل ، حيث تتصاعد الأصوات في بريطانيا وأمريكا للتحقيق في الفضائح الاستخباراتية والسياسية التي تكشف خباياها مع مرور الأيام والشهور من دون العثور على أي أسلحة دمار شامل في تشكيل حكومة عراقية تمثل كل ألوان الطيف العراقي وتتولى التفاهم مع الاحتلال حول القضايا اليومية ثم إنهاء الاحتلال سلماً كما يدعي الأمريكيون .

الدكتاتورية والخيانة؛

إن صدام حين كأي زعيم عربي أُتي به للحكم بغير إرادة الشعب ، جاء به ورعاه أسياده إلى أن تولّى السلطة وحكم بالحديد والنار ثم شرع ينفذ أجندة تضمن مصالح الدول الاستعمارية القديمة منها والجديدة على السواء ، في المنطقة العربية كما أن نفس الأجندة كانت من مفرداتها ضمان بقاء إسرائيل وعدم تشكيل أي تهديد مباشر لبقائها وإن كانت تسمح بهامش من المناورة والمتاجرة بالقضية ، وما عدا ذلك من الألقاب الطنانة والشعارات الرنانة التي رفعها حزب البعث من العروبة والوحدة و... و... إلخ .

فكفى بكل ذلك بواراً أنها خرجت من حزب مؤسسة مثيل عفلق زوج بنت «جولد مائير» رئيسة وزراء إسرائيل .

ولسنا بصدد تعديد النكبات التي منيت بها الأمة من قبل حزب البعث عامة وصدام حسين خاصة .

فلم يكن لدى صدام حسين ما يجعل حكماء الأمة يثقون به عندما كان يعلن الدفاع عن الإسلام أو العروبة وحماية البوابة الشرقية للعالم العربي وكان يعلن لذلك الجهاد والدفاع عن السنة مما خدع به كثير من المثقفين والسياسيين وتعاون معه كثير من زعماء المنطقة ومتفذيها، مدفوعين بحماية مصالحهم التي يرون أنها مضمونة بالاستجابة للدور الذي يلعبه صدام حسين في المنطقة .

الخديعة المؤلمة:

لم يخدع صدام حسين شعبه فقط ولكن خدع الأمة العربية والإسلامية خدعها كلاماً: حين ادعى البطولة والاستعداد والتضحية في سبيل بلده وأمنه وأطال الكلام ودبح الأحاديث .

وخدعها فعلاً: لأنه ما كان يملك سلاحاً ولا استعداداً ولا خطة يستطيع بها أن يقاوم حتى بحرب عصابات أو شوارع كما كان يدّعي . ومن أجل هذا الخداع المنمق ظن كثيراً من الشباب المخلص أن من واجبه الدفاع عن هذا الرمز الثابت الذي يقول أنه يصد عن الأمة ، فتسارع الشباب المؤمن الذي ما كان يحب صدام ولا أفعاله ، ولكنه أراد في الحقيقة الدفاع عن الأمة وعن كرامتها أمام غزوة وحشية واحتلال بين ، يريد إذلال الأمة ونهب ثرواتها والاستيلاء على مقدراتها ، وخدمة عدوتها إسرائيل .

نعم : ذهب المتطوعون إلى العراق لحمايتها وحماية رعاياها من ويلات من لا يرحم طفلاً ولا امرأة ولا شيخاً ولا فلاحاً ولا عاملاً أو عالماً أو صانعاً ذهبوا بدوافع فطرية من بغض الظلم والتجبر وبقية من الشهامة والإباء وحماية حمى المسلمين ممن يعلنها حرباً صليبية ومن ورائها الصهيونية العالمية .

وعلى الرغم من كل ذلك فذهابهم كان ذهاباً غير محسوب لا عقلاً ولا شرعاً أما عقلاً: فلأنهم لم يتعرفوا أبعاد من يقاتلون تحت إمرته ولم يتروا فيه الرأي ولم يعدوا لذلك عدته ، وأما شرعاً: فلأنهم لم يعرفوا لهم قيادة أو يتخذوا لأنفسهم راية .

من أجل ذلك راحوا أدراج الخيانة .

من الذي خان؟ ومن الذي أسلم البلاد والعباد في ساعة أحوج ما تكون البلاد فيه إلى كل جهد وكل ساعد، خاصة إذا كان ساعد مؤمن بطل، فذلك أمر سيرويه التاريخ للأجيال على أن شجرة الاستبداد والنفاق دائماً وأبداً هي أصل المصائب والنكبات وأس البلاء والشقاء

أمة مفككة ومستغلة... التحديات والمخرج

وأما أن الأمة مفككة ومستغلة وقيادتها بيد غيرها يفعل فيها ما يشاء فإننا نرى اليوم ما يتعرض ما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط من الأخطار الجيمة والتحديات المصيرية التي قد تكون أشد خطورة وأبلغ أثراً مما تعرضت لها في نهاية الحرب العالمية الأولى .

وقد تكون هذه الأحداث هي حجر الزاوية في إعادة رسم وتشكيل خريطة القوى العالمية ومناطق النفوذ لهذه القوى في العالم خلال القرن القادم .

رسمت أمريكا في حرب الخليج الثانية ملامح المستقبل لصالحها، ودشنت نفسها زعيمة للعالم بتلك الحرب .

إن تلك الحرب ليست مفاجئة ولا على غير المتوقع، بل يعد لها منذ سنوات بعيدة، من خلال العديد من الاحتمالات المتوقعة في نظر مخططي تلك الحرب .

إن لهذه الحرب دوافع وأهدافاً، اللاعب الرئيس فيها «أمريكا»، أما اللاعبون الصغار، فإنما هم أدوات يضرب بعضها ببعض ويُجعل بعضهم طعماً للبعض الآخر .

إن لأمريكا من هذه الحرب أهدافاً، منها :

- ١ - ضرب القوة العسكرية العراقية الناشئة التي بنيت بأموال الخليجيين وإشراف أمريكا؛ لثلاث تشكل هذه القوة تهديداً مستقبلياً لإسرائيل بعد أن استنفدت دورها في ضرب إيران وتشغيل مصانع السلاح الغربي .

٢- ضرب القوة الاقتصادية الخليجية التي كان لها أبلغ الأثر في دعم البنية التحتية للصحة الإسلامية على مستوى العالم من مساجد ومراكز ومدارس وجامعات ومجلات وكتب وشرائط وغير ذلك بالإضافة لما تمثله من دعم لدول المواجهة مع إسرائيل وللشعب الفلسطيني ومن تنمية واعدة لشعوب المنطقة .

٣- وضع بترول المنطقة تحت السيطرة شبه المباشرة للقوات الأمريكية ، وهو ما ظلت أمريكا تعمل له منذ عام ١٩٧٣ م ، ولم تعد تثق في التفاهات السياسية أو تعتمد عليها لتأمين إمدادات الطاقة .

٤- فرض الصلح بين العرب والكيان الصهيوني بما يحقق الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة ، ويضمن لها الاستقرار المستقبلي وتدشين ما سمي بالشرق الأوسط الجديد بديلاً للروابط الدينية والقومية .

٥- إثارة القلاقل في دولة المنطقة ؛ بين الأنظمة بإثارة بعضها ضد البعض الآخر وتخويف بعضها من بعض ، وبين الأنظمة والشعوب من خلال استفزاز الشعوب بالوجود الأمريكي في المنطقة ، ومن خلال الأعباء الاقتصادية المترتبة على الحرب وعلى الوجود العسكري الأمريكي بعد الحرب ، مما يؤثر على معيشة الناس وحياتهم .

٦- ضرب الصحة الإسلامية على امتداد الساحة العالمية والتي كان لمنطقة الخليج الدور الأكبر في دعمها ونشرها ، مما سيؤدي إلى ردود فعل عنيفة واستهلاك للجهود في الصراع الداخلي . حتى فوجئت ببعض طلبة العلم وبعض المثقفين يخوضون في تلك الحرب خوفاً عجبياً ، فرأيت لزاماً أن يدلي الباحثون بدلوهم في الموضوع ، وسيكون الحديث من خلال المحاور الآتية :

ما المطلوب فعله الآن؟

هناك ما يجب فعله مع قيام الحرب هناك أمور المعني بها الحكومات ، وأمور مناصرة بالشعوب ، وأمور يجب أن يتصدى لها العلماء والمثقفون ، وهناك أمور على مستوى الأمة ، وهناك أمور على مستوى كل بلد خاصة ، بل وأمور على مستوى كل مسلم .

الحكومات؛

أثبتت الأحداث وبخاصة في السنين الأخيرة انحياز أمريكا الكامل لإسرائيل واحتقارها لأكثر الحكومات العربية ووقوفها ضد البلدان الإسلامية مهما كانت علمانية النظام ومهما بلغت تنازلاته لأمريكا. ولعل في موقف أمريكا من الحلطة الفلسطينية دليلاً على ذلك، فعلى الرغم من تخلي منظمة التحرير عن ثوابتها ومبادئها وتحولها إلى سلطة خادمة لأجهزة الأمن الإسرائيلية ومطاردتها وسجنها وقمعها وتجسسها على الشعب الفلسطيني، إلا أن أمريكا نبذت تلك الحلطة نبذ الحصاة وتخلت عنها ووصمتها بالإرهاب.

من يستقرئ التاريخ يقف عند ما سمي بدول ملوك الطوائف في الأندلس حين تقسمت دولة المسلمين إلى دويلات يكيد بعضها لبعض ويستعدي بعضها العدو النصراني على البعض الآخر، فما زال ذلك ديدنهم حتى ذهبت ريحهم وقضى عليهم عدوهم، وبعض دول هذا الزمان أشبه بتلك.

العراق اليوم وغيره غداً، هل من يقول مقولة المعتمد بن عباد حين وقف مع يوسف بن تاشفين ضد ملك الفرنجة، فخوفه أمراء الأندلس طمع ابن تاشفين في الأندلس، فقال: «لأن أرعى جمال بن تاشفين خير لي من أن أرعى خنازير الفونس».

يا حكام المسلمين، ألا عودة صادقة إلى الله تراجعون فيها حساباتكم وترفعون الظلم عن شعوبكم وتحكمون شريعة الله، وتوحدون كلمتكم في مواجهة عدوكم؟ ماذا جنينا من البعد عن الله ومحاربة الإسلام ودعائه إلا الذل والشقاء والهوان؟ إن هواننا على الله هو السبب في نزع مهابتنا من صدور عدونا وتحولنا إلى غشاء كغشاء السيل.

تحديات تواجه المجتمع الإسلامي؛

وإنني أرى أن الأمة المسلمة في كل مكان تواجه تحديات كبرى من أخطرها:

١ - انحصار تطبيق الشريعة عن كثير من بلدان المسلمين، وحلول القوانين الوضعية

محلها إما بالكلية وإما جزئياً، مما أوجد حالة مأساوية لم تعرف لها الأمة سابقة في تاريخها نتج عنها الكثير من المشكلات الجذرية الأخرى .

٢ - عدو خارجي يتمثل في اليهود وحاضتهم أمريكا يتربص بنا الدوائر ويغينا الغوائل مهما تظاهر بغير ذلك ومهما توهما صداقته لنا .

٣ - تيار تغريبي شتت الأمة ومزق جمعها وفرّق وحدتها، وهذا التيار هو العلمانية بما تمثله من إلحاد عقائدي، أو انحراف فكري، أو فساد أخلاقي وسلوكي، أو عمالة خارجية، أو استبداد سياسي المهم أن أيّاً من ذلك هو نقيض الإسلام، فهو حتماً نقيض الوطن تاريخاً وواقعاً ومستقبلاً، وقد أثبتت الأحداث أنهم دائماً الحساب الاحتياطي للعدو الاستعماري الذين يلجأ إليه ليزيل بهم الشعوب، ويناكف ويزعج بهم الحكومات الوطنية .

والعلمانيون وإن كانوا أكثر ضجيجاً وصخباً وأعلى صوتاً لكنهم في الحقيقة قلة قليلة في سواد الأمة لا يمثلون شيئاً، ولذا ينبغي التعامل معهم على هذا الأساس ومعالجة مشكلتهم برفق وحكمة، لكن بحزم وحسم .

٤ - وجود فئات من الشباب المتدين اجتالهم الشيطان فقطوا صرعى الغلو والتكفير والرفض المطلق لكل ما لا يتفق مع آرائهم وأفكارهم، ولست في مقام التفصيل والتحليل لهذه الظاهرة وأسبابها التي أفرزتها والتي كان من أهمها :
أ - إسكات الدعاة العلماء والمصلحين .

ب - فتح أبواب السجون للشباب الملتزم واضطهادهم، وكبح طموحهم لقيادة الأمة .

ج - عدم التحرك لمواجهة اليهود، وعمل اتفاقيات سرية معهم .

د - انتشار الفساد والمحسوبية وتولية قيادات فاسدة .

٥ - من التحديات التي تواجهنا والتي ستؤدي لا قدر الله - إلى خلخلة الجبهة الداخلية في أي مجتمع إسلامي ما نشاهده في مواقع كثيرة من فساد إداري ومحسوبية ومحاباة وبيروقراطية ضربت بأطنابها حتى أصبحت العلاجات لا

تتجاوز المسكنات والمهدئات، ولا تنال إلا الأطراف والحواشي وصغار الناس دون رموز هذا الداء الوبيل .

٦ - الدين العام الهائل الذي أصيبت به أكثر البلدان، وبالذات منذ حرب الخليج والذي يزيد عاماً بعد عام، والذي ستعيش الأمة ترزح تحت كاهله عشرات السنين وما ينتج عن ذلك من تداعيات في شتى جوانب الحياة المختلفة .
فإذا أضيف إلى ذلك البطالة المتزايدة والفقر المدقع الذي تسع رقعته يوماً بعد يوم، والتردي في الخدمات الأساسية إذا أدركنا مقدار وحجم وخطورة هذا التحدي أمكننا حينئذ أن نلمس له حلاً، على الرغم من صعوبة ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٧ - يجب إعادة النظر في التعويل على الحلول الأمنية القمعية للظواهر والمشكلات الفكرية والسياسية، فهذه قد تخفيها ظاهراً لكنها تزيد حدة وعمقاً وإصراراً، وتجعلها أبعد عن المراجعة والتصويب والتصحيح . إن المعالجة الحقيقية للمشكلات السياسية والفكرية هي في الحوار والحجة والبرهان والقبول بالحق وحمل النفس على ذلك ومعالجة الأخطاء القائمة والاعتراف بها .

٨ - تضاؤل ثقة الناس في المؤسسة الدينية في البلدان التي كان لها وزن كبير فيها مما ينذر بأوخم العواقب في المستقبل، ومما يستدعي دراسة الأمر دراسة عميقة، والبحث عن حلول جريئة وعملية، خاصة أن وجود المؤسسة الدينية الرسمية الموثوقة من الناس أحد صمامات الأمان للمجتمع التي ينبغي الحفاظ عليها باستمرار .

٩ - التخلف العلمي والتقني والتنموي الذي جعل أغلب البلاد العربية في آخر قائمة دول العالم .

العلماء والمفكرون والمثقفون والخطباء

إن مسؤولية أهل العلم والثقافة، ورجال المنابر أمام الله، ثم أمام تاريخ أمتهم، مسؤولية عظيمة، فهم إما هداة صدق، ونصح وأمانة، وإما شهود زور وكذب وخيانة، إما يؤثرون الحق والنصح وما عند الله، أو يؤثرون المتاع الزائل والمجد الزائف والتطيل الأجوف والنفاق المهلك.

والذي أرى أنه يجب على هذه الفئة المتميزة من الأمة أن تقوم به في هذه الظروف الصعبة، الأمور الآتية:

١ - القيام بدورهم في الرجوع بالأمة إلى الله لإصلاح الأحوال والتوبة الصادقة من جميع الذنوب والمعاصي ورد المظالم لأهلها، فما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة.

٢ - توجيه الناس إلى الدعاء الدائم لله سبحانه وتعالى أن يزيح الغمة عن الناس، وفتح أبواب التفاؤل وحسن الظن بالله واليقين بنصر الله لدينه وعباده، ولكن ليلو بعضنا ببعض؛ ليعلم الصادقين من غيرهم ومقاومة أسباب الإحباط والخوف، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

ومهما كانت تقديرات البشر فهي في النهاية مربوطة بقدر الله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، ولذلك يجب التوكل على الله وحده واللجوء الصادق إليه.

٣ - وضع العلاقة مع أمريكا في إطارها الشرعي الصحيح، ففيها إدارات صليبية سلمت مقودها لصهيونية يهودية حاكمة على المسلمين والإسلام، فهي عدو لدود للمسلمين أذتهم وحاربتهم في كل ميدان أتيح لها ذلك فيه، لكنها أيضاً ميدان خصب للدعوة إلى الله، ومستقبل الإسلام فيها واعد ومشرق بإذن الله، ويجب مقاومة العدوان بالوسائل الشرعية الممكنة، وإيصال صوت الإسلام لشعبها والحوار مع عقلائها والوفاء بالعهود ما لم ينقضوها وعدم الغدر

بالمستأمنين منهم، وعدم جواز بل حرمة إعانتها على المسلمين تحت أي ظرف، والتحذير من ذلك ووجوب مقاومتها لدفع عدوانها عن المسلمين.

٤ - إحياء معاني الجهاد والرجولة والشجاعة والبطولة في نفوس الأمة وتربيتها على ذلك، فالجهاد ماض في الأمة إلى يوم القيامة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فهو سياحة الأمة ودرعها الذي تواجه به عدوها، وما ذُلت الأمة إلا يوم أن تخلت عن الجهاد وأصبح شبابها غزلاناً وحملاناً وديعة، واستلهم السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي في ذلك والتذكير به وتصحيح النية.

٥ - التوعية بخطورة الحرب على مستقبل الأمة في مختلف جوانب حياتها الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وكيف يمكن مقاومة هذه الأخطار وسبل مواجهتها وتحريك الشعوب ليكون لها دور في مقاومة العدوان.

٦ - حض الناس وحثهم على مساعدة ودعم المسلمين في العراق وإغاثتهم من خلال المؤسسات الخيرية والإغاثية والقنوات الرسمية والشعبية لتخفيف محتهم وأداء الواجب نحوهم فلو كان ما يتعرض له المسلمون في فلسطين واليشان والعراق وغيرها، يتعرض لها قطع من الكلاب أو الخنازير لما جاز السكوت عليه، فكيف وهم أناس ومسلمون؟! والواجب عدم تحميل الناس في العراق جريرة صدام وزمرته وحزبه.

٧ - توجيه الناس إلى الحفاظ على أمن البلاد ووحدتها واعتبار ذلك من الأولويات في هذه الظروف والتكافل والترابط مع الجميع واعتبار الأمة جسداً واحداً والتعاون والتواصل والتناصح مع المسؤولين، فالحرب كارثة على الجميع وليس الوقت وقت تلاوم، بل وقت تكاتف وتأزر على الحق، والحذر من خطورة الإشاعات والحرب النفسية وأهمية الثبوت فيما ينشر أو يذاع.

٨ - عدم ترك الفرصة للعلمانيين للحدث باسم الأمة والنيل من دينها وتاريخها وثوابتها، وبيان أن كل ما أصاب الأمة بسبب صدام إنما هو إحدى الثمار المرة للفكر العلماني، وقد سبقها الكثير، وما هزائم ١٩٤٨ و١٩٦٧م أمام اليهود، وما جنته الأمة في ظل المد الناصري العلماني إلا ثمار أخرى، وستبقى أمتنا

تعيش المآسي ما دام هذا الفكر العقيم الغريب يعيش في واقعها وينخر في جسدتها .

٩ - الحذر والتحذير من الأعمال المتهورة غير المضبوطة التي قد يكون ضررها أكثر من نفعها، بل قد لا يكون فيها نفع أصلاً، وقد تكون محرمة شرعاً، فالحماس غير المبصر بالفقه الشرعي والمستوعب لسلبات وإيجابيات ومصالح ومفاسد أي عمل، عدمه خير من وجوده، ولذا على الجميع أن يترث قبل الإقدام على أي أمر حتى يعرف حكم الله فهي وما يترتب عليه من مصالح ومفاسد .

أمة يحكمها الذئاب

وأما عن شعوب تلك الأمة المهضومة والمستباحة من سلطاتها، فهي في صراع وتنافر معهم أصابها باليأس والكراهية والإحباط، هناك كم مثل حي كشف عن مآسيه غير المسبوقة في التاريخ، وهذه الأخبار تترى صداها فتفقد المرء الحراك وهو مستمر أمام مشاهد الرعب المفجعة .

مقبرة وراء مقبرة تنشق عن رفات وعظام جماجم تساقط شعرها، وأجساد اهترأ لحمها، واختلط بالتراب بعد أن تشبع بدمها المسفوك .

من رضي أن يعيش فوق الأرض ولسان حاله لا يكف عن القول : آمنت بالبعث رباً لا شريك له فله الأمان، ومن تضجر فعليه أن يفر بجلده إلى أرض الله الواسعة، وإن تأخر عن الفرار أو تردد أو أثر البقاء فوجئ بنفسه بين شبك النظام الأسود وخط طيفه؛ ليتقر في مكانه الحديد تحت الأرض، إما جثة في مقبرة جماعية أو يجرفه تيار المجاري لتحلل جثته، أو في أحد طوابق المسجون التي لا يعرف «الدبان الأزرق» له طريقاً، إنها ظلمات بعضها فوق بعض ومن فوقها الطرقات والعمارات، وكأن شيئاً لم يكن .

قتل بالديناميت:

نخرج من بين الجثث، نخرج من تحت الأرض قليلاً، لنشاهد فاصلاً آخر من

فصول المجزرة التي لا تمت للأدوية بصلة .

نشاهد فنوناً وألواناً من التعذيب والقتل نشاهد قوماً يطربون لصرخات الضحايا واستغاثات المظلومين ، ويسعدون بالولوغ في دمائهم وهم يشاهدونها متفجرة كالأنهار . . لا . . ليس ذلك فحسب ، وإنما تفنن وإبداع لم تتوصل إليه الشياطين بعد في اقتناص الضحايا وقتلهم .

وليس الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضاً عياناً

الشرطة السرية:

في بغداد بدأت إحدى المناطق أنيقة بنياتها المت ، التي أحاط بها العشب الأخضر المنسق بعناية ، تداعبه قطرات المياه المنبعثة من البخاخات ، المشهد يوحي بمنظر جمالي يسر الناظرين ، لكن باطن الأرض هناك كان ينبئ عن لوحة قاتمة أشد سواداً من القطران ، وتلك طبيعة الأنظمة الفاشية المجرمة في كل عصر ومكان فتحت تلك العمارات يوجد سجن الشرطة السرية الذي يعد بحق مصنعاً متقدماً في إبداع فنون التعذيب والقتل .

منظومة البعث الإعلامية:

تمكنت طبقة البعث الحاكمة على امتداد ثلاثين عاماً من حكمها من صناعة منظومة إعلامية جهنمية في الداخل والخارج غطت على كل الجرائم ووقفت بالمرصاد ، كالكلاب الهائجة لكل من يحاول أن يمس «النظام» بكلمة نقد .

في الداخل نجحت الآلة الإعلامية المحلية بكل صنوفها في تنصيب صدام «إلهاً» يُعبد من دون الله ، مجرد التفكير في كراهيته تكون عاقبته الفناء ، وإذا قرأ الزبانية في عيني واحد من الناس أي إشارات معارضة ، يكون مصيره الجحيم .

لقد طاردهم صدام أينما كانوا بصوره وتماثيله وأحاديثه وأخباره .

وعلى الصعيد الخارجي نجحت الآلة الإعلامية الجهنمية في قطع الطريق على كل من يحاول المساس بصدّام ، نجحت هذه الآلة في الربط الوثيق بين شخصي

الزعيم ومصير الوطن، فمن يحاول المساس بالزعيم فهو خائن للوطن، ومن ينتقد الزعيم أو يحاول الكشف عن بعض جرائمه فهو عميل أمريكي أو - من قبل - عميل إيراني، حاولوا جهدهم للمزاوجة بين الزعيم والوطن وجعلهما وجهين لعملة واحدة.

ونجحوا للأسف بعباراتهم الخادعة، وشعاراتهم البراقة في أن يسحروا أعين الناس ويشربوهم أكذوبة أن الرجل صار مؤمناً، فهو عبد الله المؤمن، والمهيب الرُّكن، وحامي البوابة الشرقية، وصاحب أم المعارك، وأم الحواسم، والذي سيجعل من بغداد مقبرة للأمريكان! وأسهم صدام نفسه في حبك وإخراج التمثيلية، تمثيلية الإيمان بالله، وقام ببراعة فائقة بدور الرجل المؤمن بربه المتوكل عليه.

شاهدناه في أيامه الأخيرة وهو يعد العدة لقهر الأمريكان! وهو يجلس متنفخ الأوداج بيجاره الشهير، يردد آيات القرآن الكريم، ثم يسمع إلى قواده قائداً قائداً، وقد حرص الجميع على افتتاح الكلام واختتامه بآيات من الذكر الحكيم، وهو يهز رأسه، بصوت مملوء بالخشوع: «صدق الله العظيم» انطلقت التمثيلية على الكثيرين، وروجت لها جوقة الإعلام عبر وسائل الإعلام، وتاهت كل الأصوات التي حاولت المساس به.

من يعارضه من الداخل خائن للوطن، ومن يعارضه من الخارج إما تابع للأمريكان، أو تابع لإيران (خلال الحرب العراقية الإيرانية). أو تابع لأي جهة مكروهة!

تلك قصة البعث «العفلي» مع الإنسان، سامه سوء العذاب، ونكل به تحت كل ما يحلو ويخطر على البال من شعارات الوطنية والقومية والاستقلال، ثم سلمه لاحتلال الأمريكي ليكمل معه المسيرة، وفر البعث هارباً واختفى صدام واعتقد أن أحداً لن يصل إليه؛ لأنه سيكون في حوزة سادته الذين قدم لهم أجل الخدمات، فقد خرب المنطقة كلها لحسابهم.

طريق الجماجم طويل

وطريق الجماجم لا يقف عند بغداد وحدها، وإنما يبدأ من هناك في رحلة طويلة تطوف عواصم دول عربية عدة يصل إلى دمشق، حيث الرئة الأخرى لمنظومة البعث، وحيث نسمع الشعارات نفسها بالمنظومة الإعلامية الجهنمية نفسها، وإن كانت قد كُنست في الأيام الأخيرة. وتحت الأرض مجزرة ومقصلة في أكثر من أربعة وعشرين سجنًا في مدينة حلب . . . وغيرها وغيرها، يقبع خلف قضبانها عشرات الآلاف لا يعلم إلا الله متى ينكشف الغطاء وتنشق الأرض كاشفة ما يجري لهم.

طريق الجماجم طويل، يمتد عبر عواصم وعواصم ويصل إلى طرابلس، حيث الصورة نفسها، صورة الزعيم، وصورة الأهوال في سجون، ويمتد إلى تونس الخضراء، حيث الصورة هي، باطن الأرض تحول إلى جحيم للآلاف من المعارضين حيث أصيب العديد بالأمراض المزمنة وبالجنون، وقضي آخرون تحت آلات الموت؛ ليدفنوا في هدوء ورضا من الأهل دون ضجيج، ولماذا لا يرضون بتلك النعمة، فغيرهم يقتل في أماكن أخرى ولا يعرف ذووه عنه شيئاً حتى اليوم؟!!

المشاهد واحدة، والنتائج واحدة لتلك النظريات والفلسفات التي صاحبت ثورات كبرى خلبت ألباب الناس في البداية بشعاراتها، ثم أورثتهم الذل والفقر والتخلف.

ثورة ناصر، وثورة البعث، بشعارات الحرب على الاستعمار وإلقاء إسرائيل ومن وراءها في البحر، ثم جعل بغداد مقبرة لمغول العصر، شعارات القوة العسكرية والنهضة الشاملة، وقبل ذلك ثورة بلشفية شيوعية دغدغت عواطف الجماهير وألهبت مشاعرهم وأرضعت بقية الثورات الشبيهة في بلادنا. أرضعتها الدجل والإفك، ثم النتيجة سقوط كل أوراق التوت في لحظة «خريفية» عاصفة لتكشف عن الحقيقة المرة الماثلة أمام أعيننا.

ما تكشف من جرائم الذئب:

- هذا وقد تكشف في فترة وجيزة جداً بعض جرائم صدام الذئب وكان من ذلك
- ١ - جثث مدفونة جماعياً لأشخاص قطعت أطرافهم قبل إعدامهم .
 - ٢ - أكثر من ٢٠٠ جثة في مقبرة جماعية بملايهم .
 - ٣ - وثائق عن قتل الأسرى في السجون وتغييبهم في أماكن مجهولة .
 - ٤ - وثائق تثبت أن الجثث بعد الإعدامات كانت تباع لذويهم وإلا غيبوا كما يغيب غيرهم .
 - ٥ - فرق لاغتيال الخصوم بغاز سام على شكل عطر .
 - ٦ - وثائق تثبت ، تورط نظام العراق في التعذيب والاغتصاب وقطع الرؤوس والألسن والآذان .
 - ٧ - وثائق تثبت اقتلاع الأظافر وقطع الآذان للخصوم والإعدام البطيء .
 - ٨ - وثائق تثبت مقدار التصفيات الجسدية الرهيبة ، للذين يعتبرهم النظام غير متعاونين .
 - ٩ - المصادرات القسرية للأموال ، وإعدام التجار .
 - ١٠ - معتقلون بالآلاف ، لا يعرف عنهم شيء .
 - ١١ - الفساد المالي والخلقي في الرأس والزبانية .
 - ١٢ - إلغاء القانون والحكم بالأهواء الشخصية .

التلاعب بالعواطف طريق إلى الاحتلال:

من السهل جداً أن تخدع العطشان بالماء أو حتى بالسراب ، ومن السهل كذلك أن تخدع المسجون بالحرية المزعومة ؛ ولأن الشعوب العربية والإسلامية في مجملها شعوب محرومة من الحقوق الإنسانية والحضارية ، فمن السهل أيضاً خداعها ووعدتها بتحقيق هذه المقومات والحقوق ، فكم خدعت شعوب بوهم الديمقراطية المزورة ، وبوهم الحرية الإعلامية ، وبوهم الحضارة الشيطانية الشهوانية ، ولكنها طبيعة الإنسانية ذات الميول والعواطف والملكات . والسلطات التي تحرم شعوبها من تلك المقومات والحقوق تعرضها للخداع والأوهام وتزرع عندها القابلية للاستعمار .

والاستعمار الجديد هو الذي رتب المؤامرة كلها، زرع الدكتاتوريات ليهضموا الحقوق الإنسانية للجماهير، ويزرعوا الكراهية في شعوبهم، ثم جاؤوا إلى تلك الشعوب يدعون أنهم منقذون ومحررون لتلك الشعوب المسكينة، وتاريخ ذلك معروف لكل من يقرأ ويعي.

مرت العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب بعدد من المراحل التاريخية من الحروب الصليبية إلى الاستعمار العسكري المباشر إلى دعم الدكتاتوريات والنظم الانقلابية الاستبدادية.

وقد عاش معظم بلدان العالم الإسلامي نصف القرن الأخير تحت حكم انقلابي دكتاتوري بعيد عن الشورى، غاب فيه رأي الشعوب وزورت إرادتها وكممت الأفواه وزج بالمصلحين والدعاة في السجون والمعتقلات، وعلق عدد من علماء المسلمين على أعواد المشانق، وجيء بالانقلابيين من العسكر والبعثيين واليسار وغيرهم ممن رعتهم المخابرات الأجنبية، أمريكية وأوروبية، وهياتهم لتلك المهام بعد أن رحل الاستعمار العسكري المباشر.

ومنذ ذلك التاريخ لم يشهد معظم دول المنطقة خيراً، إذ انهزمت الأمة في معظم معاركها العسكرية (المفتعلة) والسياسية والاقتصادية، وأصابها التخلف والتدهور المرسوم في شتى المجالات، حتى ضجت الشعوب، ولم يعد في قوس صبرها من منزع، وخاصة رياح التغيير وحرية التعبير والاختيار تهب على مختلف أرجاء العالم الإسلامي إلا عالمنا العربي والإسلامي، والتقدم والنهضة يشملان مناطق شتى من المعمورة، فيما عالمنا العربي والإسلامي يواصل تراجعاً بانتظام، وهي أحوال تولد السخط العام وتنذر بنشوء القلاقل وعدم الاستقرار.

وقد شعر الغرب أن الخيوط سوف تفلت من يده، ولذلك غير نغمته وبدأ يعزف على وتر جديد اسمه الديمقراطية، والرغبة في تشجيع التطور الديمقراطي في العالم الإسلامي.

في الرابع من ديسمبر الماضي، ألقى السفير «ريتشارد هاس» مدير قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية، خطاباً أمام مجلس العلاقات

الخارجية في واشنطن اعترف فيه بصراحة نادرة بأن الجهود الأمريكية الرامية إلى تشجيع الديمقراطية في العالم الإسلامي كانت أحياناً عرجاء وغير كاملة، وقال بالنص: «الحقيقة أن الحكومات الأمريكية المتعاقبة، الجمهورية والديمقراطية على حد سواء، لم تجعل من الديمقراطية أولوية بشكل كاف في العديد من أجزاء العالم الإسلامي، وعلى الأخص، في العالم العربي.

في بعض الأحيان تجنبت الولايات المتحدة النظر بتعمق في الأعمال الداخلية للبلدان لصالح تأمين دفع متواصل من النفط ولكبح التوسع السوفييتي والعراقي والإيراني، وللتعامل مع القضايا المتصلة بالنزاع العربي الإسرائيلي ومقاومة الشيوعية في شرق آسيا، أو تأمين حق الحصول على القواعد لقواتنا العسكرية، وهكذا، ولإهمالنا تقديم المساعدة لتعزيز المسار التدريجي نحو الديمقراطية في العديد من علاقاتنا المهمة، بخلقنا ما يمكن تسميته «الاستثناء الديمقراطي» فأتينا فرصة مساعدة تلك البلدان لكي تصبح أكثر استقراراً، وأكثر ازدهاراً، وأكثر سلاماً، وأكثر تكيفاً مع ضغوط عالم في طور التعولم».

هكذا يعترف مدير قسم التخطيط السياسي بوزارة الخارجية الأمريكية بما قامت به بلاده طوال نصف القرن الماضي. لقد ضحت بمصالح الشعوب الإسلامية، وساعدت على كبت حريتها وضرب إرادتها، وساندت الاستبداد السياسي والعسكري.

فما الذي تغير اليوم حتى يقال إن واشنطن قد غيرت رأيها؟

يحاول الغرب إقناعنا بأن تحولاً صادقاً حدث في السياسة الخارجية، إذ يقول: إنه «ليس من مصلحتنا أو من مصلحة الشعوب التي تعيش في العالم الإسلامي أن تواصل الولايات المتحدة هذا الاستثناء سوف تتعامل السياسة الأمريكية بنشاط أكبر لمساندة الاتجاهات الديمقراطية في العالم الإسلامي أكثر من أي وقت مضى».

كما يحاول «ريتشارد هاس» أن ينفي أن تكون وراء إثارة هذه القضية في هذا الوقت بالذات محاولة لإخفاء المصلحة الأمريكية في تغيير نظام العراق أو محاولة قلب الأنظمة في الشرق الأوسط، أو أن يتخذه شعار كعملية تأديبية ضد الذين

ينظر إليهم كأعداء لأمريكا .

وكم كان بودنا أن نرى الدليل على صدق ذلك الحديث لولا ما تلاه مما سمي بمبادرة الشركة التي أعلنها وزير الخارجية الأمريكي كولن باول، وشرط فيها التغيير الديمقراطي بتغيير مناهج التعليم، وفرض تمثيل المرأة مقترناً بالإصلاحات السياسية والاقتصادية المزعومة، فهي إذن مبادرة إلزامية لا خيار فيها: تقبل بها وإلا جاءت العصا الأمريكية لتؤدب رافضها، إنها غط جديد في السلوك الأمريكي للتغيير بالقوة وفرض الديمقراطية كما حصل في كوسوفا وأفغانستان، وكما هو مقترح للعراق وللسلطة الفلسطينية وللعالَم العربي ككل .

وهي تأتي متزامنة مع محاولات السيطرة العسكرية على العالم العربي، واختيار القيادات السياسية الجديدة ممن صنعوا على عين الغرب وانسلخوا من مجتمعاتهم وقيمها وأخلاقها ليتولوا إدارة المؤسسات الديمقراطية الجديدة لاستكمال الديكور الزائف المطلوب .

وهكذا بعد فشل دعاة اليسار والشيوعية والقومية يأتي دعاة الليبرالية والانفتاح والتسامح ليكملوا مسيرة التبعية من تحت قبة البرلمانات والمؤسسات الديمقراطية المدعاة .

تلك هي الخطوط العريضة للخطة التي يراد فرضها ونشرها هنا إلى ثلاثة أمور :
١- إذا كانت أمريكا صادقة حقاً في سعيها لخدمة العالم الإسلامي، فإن المطلوب منها بدايةً أن ترفع دعمها عن الأنظمة الاستبدادية الانقلابية، وحينها ستزول من تلقاء نفسها .

٢- أن تقف موقفاً عادلاً تجاه قضايا الشعوب العربية والإسلامية، وعلى الأخص القضية الفلسطينية، ولا تكيل بمكيالين في تحيزها لصالح العدو الصهيوني .

٣- إن على واشنطن أن تدرك، أن الشعوب الإسلامية تتوق إلى الحرية وإلى ممارسة الشورى وحقها في التعبير والاختيار، على أن يأتي ذلك من الداخل ولا يفرض عليها من الخارج، فكما يقال: «الحرية تؤخذ ولا تعطى»، وإذا صدق ذلك على الحكام، فمن باب أولى يصدق على الطرف القريب الذي يريد التدخل في

أمور الشعوب .

فلتدرك أمريكا ذلك ولتوفر جهودها وأموالها ولتبحث عن الطريق الصحيح للتعايش مع العالم الإسلامي بالتليم بحقوقه كاملة، وعدم التدخل في ثوابته وخصوصياته ومناهجه، فهذا التدخل مرفوض رفضاً تاماً من الشعوب ويشير على أمريكا مشكلات لا حصر لها ولا حدود، وكفانا ما عانينا على يد الغرب من أهوال ومصائب .

خريطة الطريق:

برزت فكرة التسوية في «أوسلو» بعد حرب الخليج؛ لإلهاء العرب عن الاستعمار الأمريكي الجديد للمنطقة الخليجية ولتحسين وجه الوجود الأمريكي، وإخفاء التحيز الأمريكي لإسرائيل وظلت تتدحرج «أوسلو» من اتفاق إلى مفاوضات إلى اتفاق ومفاوضات بدون نهاية أو حلول للقضية، وإنما هي إشغالات تنتهي دائماً بياس الجانب العربي بتقديم تنازلات متتالية حتى تضيق القضية بأيدي عربية وساعد على ذلك قيام سلطة فلسطينية برعاية أمريكا واليهود والغرب، لضبط الشارع الفلسطيني وإخماد الثورات تماماً كما أقيمت أنظمة في المنطقة لنفس الغرض مع شعوبها المحبطة والفاقة لحريتها وكرامتها .

وينفس الفكرة جاءت خريطة الطريق الأمريكية، بعد غزو أفغانستان واحتلال أمريكا لبلد إسلامي كبير، ثم غزو العراق واحتلاله من قبل الولايات المتحدة لأسباب معروفة أمريكياً وصهيونياً، اخترعت خريطة الطريق الأمريكية، لامتناس الغضب العربي والإسلامي، والتلهي بتلك القضية ردحاً من الزمن حتى تتدحرج، واختيرت سلطة فلسطينية على مقاس تلك الخريطة المزعومة وفرضت فرضاً، وزحزح عرفات الذي لا يستطيع أن يعطي أكثر مما أعطى، ولا يستطيع أن يكبح جماح الفصائل الفلسطينية التي ضحت بالكثير والكثير في سبيل الحفاظ على المقدسات وعلى الشعب المستباح الذي تهدم دياره ومساكنه صباح مساء، والغريب والمضحك أن يشترط لتلك الخطة على الجانب الفلسطيني شروطاً قاسية لا يستطيع أحد قبولها فضلاً عن تنفيذها .

النهاية:

احتلت العراق وعثر على صدام وقبض على وزرائه وأودعوا في السجون، وجرت لهم محاكمات وحكم على من حكم عليه ونال صدام حسين حكم الإعدام ونفذ فيه يوم عيد الأضحى، ووقف على المنصة وفي رقبته حبل الشنق وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونفذ فيه حكم الإعدام شنقاً، وانتهى بذلك حقبة من الظلم بمأساة للعراق كله، وسار العراق إلى مصير ما زال مجهولاً، واشتدت المقاومة ضد الأمريكان وخسروا الآلاف المؤلفة من جنودهم ومارينزهم وما زال ملل المقاومة مستمراً ضد الأمريكان وحاولوا حكم العراق فلم يستطيعوا فلجؤوا إلى تسليم الحكم للعراقيين أنفسهم هرباً من جحيم المقاومة، ولكن المقاومة لم تهدأ نتيجة الاحتلال والجرائم المتنوعة التي ارتكبتها الأمريكان في الساحة العراقية. وحاول الأمريكان بجهود كبيرة أن يقهروا تلك المقاومة الباسلة أو يخفقوا من وطأتهم فلم يستطيعوا.

دوامه الحوادث:

دخل العراق بسبب الغزو الأجنبي في دوامة من الحوادث، ولا يعلم إلا الله متى سيخرج منها:

١ - السنة والشيعه:

نجحت أمريكا والغرب في إثارة النعرات بين المسلمين وبين المذاهب المختلفة في الديانة الواحدة، مع أن الإسلام يدعو إلى الاتحاد ونبد الفرقة وجعل النصر حليفهم إن فعلوا ذلك: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

بل حض القرآن المؤمنين أن يكون بعضهم أولياء بعض، وقد فعل الكافرون ذلك فأولئ بالمسلمين أن يكونوا كذلك قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]. ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وكان أكثر الفتن التي أثرت في العراق، الفتنة بين السنة والشيعه والقتل الذي استشرى في الجانبين، ونسأل الله التوفيق بين الجميع.

٢ - فتنة البعث:

وهي فتنة التصقت بصدام وحزبه فلما سقط صدام نال حزبه ما نال من اضطهاد وترويع وطرده من مؤسسات الدولة حتى كل الجيش والشرطة خوفاً من تعاطفهم مع صدام حسين ، وهذا جعل الكثيرين يتقمون على أركان الحكم ويحاولون الانتقام ممن تسبب في ذلك ، حتى التجأ بعضهم إلى الانخراط في ما يسمى بالقاعدة ويشتركون فيما يقومون به من تجاوزات أمنية .

٣ - التجاوزات الخارجية:

أفراد ودول ، قد صنف الرجال والشباب في العراق ، وعلم أن هناك دول معينة تمد المليشيات بالسلاح والعتاد وتحميهم وتساندهم ويفتح لهم الحدود في سبيل إقامة القلاقل وفعل ما يطلب منهم ، فاشتدت الفتن وتفرق الشمل وتباعدت الأخوة في أصحاب الدين الواحد ﴿ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢] .

٤ - تجاوزات القاعدة:

دخلت القاعدة إلى العراق باسم المقاومة ، ففتح الناس لها الصدور وأوجدوا لهم المأوى ، وتحملوا عنهم التبعات الكثيرة والقهر والحصار ولكنه بعد قليل من الزمن اشتبكوا مع العراقيين أنفسهم وليس مع الأمريكان أو مع الأمريكان والعراقيين ، وسارت السيارات المفخخة تدمر هنا وهناك ، واستُحِلَّ الدم المسلم ، واستعمل الجهاد في غير أرضه وموقعه .

وهذا وإن كان ردود أفعال كل تجاوزات من الجيش والشرطة أو على فريق معين ، ولكنه ينبغي أن يكون لكل هذا حدود معينة ، ولكنه قد أفرط العقد ووقعت الفتنة ، وتحتاج إلى العقل والتدبر .

٥ - كانت العراق درعاً للمسلمين وقوة لهم ، وأريد لها أن تكون واهمة ممزقة حتى تضعف جبهة المسلمين ، فاجتهد الاستعمار نفسه أن يطمع النزعات في الحكم ، وعندها يكون لكل حادث حديث .

٦ - سرق الغزاة الكثير من خيرات العراق ، ولكن العجب العجيب - كما يقولون - أن

يختفي صدام وزمرته، ويأتي قوم آخرون ينهبون ثروات العراق، والشعب يتضور جوعاً، وبنيتة الأساسية - التي دمرت في الحرب - تحتاج إلى إصلاح وتجديد، ويحول هؤلاء آثار الغزو إلى اختلاس في جيوبهم، ويدعون الوطنية والديمقراطية.

٧ - الأنظمة العربية كان لها مواقف عجيبة من أول الغزو التي لم تُعرض عنه أو تمنعه أو حتى تحتج على ما يجري في العراق من قتل وظلم وبغي مستعمر إلى اقتتال طائفي يأكل الأخضر واليابس، إلى غير ذلك الكثير، ولم يتحركوا أو يساعدوا حتى في جمع الفرقاء وحل المشاكل العالقة، أو التفاهم مع الأمريكان للجلاء أو ترتيب أمور العراقيين إلى غير ذلك. وكأن العراق بلداً لا يمت إلى العروبة بصلة، أو ليس عضواً في الجامعة العربية ويمثل ترثاً معيناً في بلاد المسلمين.

٨ - الشعوب التي تتعاطف مع العراقيين لا يترك لها الجبل على الغارب، أو تترك حتى للتعبير عن شعورها الحزين، فضلاً عن التطوع في المقاومة العراقية، ويوم لك ويوم عليك، وقد فعلت الشعوب في الحقيقة كل ما في وسعها، ولكنها لا تملك قراراً أو حولاً ولا قوة، وانهمت بالتهمة الجاهدة.

ولقد انتفض العالم في مظاهرات ضخمة قدرت بأكثر من ثمانية بلايين في أكثر من ستمائة عاصمة ومدينة من القطب الشمالي وحتى القطب الجنوبي في كوكبنا، شاملة معظم العواصم والمدن الأوروبية والأمريكية والآسيوية والأسترالية، منددة بالعدوان المرتقب على العراق، ومنادية برفض إراقة الدماء مقابل النفط، ومهددة شعبية دعاة الحرب الأمريكان والإنجليز والأستراليين.

وباعتراف الجميع، كانت هذه المظاهرات غير المسبوقة لدرجة أنها فرضت تغييراً تكتيكياً في صورة ادعاء الارتكان إلى الشرعية الدولية وإلى التأكيد - لاستعادة شعبية فقدت - على أن خيار الحرب هو الخيار الأخير!!

ولقد أكدت هذه المظاهرات قوة الأنظمة الغربية التي تقوم على احترام مشاعر الجماهير، وعلى احترام حقوقها في التعبير حتى وإن كانت مخالفة تماماً للسياسة الرسمية، بل لم تقف تلك الأنظمة لثمنع الكثير من مواطني هذه الدول للسفر إلى العراق في موجات لم تنقطع؛ ليكونوا دروعاً بشرية تقف أمام الدمار والتدمير الذي

يتهدد شعب العراق وكل مظاهر الحياة فيه .

في مقابل ذلك ، نساءل ويتساءل المتعاطفون الغربيون معنا : أين العالم العربي والإسلامي؟!

والإجابة المحزنة والمهيمنة أن هذا العالم يغط في سبات عميق ، ويعيش صمتاً حزيناً ، ويساق إلى مجهول تحدده الصهيونية العالمية والصليبية الجديدة ، بل هناك من كبار مثقفينا وصحفيينا من يروج لما عد تدمير العراق وكأن هذا التدمير قدر لا فكاك منه!

انتهكت الولايات المتحدة حقوقنا المشروعة قبل نهب واغتصاب ثرواتنا ، انتهكت كرامتنا قبل استخرا ب اقتصادياتنا ، تجرأت على تفكيك كل ثوابتنا من جغرافيا ، وتاريخ وهوية وعقيدة وخطاب! وتنادي جهاراً نهارة بأنها ستعيد تشكيل المنطقة بعد ضرب العراق وستنسينا تاريخنا ، وتؤكد أنها بسبيلها لفرض إسلام أمريكي وهوية معدلة وعقيدة مودرن وخطاب عصري!!

والحقيقة أن الشعوب هي التي قامت بالمقاومة ، وهي التي تولت ضرب المستعمر ، وهي التي ستجبره على الخروج إن شاء الله .

ولكن السؤال هنا: كيف ستعامل هذه الشعوب بعد ذلك؟ وهل سيكون لها رأي أو تماس بالدكتاتوريات التي تتسلم الحكم بدون تعب أو دفع لضريبة الجهاد؟!

هذا ، وما زال الجهاد مستمراً ، ولكن الحق يقال ، ولست أنا الذي أقول هذا وحدي ، لقد أفشل هذا الشعب بمقاومته الباسلة خطط المستعمر الذي جاء بمحطاته ليرث المنطقة ويجعلها كلاً مباحاً له ، فإذا به الآن يلحق جراحه ويتمنى أن يخرج بأقل الخسائر غير مأسوف عليه .

والله نسأل أن يمد كل مجاهد بمدد من عنده .

آمين . . . آمين .

المبحث الثاني البوسنة والهرسك

محنة المسلمين في الغرب^(١)

في جمهورية البوسنة والهرسك، ذات الأغلبية المسلمة - في قلب أوروبا - أقام الصرب الأرثوذكس، للمسلمين «سلخانة بشرية» - كما وصفها الإعلام الغربي - لم يسبق لها مثيل في التاريخ . . . ولعدة أشهر وقف الغرب عند حدود إطعام الضحايا حتى يحين ميعاد ذبحهم على يد الصربيين!

وعلى حين عبّر بعض قادة الصرب - مثل وزير الإعلام - عن طبيعة الصراع وجوهره، فقال: إنَّ الصرب - في حملتهم لإبادة المسلمين - إنَّما يمثلون طلائع الحروب الصليبية الجديدة، ضد الإسلام، الذي يتقدّم، مسلحاً بالعقيدة والمال، في الوقت الذي تتراجع فيه النصرانية، وإنَّهم - الصرب - إنَّما يخوضون هذه الحرب الدينية دفاعاً عن أوروبا!!

على حين عبّرت مثل هذه التصريحات عن حقيقة النظرة الغربية لهذه الحملة الصليبية ضد الإسلام والمسلمين، والتحفت مواقف أخرى بمصطلحات النفاق؛ لتخفي الجذور البشعة والبربرية لهذه الصراع، فسمعنا وصف اقتلاع المسلمين من ديارهم - بالذبح والتهجير - بأنه «تطهير عرقي»، على حين أن الاختلاف بين الجزار والذبيحة ليس في «العرق»، وإنَّما هو في «الدين»، فالأمر في حقيقته، نفي واقتلاع لدين الإسلام من قلب أوروبا، وليس اقتلاعاً لعرق من الأعراق!!

وفي الدراسة التي كتبها المفكر الغربي «إدوارد مورتيمر» للمجلة البريطانية المتخصصة «شؤون دولية» - عدد يناير سنة ١٩٩١ م - أي قبل عام ونصف من مجزرة البوسنة والهرسك - والتي خصصها لبحث موقف الغرب النصراني من الإسلام . . . في هذه الدراسة، شهادة غربية على بداية موجة غربية لاقتلاع الإسلام من بلاد

(١) د. محمد عمارة، عقيدتي، العدد (٢٤/٨/١٩٩٣ م).

الغرب . . . اقتلعه كإسلام، بصرف النظر عن عرق المتدين به، وبصرف النظر عن كون المسلم الأوروبي حاملاً لجنسية البلد الأوروبي، أو مهاجراً إليه!

والذين يتابعون محنة «الجاليات» الإسلامية في الغرب، وخاصة من قبل التيارات اليمينية والفاشية الجديدة، يجدونها لا تقف عند «المهاجرين» المسلمين إلى تلك البلاد، وإنما هي تشمل مسلمين تمتد جذورهم في الغرب إلى عدة أجيال!

و«إدوارد مورتيمر» يقارن بين موقف الغرب المعادي لهؤلاء المسلمين - غير المهاجرين، وغير الغرباء - وبين موقفه من هجرات أوروبية شرقية - بعد انهيار الشيوعية - إلى أوروبا الغربية، ويؤكد على أن الترحيب بالآخرين سببه أنهم مسيحيون، وأن العداء للمسلمين سببه أنهم أبناء دين يستعصي على العلمانية التي فرضها الغرب على النصرانية منذ قرون!! فمحاولات اقتلاع هؤلاء المسلمين من البلاد التي ولدوا فيها ذات صلة وثيقة المتغيرات التي أزال الشيوعية، والتي جعلت الغرب يعيد تعريف نفسه بمعايير النصرانية، باحثاً عن «آخر» - بمعايير دينية - ليتخذه عدواً!

يقول «مورتيمر»: «قبل سنة ١٩٨٩م لم يكن المخطط على الجاليات المسلمة في الغرب منصباً على دينهم في المحل الأول، وكانوا إجمالاً يحظون، على الأقل، بمساندة معنوية من المؤسسة الثقافية الليبرالية ضد الأحكام المسبقة والتمييز العنصري الذي يتعرضون له، ولكنهم، في السنة ١٩٨٩م، خسرُوا هذه المساندة؛ بسبب أن دينهم اعتبر معادياً لبعض الأسس التقليدية للحركة الغربية - في بريطانيا: أخذت عليهم في حرية التعبير والنشر - قضية لسلمان رشدي؟، وفي فرنسا: العلمانية في النظام للدولة أخذ عليهم قضية الفتيات المسلمات اللاتي يضعن غطاء على الرأس في المدارس . . .!!»

إن كلا الأمرين قد جعلاً أوروبيين كثيرين يتساءلون عما إذا كان يمكن جعل الإسلام يقبل قواعد المجتمع العلماني، مثلما فعلت المسيحية، بعد صراعات كثيرة طويلة مؤلمة؟! وما إذا كان ديناً على قدر من الرسوخ في المجال السياسي والاجتماعي يجعله رافضاً لأي تمييز بين ما لله وما لقيصر، بحيث لا يسمح أبداً

لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين خاضعين للقانون بصورة يعول عليها في ديمقراطية علمانية . . . » .

فالموقف الغربي، المعادي للمسلمين في البلاد الغربية، هو موقف الإسلام من الدين، نابع - في الأساس - من مغايرة الإسلام للنصرانية في الموقف من العلمانية، إنهم يريدون من الإسلام التنازل عن خصوصيته، أي عن ذاتيته، وإلا، فلا مكان له في بلادهم، فالرفض منصبٌ على «المغايرة»؛ أي لا: «للآخر» .

وليست القضية قضية مهاجرين يزاحمون أهل البلاد على مجالات العمل والرزق، بدليل القبول الغربي للهجرات القادمة من بلاد مسيحية في شرق أوروبا، وعن احتمالات هذه الهجرة، تتحدث دراسة «مورتيمر» فتقول :

«الواقع أن هناك احتمالاً لهجرات ستنزل على أوروبا الغربية من الشرق المسيحي، لكنها لن تحدث الانزعاج الذي كانت تحدثه لو جاءت من الجنوب المسلم؛ لأن ميراثهم المسيحي يجعلهم قابلين للاستيعاب في أوروبا الغربية، وهذا الاعتقاد - «الذي يميز بين الناس بسبب الدين» - هو الكامن وراء الكثير من المبررات التي تقدم للاعتراض على قبول تركيا عضواً كاملاً في الاتحاد الأوروبي . . . » .

«إن كل هذه العوامل، تدفع أوروبا لأن تعرف نفسها من زاوية التراث المسيحي، والتركيز بصورة جادة على التمايز والحدود بينها وبين عالم الإسلام . . . !» .

إنها شهادة على أن القضية ليست قضية أعراق، وإنما هي قضية أديان، والمقارنة يجب أن تكون بين الشرق الإسلامي الذي يفتح كل الأبواب لتعايش الأعراق والأديان، وبين الغرب النصراني الذي يريد تطويع الآخر - ديناً أو عرقاً - ، والحمد لله على نعمة الإسلام!

بعض الحقائق عن البوسنة والهرسك

- فتح العثمانيون البوسنة عام ١٣٨٦هـ، وأصبحت بعد عدة معارك، مقاطعة عثمانية عام ١٤٦٣م على يد محمد الفاتح، فاتح القسطنطينية، وأقبل أهلها على الإسلام.
- كانت البوسنة منطقة استراتيجية عسكرية عثمانية متقدمة في الحروب التي طال أمدها مع النمسا وإيطاليا.
- بعد مؤتمر (برلين) وعقب الحرب الروسية التركية (١٨٧٧-١٨٧٨م)، وضعت البوسنة تحت الاحتلال النمساوي الهنغاري، وبقيت اسمياً مقاطعة عثمانية.
- في ٧ أكتوبر ١٩٠٨م ضُمَّت إلى الامبراطورية النمساوية الهنغارية.
- في ٢٨ يونيو ١٩١٤م اغتال طالب صربي اسمه (جافريلو برنسيب) ولي عهد النمسا (الأرشيدوق فرانسوا فرديناند) في مدينة (سرايفو) ضمن تزايد مشاعر التطرف الوطني لدى الصرب.
- وأشعل هذا الحادث الحرب العالمية الأولى.
- في ٢٦ أكتوبر ١٩١٨م ضمت البوسنة والهرسك إلى مملكة يوغسلافيا.
- في ١٩٤٦م أصبحت واحدة من الجمهوريات اليوغسلافية الست.
- اقتصاد البوسنة يعتمد على الزراعة، وأهم الحاصلات: القمح، والبطاطس، وقصب السكر، والتبغ، والعنب، وقطع الأخشاب، والرعي يعمل فيه كثير من الناس.
- وقعت أزمة سياسية عالمية عام ١٩٠٨م حول البوسنة، وضمها إلى النمسا بعد قيام جماعة تركيا الفتاة بالاستيلاء على الحكم في تركيا.

- ظل المسلمون تحت الاضطهاد والقتل والضياع ، استمر ٢٥٠ عاماً إلى عهد الاستقلال ١٩٩٢م ، وإعلان الصرب الحرب على المسلمين وقتلهم للعزل وتشريدهم للشعب البوسني حتى ضجت الإنسانية لقتل ما لا يحصىه العد قبل أن يتمكن المسلمون فيها من لمّ شملهم وتنظيم الدفاع عن أنفسهم .
- التكوين الديني والسكاني لجمهورية البوسنة والهرسك : ٤٥ ٪ مسلمون ، ٣١ ٪ من الصرب الأرثوذكس ، ١٧ ٪ من الكروات الكاثوليك ، ٧ ٪ جنسيات أخرى .

البوسنة والهرسك (تواريخ وحقائق)

المسلمون في البوسنة يسكنون في المنطقة الوسطى من جنوب يوغسلافيا، حيث يعيشون من نهر فاردار حتى جبال ساري بلالينا بروكليتي في جنوب شرق نهر سافا ونهر أونا في الشمال الغربي.

ويعيش مسلمو البوسنة على هذه الأرض ويقاسمهم فيها الصرب والكروات وأهل الجبل الأسود والألبانيون وأهل مقدونيا.

وقد شكّل مسلمو البوسنة ثالث أكبر نسبة من السكان في يوغسلافيا، وذلك وفقاً لإحصائيات أعوام ٧١، ٨١، ١٩٩١ م، وحسب إحصاء عام ١٩٩١ م فهناك ثلاثة ملايين مسلم بوسني في يوغسلافيا، وثلاثة ملايين منهم يعيشون أيضاً في تركيا وأمريكا وأوروبا، ومن يعيشون في البوسنة يشكلون ٤٥٪ من مجموع سكان الجمهورية.

وفي العصور الوسطى، كانت منطقة البوسنة والهرسك موضع نزاع بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية؛ لوقوعهما بين الامبراطوريتين البيزنطية والفرانكية، وخلال العصور الماضية، أقيمت كنيسة خاصة منفصلة، وأتباع هذه الكنيسة دخلوا في الإسلام في نهاية القرن الرابع عشر، ولذلك اعتبر المسلمون طائفة عرقية خاصة، اتخذوا من الدين والثقافة الإسلامية عقيدة لهم، ومع تقدم الفتوحات العثمانية في البلقان وأوروبا الوسطى، استوطن مسلمو البوسنة الأراضي المجاورة لهم، مثل: صربيا، وشمال شرق وغرب الأجزاء الساحلية من الجبل الأسود وسلوفينيا وهنغاريا، والدولة الإسلامية التركية لم تقم بأي نوع من أنواع الإبادة والتصفيات الجسدية لأي أمة من الأمم التي فتحتها، وكانت كل أمة من الأمم التي تدخلت تحت جناح الدولة، تشاركه مشاركة فعالة في مختلف جوانب الحياة مع محافظتهم على ثقافتهم وديانتهم.

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، نشبت حروب مريرة بين الامبراطورية النمساوية والدولة العثمانية، وكان المحاربون في الجانبين من الصرب والكروات وأهل الجبل الأسود ومسلمي البوسنة، وخلال هذه الحروب، تراجع العثمانيون، تاركين وراءهم مناطق مسلمي البوسنة، للاضطهاد بعد الحرب العنصرية الدينية، وتعد فترة جرائم الإبادة هذه، من أسوأ الفترات في تاريخ أوروبا؛ حيث خربت قرى ومدن إسلامية، واضطر آخرون إلى ترك دينهم، وكثير من المهاجرين والمشردين انطلقوا يبحثون لهم عن مأوى، وتؤكد الوثائق التاريخية، قصة الرغبة لدى الصرب لإقامة منطقة عرقية خالصة لهم، شرط أساسي هو إبادة المسلمين، وكان بدء هذه الشرارة من الجبل الأسود في بداية القرن الثامن عشر. وقد سجل أعمالهم الإجرامية، شاعرهم القميس نيقوس، في ديوانه «انتقام الجبل».

وأخذت بعد ذلك الهجمات تتوالى على المسلمين في البوسنة في عام ١٨٨٧م احتلت قوات النمسا والمجر أراضي البوسنة والهرسك وقد فجر هذا الاحتلال أول مقاومة مسلحة من جانب المسلمين أعقب ذلك هجرة جماعية إلى تركيا، وفي القرنين السابقين تم اختفاء المسلمين ومحيت آثارهم وثقافتهم ولم يبقَ إلا القليل في بعض المدن والقرى شمال نهر سافا والجبل الأسود وصربيا، وأسوأ حالات الإبادة كانت ليلة رأس السنة الأرثوذكسية، وفي ذكرى هذه الليلة ظلت عصابات التشنك الصربية طوال سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٤١ - ١٩٤٥م)، ترتكب المذابح ضد المسلمين في هذه الليلة بالذات تخليداً لذكرائها!

وتقول المصادر التاريخية: إنَّ ألفاً من المسلمين الذين اختفوا عام ١٩٧٢م، اكتشف أنهم يعيشون في منطقة الجبل الأسود، وكشفت إحصائية جرت في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، إنَّه كان يعيش في بلجراد عشرون ألف مسلم بوسنياً، وكانوا يسمون المواطنين البوسنيين الذين كانوا يعيشون في صربيا: «الأتراك»، وكما قال المؤرخ الصربي (توفان نوافكوفتش): «إنَّ عملية تطهير الأمة من الجنس التركي في بلغراد، استمرت شهرين ضد مسلمي بلغراد، حيث دخلها الصرب في

١٨٠٧/١/٨ م وهدموا المساجد والمدارس والقبور، ويقدر عدد المسلمين في البوسنة الذين كانوا في صربيا عام ١٨٣٠ م بخمسين ألف شخص، وعندما حصلت صربيا على الحكم الذاتي، قرّرت أنه يجب على المسلمين مغادرة صربيا، فغادر في عام واحد أكثر من ٢٠,٠٠٠، وفي مؤتمر كانيليك الدولي، فُرضَ على المسلمين في الجبل الأسود اعتناق المسيحية، وكان يتم تعمد المسلمين المجبرين على اعتناق المسيحية في حفل واسع وبحضور حشد من رجال البوليس ورجال الدين.

وعندما تم الاعتراف بصربيا والجبل الأسود، كإمارات مستقلة، بموجب قرار مؤتمر برلين ١٨٧٨ م، حصلت صربيا على توسع في أراضيها شمل أربع مقاطعات يعيش فيها آلاف المسلمين، وكذا الحال بالنسبة للجبل الأسود، وكان انهيار الدولة العثمانية واحتلال النمسا والمجر لأراضي مسلمي البوسنة، يعني تغيراً في نمط حياة المسلمين هناك، فقد أصبحوا جزءاً من الحضارة الغربية، وشعر المسلمون أنهم في حالة ضياع ومصيرهم مجهول، ولم يكن أمامهم إلا الهجرات إلى تركيا، حتى وصل ثلث عدد السكان إلى تركيا، أو بلدان أخرى في الشرق الأوسط.

وحروب البلقان التي جرت عام ١٩١٢ - ١٩١٤ م، أتت بصعاب جديدة للمسلمين البوسنيين في منطقة النجق نوفي بازار، وكانوا هدفاً للاضطهاد، وهذه المنطقة قسمت بين صربيا والجبل الأسود، وبدأت فترة طويلة من التمييز وعدم المساواة، وهذه الأحداث أدّت للهجرة إلى مختلف مناطق وبلدان العالم.

وبعد تشكيل دولة يوغسلافيا التي كانت تسمّى في البداية «مملكة الصرب والكروات والسلوفيين»، وبعد أن توحدت الأعراق والأمم السلافية الجنوبية، استمرت الإبادة ضد المسلمين بأشكال مختلفة، والحرب نفسها أثّرت على المسلمين البوسنيين، وسكان الكوسوفا، وسكان مقدونيا، وفي منطقة شرق الهرسك، وفي سنوات الوحدة الأولى، قتل ثلاثة آلاف مسلم، بصورة غير شرعية، وبدون محاكمة.

وأشع عمليات الإبادة، في بداية نوفمبر ١٩٢٤ م في قرى صاهوبيتش

وبافينوبوليا في مقاطعة بيلو ابوليا، وأهل الجبل الأسود قتلوا ٦٠٠٠ مسلم في ليلة واحدة، أجسام الرجال الأحياء قطعت إلى قطع، والعيون خرقت، والآذان قطعت، والأجهزة الداخلية في الجسم أخرجت مثل المعدة ورسم علامة الصليب بالسكاكين على الأجسام، والهاربون من هذه المذابح هاجروا إلى شمال البوسنة وإلى تركيا وإلى ألبانيا.

وفي عام ١٩٣٩ م، قسّمت البوسنة بين الصرب والكروات. وفي عام ١٩٣٨ م قرّروا إخراج جميع المسلمين من يوغسلافيا، واستمرت عمليات الإبادة ضد المسلمين ما بين ١٩٤١ - ١٩٤٥ م، كانت هذه جزءاً من ٢٥٠ سنة من تاريخ الاضطهاد والظلم، والإحصاءات بالذخائر ما بين (٨٠ ألفاً و ١٢٠ ألفاً)، وخلال ٤٥ سنة الماضية، لم تكن تتوافر أي معلومات عن الإبادة في يوغسلافيا، ومنذ إعلان الاستقلال في مارس ١٩٩٢ م، والمذابح مستمرة.

مأساة البوسنة والحقد الأسود

(عام ١٩٩٢م)

كان عام ١٩٩٢م عاماً أسود، شهد سلخانة المسلمين ومذابحهم والتمثيل بهم وهتك أعراضهم، ونشرت صحيفة «نيويورك تايمز» بأن عدد القتلى من المسلمين في الحرب فقط ٢٠٠ ألف مسلم، ومن دُبح، يماثل هذا العدد، ومن شردوا من ديارهم أكثر من مليون ونصف المليون!

وكان المقصود: هو إبادة هذا الشعب عن بكرة أبيه، وقد أذاع رئيس شيوخ البوسنة النداء التالي في صوت أمريكا:

قال الرجل: نعلم علم اليقين، أن ما يحدث فينا اليوم هو ما حدث في الأندلس، بل نراه أبشع؛ لأنها مأساة وقعت أمام أنظار العالم كله، ونقاتها الوكالات ساعة بساعة ودقيقة بدقيقة، ورغم ذلك لم يتحرك العالم الذي يدعي الحضارة والإنسانية لفعل شيء، واستمرت الإبادة علانية.

هذا، وقد كانت هذه في الحقيقة، مذبحه العصر التي يصورها الإعلام بكل أشكاله وتنقلها الأقمار الصناعية على شاشات التلفاز، وكأن العالم في سكرة، وكأن المسلمين في القبور رغم هياج كل ذي قلب، ورغم العبرات والدموع التي تنهمر من هنا وهناك، ورغم أن المأساة قد نفخت في كل قلم وكل لسان؛ ليصرخ مستغيثاً بأي شيء، ولكن لا شيء، وإليك بعضاً من أقوال الكتاب الذين شهدوا على المأساة:

• إن كراهية أوروبا للإسلام، شديدة. وليست أمريكا أحسن منها حالاً، لكن الخطط والأدوات تغيرت مع سيادة النظم العلمانية، وترك رجال الكهنوت القيادة لغيرهم...! إن تبدل القيادة عرض الإسلام لمحن أخبث وأسوأ، وقد رأينا روسيا التي اعتنقت الإلحاد الأحمر مبعين سنة، أنها ظلت على ولائها للصرب وللأرثوذكسية، وهي تسعى لجعل دولة البوسنة دولة لاجئين تماماً، كما يحدث في

فلسطين . . . أنصحو أم نبقي رقوداً حتى تدهمنا الأحداث؟! إن ما حدث في البوسنة والهرسك، قطع الأكباد، وأثار الفزع، وحرك كل ذي قلب، وإليك بعض الأقوال في المأساة.

الشيخ/ محمد الغزالي

• لطالما هتفت بنفسي : أيها العاجز الجبان اصمت ، احتراماً لجلال المأساة التي لا تستطيع أن تسهم في إيقافها . . . اصمت ، انصدماً للقلب ، وانسحاقاً للروح ، وذهولاً أمام الأشلاء المحوقة ، والدماء المفوكة . . . اصمت . . . يا قارئاً أتبكي؟؟!! أترشُ نفسك بدموعك؟؟!! أم يوزن دمعك بالدم ، أم برطل لحم مسلم ، أو برأس طفل ، من منّا يجروء على الادّعاء بأن الدموع تجزئ عن الجهاد والاستشهاد ، وأي خداع للنفس أن نلتمس لأنفسنا البراءة؟؟!! فصبراً آل سراييفو ، فإنّ موعدكم الجنة .

د . محمد عباس

• إنّ الصرب يكرهون الإسلام والمسلمين بأكثر مما يحبون الأرثوذكسية كدين ، فضلاً عن أن الدين عندهم تداخل مع القومية حتى أصبح هوية أكثر منه عقيدة ، وهذا يفسّر لنا : لماذا هم يتحدثون عن الأرثوذكسية ولا يعنون بتعاليمها ، ومن زاوية أن الحروب الصليبية استخدمت الدين كغطاء لأهداف وأطماع أخرى اقتصادية بالدرجة الأولى ، وباسمه ذبح عشرات الآلاف من المسلمين ، فإنّنا نطيع أن نعتبر الحاصل الآن من قبيل تلك الحروب .

أ. فهمي هويدي

• يا حكام بلاد المسلمين ، هل تقرؤون أو تسمعون أو تشاهدون ما يحدث لإخواننا المسلمين وأخواتنا المسلمات في البوسنة والهرسك؟؟!! إننا نسأل : هل أنتم نائمون؟ أم أنتم مستيقظون؟ أم أنكم في غيبوبة لا تنطقون؟؟!!
أيها الحكام : استشعروا مسؤوليتكم أمام الله عن إخوانكم في البوسنة وفي فلسطين .

أ. مصطفى مشهور

• مؤامرة تتم في وضح النهار، بمباركة هادئة من أوروبا الصليبية، والعالم الإسلامي في هذه المأساة لا يزيد على كونه ظاهرة جغرافية لا وزن لها فيما يجري بين ظهرانيها في عالم جديد تحكمه واشنطن بلا منازع. هل هي صليبية جديدة، تستهدف البقية الباقية للمسلمين فيما يسمى يوماً بـ «جمهورية يوغسلافيا الاتحادية»؟

د. أحمد الملط

عبر بعض قادة الصرب - مثل وزير الإعلام - عن طبيعة الصراع وجوهره، فقال: «إنَّ الصرب - في حملتهم لإبادة المسلمين - إنما يمثلون طلائع الحروب الصليبية الجديدة ضد الإسلام الذي يتقدم، في الوقت الذي تتراجع فيه النصرانية، وأنهم - أي الصرب - إنما يخوضون هذه الحرب الدينية؛ دفاعاً عن أوروبا!!». إنها شهادة على أن القضية ليست قضية أعراق... وإنما هي قضية أديان.

د. محمد عمارة

• إنَّ المسألة عنصرية وصليبية جديدة، وقد كانوا يقولون: انتهى عصر الحروب الصليبية، فهل يريدونها صليبية جديدة؟ وقالوا: مضى عهد العنصرية والعرقية، فهل يريدونها نازية جديدة؟!

د. يوسف القرضاوي

• إنَّ مظاهر القوة العسكرية داخل العالم الإسلامي، لا تبرز إلا حين يكون الصراع فيما بينها - أي بين دولة إسلامية ودولة إسلامية أخرى!! أمَّا حين يكون الصراع بين دولة إسلامية ودولة أوروبية، فإنَّ القوة العسكرية تختفي لتحلَّ محلها قوة الخطب والنثر والشعر!! فلن تقوم للعالم الإسلامي قائمة، إلا إذا أدرك جوهر القوة الحقيقية في العالم المعاصر، وهي القوة العسكرية، فاستعدَّ لها وكونَّ قوة إسلامية مسلَّحة تستطيع التدخل لحماية مصالح المسلمين عند الضرورة.

د. عبد العظيم رمضان

• لم يحدث أن بلداً إسلامياً واحداً قد قطع علاقاته الدبلوماسية مع الحكومة

الصربية!! لم يحدث طرد واحد لسفير، لم تحدث أي تحركات لإعلان تعبئة أو فتح لباب التطوع أو إمداد هؤلاء العزل المستضعفين بالسلاح، جلس الجميع في مقاعد المتفرجين وكأن على رؤوسهم الطير، وتركوا إخوانهم في الله والدين يلقون مصيرهم المحتوم!! شكراً لنقابة الأطباء المصريين. شكراً لدعوتهم الكريمة إلى فتح باب التبرع، فالمال نوع من أنواع الجهاد المفروض في الإسلام.

أ. فايز حلوة

• إن الغارات على مقديشو، وهذه السلبية الواضحة في سرايفو، تقطع بأن الولايات المتحدة تكيل بمكيالين فيما يتعلق بالآزمات الدولية، وبوضوح أكثر ليس لأمریکا أي مصلحة حيوية تتصل بما يحدث في البوسنة، وفي نفس الوقت فإن حلفاء أمريكا من الأوروبيين يقفون جميعاً في صف الصرب وهم معها بشكل واضح أو مستتر ضد قيام أي دولة إسلامية في منطقة البلقان.

أ. سعد الدين وهبة

• رغم كل الجرائم التي لم تعرف الإنسانية مثيلاً لها، فما زالت الإدارة الأمريكية ومعها معظم الدول الغربية التي تشدق كل يوم بشعار حقوق الإنسان، على إصرارها بمنع السلاح عن شعب البوسنة، بينما يتدفق السلاح على القتلة الصربيين من كل جانب، إن هذه المواقف قد تؤكد الشكوك حول وجود مؤامرة دولية تتضمن فصولها استمرار المناقشات في الأمم المتحدة حتى يسدل الستار بتصفية شعب البوسنة والهرسك.

أ. جلال دويدار

نهاية المأساة

انتهت المأساة، ولكن على حساب المسلمين في البوسنة والهرسك، كما هو متوقع، وقد عبّر عن ذلك كاتب جريدة «الأوبزرفر» في مقالة بعنوان: «سرايفو تموت واقفة».

ذبح المسلمون في البوسنة والهرسك مرتين:

مرة على أرض الواقع في المعارك غير المتكافئة التي واجههم فيها جيش الصّرب، ومرة أخرى في محادثات السلام في جنيف! ولعل المذبحة الأخيرة - كانت على المستوى المعنوي - أقسى المذبحتين.

فقد أُجبر المسلمون على اتفاق يخففهم ويتيح للصّرب خنقهم بعد ذلك كل يوم، ولقد بات واضحاً أن المؤامرة ضد المسلمين قد نجحت تماماً.

وكتبت جريدة «الأوبزرفر» تقول: «إنّ السفير نصح لعلّي عزت بيجوفيتش أن يوقع على الاتفاق ويغلق فمه؛ لأن الأمريكيين غير جادين بشأن إرغام الصّرب على التراجع، أمّا الوسيط الدولي «اللورد أوين» فقد وضع عليّ عزت بيجوفيتش تحت ضغوط هائلة ليقبل بالتقسيم الذي جرى.

وقد قبل عزت بيجوفيتش.

كان أمام خيارين: أن يرفض، فيبدأ شعبه تماماً، أو يقبل بالأمر الواقع، ويرضى بـ ٣٠٪ من الأرض، وهو يمثل ٧٠٪ من السكان.

ولقد عبّرت جريد «التايمز» عن الموقف في مقال بعنوان: «سرايفو تموت واقفة».

قالت: بينما تمضي محادثات السلام وهي تتعثر في مدينة جنيف الواقعة، تموت مدينة سرايفو الشامخة، وهي واقفة على قدميها.

لقد ارتدت الأوضاع في عاصمة البوسنة إلى أوضاع مدن القرون الوسطى.

تقصد الجريدة الإشارة إلى أنها لا ماء . . . لا كهرباء . . . لا مواصلات . . . لا مستشفيات . . . لا أدوية . . . لا طعام . . . باختصار لا وجود للعالم المدنيّة .
وتمضي الجريدة قائلة :

«سواء كان الصرب يرغبون فعلاً في الاستيلاء على سرايفو أو مجرد إكراه حكومتها على الاستسلام المهين في جنيف، فإنّ الحصار يبقى سلاحاً مخيفاً، إنّه يتحول إلى وسيلة لنشر المعاناة للحصول على أقصى تأثير وأفضل شروط للصرب!».

ولقد حدث ما تقوله جريد «التايمز»، وانتهت المرحلة الأولى من المأساة، وقبّل المسلمون بما أَرادَه الصّرب .

ويبقى سؤال : مَنْ المسؤول عن هذه الكارثة؟!

إنّ الجوابَ معروفٌ للكافة، لقد واجه المسلمون في البوسنة العالم كله وحدهم، صرخوا يطلبون السلاح، فلم يجيبهم أحد، وصرخوا يطلبون النجدة، فلم يقفَ لِنُصْرَتِهِم أحد، وولدت المأساة من ضعف المسلمين وتقاعس قادتهم^(١).

(١) أحمد بهجت، الأهرام، (١٧/٨/١٩٩٣م).

المبحث الثالث الشيخان معجزة الصمود عبر أربعة قرون

تقع هذه الجمهورية «كما هو مبين على الخريطة العالمية المعروفة» على المنحرف الشمالي لسلالة جبال القفقاس الكبرى، ويحدها من الشمال: روسيا، ومن الجنوب: جورجيا، ومن الجهات الأخرى: عدد آخر من الجمهوريات القوقازية التي تسيطر عليها روسيا.

وتبلغ مساحتها ١٩,٣ ألف كم^٢، ويصل تعداد سكانها إلى ١,٥ مليون نسمة، أغلبهم ينتمي إلى قوميتي الشيخان والأنجوش، وتعيش في المنطقة قوميات متكاثرة لا نظير لها في العالم. ولعل هذه خاصية من خاصيات منطقة القفقاس عموماً.

على امتداد أربعة قرون، احتلت جمهورية «الشيخان والأنجوش» مكاناً بارزاً في التاريخ، وإذا كانت هذه البلاد قد وقعت في دائرة النسيان حيناً، إلا أن الاحتلال الروسي لها في ديسمبر عام ١٩٩٤ م سلط عليها الأضواء خاصة بعد أن تمكّن شعبها الصغير، بعتاده البسيط، من قهر الاحتلال وإجباره على الانسحاب مهزوماً، وسوف يسجل التاريخ أن هذا الشعب تمكن من ضرب أول معول جدار الدولة الروسية وهو ما يهددها اليوم بالانهيار، وإذا كانت هناك عوامل عدة تجتمع اليوم لتهدد الاتحاد الروسي بالتفكك، فإن هزيمة الجيش الروسي في الشيخان تقع في مقدمة هذه العوامل.

وقد أسهمت الطبيعة الجبلية والظروف المناخية القاسية، صياغة إنسان قوي قادر على تحمّل المشاق والصعاب والعيش في أقسى الظروف، وهو ما جعل الإنسان الشيخاني مشهوراً عبر التاريخ بقدرته الفائقة على خوض الحروب وتحقيق الانتصارات المبهرة، وقد ظل الإنسان الشيخاني عبر التاريخ خط الدفاع الأول عن البلاد ضد المعتدين الطامعين الذين حاولوا احتلال البلاد عبر التاريخ.

وكان دخول الإسلام إلى هذه البلاد في القرن السادس عشر ، وانتشاره بسرعة بين أبنائها، بمثابة عامل جديد وهام في صياغة الشخصية الشيشانية ، والذي أضاف إليها قوة الإيمان وحب الجهاد والاستشهاد ، وهو ما ضاعف من قوتها وجعل الإنسان الشيشاني - بحق - خط الدفاع الأول ضد الغزوات المتلاحقة على البلاد ، وجعل منه عامل الحسم الأول في هزيمة الطامعين الذين تواكبوا عبر التاريخ .

فقد تعرضت الشيشان على مدار تاريخها لغزوات عديدة من القوات الروسية ؛ بهدف ضمها إلى الامبراطورية الروسية ، وكانت أولى تلك المحاولات في عام ١٥٥٦ م عندما حاول امبراطور روسيا «إيفان الرهيب» دمج صلمي تلك البلاد إلى امبراطوريته ، لكن المحاولة فشلت ؛ بسبب المقاومة العنيفة من الشعب الشيشاني .

وفي عام ١٧٧٢ م حاول الروس في عهد الامبراطورة (كاترين الثانية) احتلال هذه البلاد مرة أخرى ، لكن الشيشان لقنوهم هزيمة ساحقة .

وفي عام ١٧٨٥ م تمكن القائد «منصور» من إصابة الروس بضربات قاصمة في معارك مشهودة ، لكن وبرغم كل تلك الهزائم ، لم تتوقف المحاولات الروسية عن احتلال الشيشان حتى تحقق لها ذلك عام ١٨٥٩ م ، وعندما أذاق جنود الامبراطورية الروسية شعوب القفقاس كلها وليس الشعب الشيشاني فقط ، كل صنوف العذاب ، وقاموا بترحيل ٢ ، ١ مليون من المسلمين الشيشان إلى تركيا ؛ لتفريغ البلاد منهم ، أملاً في اقتلاع الإسلام من تلك البلاد ، لكن المسلمين الذين فلتوا من الترحيل توحدوا وواصلوا المقاومة .

وبعد قيام الثورة البلشفية عام ١٩١٧ م ، خاض المسلمون الشيشان ملحمة جديدة من ملاحم الكفاح من أجل الاستقلال ، لكن (ستالين) شنَّ ضدهم حملات إبادة منظمة تزامنت مع موجات طرد متتالية من البلاد ، وتشتيتهم خارج ديارهم . وقد كان لهذه الحملات آثار بالغة على الشيشان ، ولكنها في النهاية ، لم تسفر عن تحقيق ما أراده (ستالين) ونظام الحكم الشيوعي من إبادة الشعب الشيشاني ومحوه من على وجه الأرض ، وبقي الشعب الشيشاني ودولة الشيشان ، وانهار الاتحاد

السوفييتي عام ١٩٩١م، وتم الاعتراف بدول القفقاس - ومنها الشيشان - كدولة مستقلة، مثل بقية دول الاتحاد السوفييتي، فنظم الشعب الشيشاني انتخابات حرة أسفرت عن اختيار الرئيس جوهر دودايف رئيساً للبلاد، لكن روسيا لم تعترف بهذه الانتخابات وحاولت بكل الطرق، إسقاط الرئيس والحكومة، ولكنها لم تفلح في ذلك، وأعلن دودايف استقلال الدولة عام ١٩٩٢م، فلم تجد روسيا بداً من اجتياح الشيشان في ١١ ديسمبر عام ١٩٩٤م، وظن الجيش الروسي يومها أنه ذاهب في نزهة تستغرق عدة ساعات، لكن المفاجأة كانت مستنقعا رهيباً غرق فيه الجيش لمدة عامين، ثم خرج وهو يجرجر أذيال الهزيمة، وقد تسببت هذه الهزيمة في انهيار كبير في الجيش، وكشفت عن مستنقعات آسنة من الفساد في الإدارة الروسية برمتها.

وانتصر الشعب الشيشاني، وأصبح صاحب دولة بعد أن قدم ٨٠ ألف شهيد وربع المليون جريح ودمار واسع لمؤسسات المدينة، أصاب الحياة بالشلل التام، فقد دمرت الآلة الروسية الوحشية ٣٦٠ مدرسة وكل المستشفيات وكل المصانع، وهو ما وضع أي حكومة في وضع صعب عند إدارة البلاد، خاصة مع اتساع دائرة الفقر وتفشي الأمراض الاجتماعية الخطيرة.

وقد حاول الروس إحداث انشقاق في البلاد باغتيال الرئيس جوهر دودايف، لكن الشعب الشيشاني فوت عليهم الفرصة بنجاحه في تنظيم انتخابات رئاسية جديدة اختار فيها: (أصلان مسخادوف) رئيساً للبلاد.

ودخل مسخادوف في مفاوضات مع روسيا ووقع معها معاهدة سلام القوقاز في يونيو ١٩٩٧م، كان أبرز بنودها: تعهد روسيا بتعويض الشيشان مادياً لإعادة بناء ما دمرته خلال الحرب، لكنها لم توف بتعهداتها، ودخلت في مرحلة جديدة من المراهنة على انهيار الوضع الداخلي في البلاد، واللعب على الخلافات السياسية بين مسخادوف وعدد من القادة العسكريين التاريخيين المشهود لهم بانتصارات خلال الحرب، لكن الشعب الشيشاني الذي أفشل المخططات العدوانية منذ القرن السادس

عشر ورد الغارات العدوانية تلك القرون ، قادر على جعل روسيا تخسر الرهان هذه المرة أيضاً .

هَذَا ، وقد عاودت روسيا الكرة وأغارت على الشيشان في عام ١٩٩٩ م ، ومازال العدوان مستمرًا ، ولكن هذه المرة أرادت روسيا أن تخوضها كحرب عالمية وليس محلية ، فخرت جيشها كله بما يحمل من آلة عسكرية في تلك الحرب ، وظنت كظنونها السابقة أنها ستنتهي من تلك الحرب في أيام ، خاصة بعدما دخل طيرانها وراجماتها الصاروخية وجندها الكثيف بدباباتها ومصفحاتها وقادتها العظام هذه المرة ، وراهن على تلك الحرب رئيس وزراء روسيا «بوتين» لنجاحه في الانتخابات الدوما ، ثم الانتخابات الرئاسية وإعادة هبة روسيا الحربية ، وقد زاد من زخم هذه الحرب تواطؤ أمريكا والشعوب الأوروبية مع روسيا وإطلاق يدها في هذه الحرب لتتبع سياسة الأرض المحروقة وتتغاضى عن حقوق الإنسان لتقتل كل من يقع تحت يدها من مدنيين ونساء وأطفال وشيوخ ، وتنسف كل منزل ، وتدمر كل مدينة ، وكل شيء يدل على أن في الشيشان حياة ، حرب لم ير لها مثل إلا ما كان من حروب البوسنة أو كوسوفا على يد الصرب المجرمين ، وزاد من فظاعتها سكوت المسلمين وصمتهم الرهيب وعدم مدّهم يد العون لإخوانهم ، ولا حتى بالإغاثة الإنسانية ؛ إرضاء للغرب ولروسيا على حساب الدم المسلم .

ولكن - ورغم كل ذلك - هل استسلمت الشيشان؟

هل وهنت أو ضعفت؟

لا . . .

وهل نال الجيش الروسي مبتغاه؟

لا ، وألف لا .

وقُتِلَ الجيش الروسي في المستنقع وما زال ، ورجع الروس يبحثون عن حل

للمشكلة التي صنعوها . . . وهيئات!!!

المبحث الرابع كوسوفا وألبانيا (قراءة تاريخية للخريطة الجغرافية)

حسب أدق الدراسات المتخصصة في الأعراق ونشأتها، فإنَّ الألبان ينتمون إلى الأليريين القدماء، والذين هم من أقدم العناصر وأنقاها في أوروبا، ومنها جاء اسم ألبانيا القديم «اليريا». (لذا يحاول الجميع فيما يعرف ببيوغسلافيا القديمة إيجاد أي صلة أو نسب بهذه السلالة). على أن بعض الدراسات الأخرى تعود بالعرق الألباني إلى القوقاز حيث إن هناك مقاطعة قديمة تسمى - ألبانيا - وكانت تضم شروان وداغستان، ثم هاجروا منها إلى البلقان.

وقيل: إنَّهم شعب آري، سكن ألبانيا على شواطئ البحر الأدرياتيكي، وقيل: إنَّهم من بربر المغرب العربي، وأنهم عبروا، وعبر البحر المتوسط، وتوجَّهوا إلى الأدرياتيكي، على أن بعض الباحثين العرب قال بأنهم من أصول عربية، وبالتحديد من عرب الشام ومن قبيلة جيلة بن الأيهم الغساني، ويبدو - كما ذكرنا - أن الرأي الأول هو المرجح، ومع ذلك ومهما اختلف الآراء حول النسب، إلَّا أنَّ الثابت هو أن الألبان قد عمروا ساحل الأدرياتيكي وأقاموا عليه حضارتهم وامتدت لتصل إلى أربع ولايات في العصر العثماني، وهي: ولاية شكودر Shkodra (مدينة في شمال دولة ألبانيا حالياً)، وولاية كوسوفا Kosava، وولاية ماناستير Manastir (والتي كانت تضم سكوبيا عاصمة دولة مقدونيا الحالية)، وولاية يانين Janina في شمال اليونان حالياً، وبها إقليم شمريا، كانت مساحة الأرض التي يقطنها الألبان في الولايات الأربع حوالي ١٠٠ ألف كم مربع، كانت تمتد أراضيهم إلى الجبل الأسود وصربيا واليونان ومقدونيا. لذا، نجد أن الألبان مازالوا يعيشون في هذه الدول بعد أن حيل بينهم وبين أن يجمعهم وطن واحد، شأنهم شأن الأعراق الأخرى والتي مُنحت هذا الحق، بعد الحروب المتكررة، والألبان يتحدثون لغة واحدة رغم تفرقهم

في البلقان، وهي اللغة الألبانية، وهي إحدى اللهجات الأيرية والتي بدورها هي إحدى اللغات الآرية، ويرجع العلم بها إلى ما قبل ثلاثة آلاف سنة، وقد تأثرت اللغة الألبانية ببعض الكلمات التي تركها المستعمر على مدار سنوات الاستعمار قديماً وحديثاً، ولكن اللغة التركية كان لها نصيب الأسد إبان الفتح العثماني لألبانيا، فقد تركت أكثر من ثلاثة آلاف كلمة في القاموس الألباني، كما كان للغة اليونانية بعض الأثر.

وكانت اللغة الألبانية تكتب الحروف العربية حتى أواخر القرن الماضي، ولكن اتفق على توحيد الأبجدية وكتابتها باللاتينية. (حرب البلقان - الحرب العالمية)، أو بعد التغييرات السياسية الحاصلة في العالم. ومن الطريف أن اللغة الألبانية كانت ولا زالت هي عامل التوحيد الأكبر للعرق الألباني في العالم، والقصة التالية تدلُّ على ذلك:

فقد ضل أحد الألبان طريقه في نيويورك، وعند أحد المقاطع فتح زجاج النافذة ليسأل أول قادم عن يساره، وفجأة وبدون مقدمات وجد نفسه يسأل باللغة الألبانية. والمفاجأة أن الآخر أجابه بالألبانية عن الموقع الذي يسأل عنه، دون أن يقول أحدهم للآخر السؤال المعروف: (هل تتحدث الألبانية مثلاً؟).

● ألبانيا والغزو:

عرفت بلاد الألبان قبل قيام دولة ألبانيا في عام ١٩١٢م، وبعدها العديد من الغزو الخارجي، ففي العصور الوسطى كان الرومان والبيزنطيون، ثم جاء الصرب، ثم العثمانيون، ثم الطليان ١٩٣٩م - ١٩٤٤م، والألمان أثناء الحرب العالمية الثانية. وفيما بين عامي ١٩١٥ - ١٩١٨م إبان الحرب العالمية الأولى، وقعت كوسوفا وبعض أراضي ألبانيا «الأم» تحت الاحتلال البلغاري، وما يعرف بمملكة النمسا والمجر، لهذا بخلاف بقائها ضمن ولايات الفتح العثماني الذي بدأ في ١٤١٥م، وترسخ في القرن الخامس عشر، وحتى قبيل إعلان دولة ألبانيا في العام ١٩١٢م.

• استقلال ألبانيا:

على أن الدولة الجديدة، والتي نالت استقلالها في العام ١٩١٢م على يد إسماعيل كمال، ورغم أن أباه كان يعمل مع الأتراك، وكان من قاداتهم الذين يعتمد عليهم ونال قسطاً من التعليم الديني، إلا أنه خرج على الأتراك والذين يبدو أنهم لم يكونوا في وضع يسمح لهم بغير ذلك، وحسب ما تقول الوثائق، فإن الأتراك وفي عام ١٩٠٨م كانوا قد قرروا منح أقاليم ألبانيا الأربعة الاستقلال وخصوصاً أن هذه الأقاليم كانت بالفعل يحكمها ألبان تابعين للباب العالي، وقام كمال بتشكيل حكومة جديدة، ولكن لأسباب الحرب العالمية لم تصمد طويلاً هذه الحكومة، لتقوم مقامها حكومة أسعد باشا.

وفي أثناء هذه الحرب، كانت الأجزاء الشمالية نهياً للصرب والجبل الأسود، والجنوب لليونان، وفلورا (الساحلية المعروفة) وقعت في يد الطليان. لكن سرعان ما استتب الأمن، واعترف العالم بدولة ألبانيا، وقبِلت في عصبة الأمم في ١٧/١٢/١٩٢٠م وكان أحمد زوجو - الملك الأسبق - وزيراً للداخلية ثم رئيساً للوزراء في عام ١٩٢٢م، ثم انتخب رئيساً، ولكن تم الانقلاب السلمي عليه بواسطة القس (فان نولي)، ولكن سرعان ما عاد زوجو إلى ألبانيا عام ١٩٢٤م، وأعلن الجمهورية الألبانية في العام ١٩٢٥م، واختير زوجو رئيساً لها، ثم حولها إلى ملكية في عام ١٩٢٨م، ونصّب ملكاً لألبانيا ليكون الأول والأخير، لكن الاحتلال البريطاني في عام ١٩٣٩م أدّى إلى هروب زوجو وعائلته إلى تركيا، ثم إلى مصر، ثم إلى فرنسا، وتوفي هناك.

• أنور خوجا الطاغية:

فارس الساحة الألبانية في الأربعينيات من هذا القرن، فرغم أن حركة المقاومة كانت موجودة قبل أن يعرف طريقه إلى الوطنية، إلا أن شخصيته القوية جعلته يقود كل هذه الفصائل، واستطاع أن يجمع كل الطوائف الدينية تحت رداء المقاومة، وتم إجلاء الطليان في العام ١٩٤٤م في يوم ٢٩ نوفمبر (اليوم الوطني لألبانيا). وفي عام ١٩٤٦م أعلنت الجمعية التأسيسية قيام الجمهورية الشعبية في ألبانيا وأنور خوجا رئيساً، وبدأت مرحلة القهر الألباني.

• ألبانيا في غياهب الشيوعية (١٩٤٤-١٩٩٢م)؛

مع بداية حكم (أنور خوجا)، والذي ينتمي إلى عائلة مسلمة من الجنوب الألبانية، بدأت ملامح التغيير تدخل إلى هياكل الدولة، ولكنه التغيير نحو الشيوعية التي لم تكن كذلك في بلدها الأم، فقد حاول خوجا أن يطبق نموذجاً مختلفاً للشيوعية في ألبانيا، وقام بتأميم كل شيء، حتى الدجاجة والبطة والبيضة، وأصبح على المواطن العمل ليل نهار مقابل توفير حاجاته الضرورية له من مأكّل ومشرب ومغسل ومكواة ومواصلات. وحُرِمَ المواطن من نعمة التملّك، حتى الأبناء، فكان على كل واحد ألاّ ينجب أكثر من اثنين، وأن يعمل حيث تريد الدولة لا حيث يرغب أو حيث يجب أن يكون، لم تكن هناك سيارات خاصة ولا بيوت خاصة ولا أي شيء خاص على الإطلاق، وحتى وقت الإنسان مرهون لدى الحكومة حين تريده.

وعلى سبيل المثال: كان لزاماً على كل فلاح يربي دجاج، أن يقوم بتسليم البيض في صباح اليوم التالي إلى أمين اللجنة الزراعية، أمّا إذا ماتت إحدى دجاجاته، فعليه ألاّ يُلقِي بها قبل أن يسلم (الجثة) إلى المسؤولين أيضاً، كما كان لزاماً على سكان شارع معين أن يساهموا في حفر قنوات الصرف الصحي، وذلك أن يقوم المواطن باستلام أمر الثغل من مسؤول الحزب في المنطقة ويتسلّم معه أدوات الحفر والمسافة التي سيقوم بحفرها والمدة الزمنية والمقابل (في سبيل ألبانيا!!!)، وحُرِمَ المواطن أن يشاهد تلفازاً غير الحكومي، وألاّ يرفع «الإريال على البيوت» ويعاقب بالجن من يفعل ذلك، وحُرِمَ على المواطنين التحدث مع الأجانب من ممثلي البعثات الدبلوماسية أو الضيوف الذين كان يسمح لهم بصفتهم من دولة صديقة، وكان على المواطن الإبلاغ بأنه التقى فلان الأجنبي أو تحدّث إليه في موضوع كذا، حتى ولو كان يسأل عن عنوان بيته. وقُيِّدَت حرية السفر داخل ألبانيا، ومن محافظة إلى أخرى إلاّ بإذن الحاكم العسكري للمحافظة، هذا بالإضافة إلى منع السفر للخارج نهائياً، وانتشر التجسس بين الأفراد، وبات الصعود لأعلى، مرتبطاً بالعلاقة مع أجهزة الأمن، خصوصاً بين طلاب الجامعة المغتربين، وتخلّص خوجا من ساعده ونفى رجالات المقاومة فيما يُعرَف بالجهة الوطنية، وقُتِلَ محمد شيبهور رجُلُهُ

القويّ بعد أن شعر بأنه بدأ يتخذ قرارات دون استشارته .

وأوهم خوجا الألبان بأنهم مستهدفون من قوى الشرّ التي تريد حرمانهم من اللجنة الموعودة ، وقام باستضافة بعض السودانيين والإفريقيين والفلسطينيين ، وسمح لهم بالتعلم في جامعة (تيرانا) من أجل هذا الغرض ، لكنه قام بزرع المدن الألبانية بثلاثة أرباع مليون دشمة مسلحة بحيث يأوي إليها الألبان حال أن تغير عليهم قوات العدو الأمريكي أو السوفييتي ثم يوغسلافيا ، وتذبذبت مع الصين وانقطعت مع كل الدول الأوروبية وخصوصاً الغربية ، أو الدول الأخرى ذات التوجه الليبرالي . لكن الأخطر على الإطلاق ، كان قراره في عام ١٩٦٧ م بإعلان ألبانيا أول دولة ملحدة في العالم ، وقام بهدم المساجد والكنائس وتحويل أغلبها إلى حظائر ومصانع أو متاحف ومسارح ، واعتقل رجال الدين ، وفرّ بعضهم إلى الشام والسعودية وتركيا .

وخلال انشغال خوجا (راضياً أو مرغماً) بشأن ألبانيا الداخلي ، كانت كوسوفا تعاني مذابح الصرب وعمليات التهجير ، ورغم توجه خوجا القومي المتشدد ، إلا أنه لم ينطق ببنت شفة تجاه ما يحدث ولم يحرك ساكناً حين تم تهجير ١٢٥ ألف ألباني من كوسوفا إلى تركيا والبلاد العربية وخصوصاً الشام . . .

ولم يكن له أي دور مساند أثناء مظاهرات ١٩٦٨ م ولا مظاهرات ١٩٨١ م في كوسوفا ، حتى قال بعض المحللين : «لقد كان الغرب ساكناً عن أنور خوجا وما يحدث لشعبه على يديه من قهر ، مقابل أن يسكت عن مشكلة كوسوفا» .

• رامز عليا رجل من الزمان المختلف:

(مسلم آخر من نفس طراز القائد أنور خوجا ولكنه جاء في الزمان المختلف) .

فقد مات أنور خوجا عام ١٩٨٥ م ، واستلم (رامز عليا) السلطة وهو من رجالات خوجا ، لكن العصر أصبح غير العصر والزمان غير الزمان ، وهبّت رياح التغيير على أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي ، وواجه رامز عليا الموقف وبدأ بانفتاح تدريجي لم يكن كافياً على شعب حُرِم الحياة ، وحاول قمع الشعب بعد بداية المظاهرات في عام ١٩٩٠ م ، وكان الخطأ الأكبر حين منع المهاجرين من الهجرة ،

وقامت قوات الشرطة بإطلاق النار على المواطنين وقتلت الكثيرين، ثم بدأ تحرك الطلبة في الشمال (مدينة اشكودرا) والتي عرفت بمظاهرات الطلبة، والتي كان من بين قادتها الرئيس السابق صالح بريشا، وحاول السماح لبعض النقابات والتجمعات النوعية ببعض الحرية، ثم سمح للأحزاب، وتم تشكيل الحزب الوطني الديمقراطي، وأُجريت الانتخابات مرتين في عهده، وكان آخرهم في مارس ١٩٩٢م حيث فاز الحزب الوطني بالأغلبية، وأودع رامز عليا السجن وحُكِمَ عليه بالسجن في جرائم ضد الإنسانية. (أُفرج عنه بعد وصول الاشتراكيين إلى الحكم في انتخابات يونيو العام ١٩٩٧م).

• **طبيب أمراض القلب، القادم من الشمال الفقير جداً، والذي كان مثار إعجاب زملائه؛ لشدة ذكائه؛**

تعود نشأة بريشا إلى إحدى قرى الشمال الألباني، المعروف بتدينه، وخصوصاً في التصوف، وهو ما يعرف بالبكتاشية، وكان أبوه من أقطابها، علاوة على أن الشمال الألباني مرتبط ارتباطاً وثيقاً بكوسوفا من ناحية النسب والعائلات؛ وذلك لسهولة الاتصال بين القرى الشمالية ومدن وقرى كوسوفا. وقد حاول صالح بريشا أن يجعل من قضية كوسوفا قضية قومية، فقامت ألبانيا بالاعتراف بجمهورية كوسوفا والتي أعلنها الألبان في كوسوفا بعد استفتاء عام ١٩٩٠م، وأعلن بريشا وحزبه قبل وصولهم إلى السلطة أن كوسوفا هي جزء من ألبانيا وأعلن شعاره «شعب واحد مصير واحد ووطن واحد».

وتخوَّف الغرب من توجه بريشا، الذي حاول أن يحيي الماضي ويفتح «خُرَاج كوسوفا في بطن أوروبا»، وحاول الغرب احتواء بريشا، وانضمت ألبانيا في المجلس الأوروبي، وأعلن اعتماد حكومته لاقتصاد السوق، وبدأت أزمة مارس ١٩٩٧م، وكانت البداية لتوظيف الأموال.

• **توظيف الأموال؛**

قامت شركات وهمية بجمع أموال الألبان تحت ذريعة الاستثمار، وكانت

معظمها شركات للنصب والاحتيال، وأخذت تهيئات كبيرة من الدولة، ثم انكشف أمرها وضاع ملياري دولار من أموال الألبان الفقراء الذين طار صوابهم وثاروا على الدولة وشنت صحف المعارضة جام غضبها على الرئيس بريشا ورئيس الحكومة وعلى الحكومة، وشجعت المواطنين على الثورة عليها، وفعلاً دخلت البلاد في فترة من الفوضى والثورة التي ذكتهما الجهات التي خططت لشركات النصب والاحتيال وخططت للإضرابات وإغراق البلاد في الفوضى.

• مشكلات ألبانيا مقدمة لضياع كوسوفا:

كان إغراق ألبانيا والرئيس بريشا في مشكلات داخلية، مخططاً مرسوماً وواضح المعالم، شاركت فيه أطراف عدة من بينها وأبرزها اليونان التي أشعلت الثورة في جنوب ألبانيا، وأحداث مارس ١٩٩٧م، وصربيا التي استفادت من الوضع، وقامت بدعم تواجدتها العسكري في كوسوفا، وأمريكا التي كانت ومازالت ترى أن وجود حاكم قوي في بلد ضعيف أغليته مسلمة يمكن أن يؤدي إلى دعم الأصولية في البلقان خصوصاً إذا نشب صراع في كوسوفا، ويمكن لرجل مثل بريشا أن يفتح حدود بلاده الممتدة مع إقليم كوسوفا لتكون معبراً للفائدين والمجاهدين من الألبان في المهجر، ولذا كان الضغط الأمريكي المتوالي على بريشا للتخلي عن قضية كوسوفا نظير دعم موقفه السياسي ولكنه رفض، وفتحت أمريكا خطوطاً ساخنة مع إبراهيم روجوفا حتى تتمكن من التخلي عن بريشا وتتعامل مباشرة معه، وبالفعل فبعد يونيو ١٩٩٧م تم إلغاء دور بريشا وبالتالي ألبانيا، وعلى طريقة أوسلو مع الفلسطينيين، باشر الأمريكيون انفرادهم بروجوفا والذي بدا سعيداً باتصاله بأمريكا أكثر من إصراره على استقلال الإقليم؛ مما أدّى إلى تعويم الموقف الرسمي الكوسوفي وأصبح بلا دعم مع وصول الاشتراكيين لسدة الحكم في ألبانيا، قد أراد الاشتراكيون رضاء أمريكا وأوروبا، وكان من الغباء تكرار نفس غلطة بريشا. لذا، بادر فاتوس نانورئيس الوزراء الألباني (١٩٩٧-١٩٩٨م) بإعلان تخلي بلاده عن المطالبة باستقلال كوسوفا، بل وطالب مقاتلي جيش تحرير كوسوفا بوقف أعمال «العنف»! ودعا إلى حلّ سلمي يعطي ألبان الإقليم حكماً ذاتياً.

وهكذا، بدا لنا ما حدث في ألبانيا على مدار (١٩٧٩ - ١٩٩٨ م). كانت البداية الحقيقية لإطلاق يد صربيا في كوسوفا؛ لكي تضع يدها عليها ومساعدة أوروبا حلاً يتناسب مع رؤية كل طرف بعيداً عن رأي أصحاب القضية .

• علاقة كوسوفا بصربيا:

في العام ١٩١٠م وقبل عامين من استقلال ألبانيا - وهو نفس العام الذي أعلنت فيه الحرب على تركيا فيما عرف بحرب البلقان - أعلنت تركيا عن نيتها إعطاء الأقاليم الألبانية الأربعة الاستقلال، لذا عجل بالحرب على تركيا حتى إذا ما خسرت يتم تقسيم الأقاليم على المتحالفين، كان تعداد الألبان في الولايات الأربعة (كوسوفا - شكودرا - ماناستير - يانينا) هو مليوني نسمة مع وجود بعض الأقليات الصربية (في كوسوفا) واليونانية (في يانينا) والبلغارية (في ماناستير)، وحين أعلنت دولة ألبانيا، كانت مساحتها المفترض منحها لهم هي ٤٨ ألف كم مربع (المساحة الحالية ٢٨ ألف كم مربع)، وتضم عدد من السكان بلغ ١,٢ مليون نسمة، وبقي ثلث السكان الألبان خارج حدود الدولة الجديدة. فلماذا وكيف تم تقليص أظافر الوجود الألباني داخل دولة ألبانيا؟ ولماذا لم تنضم كوسوفا وماناستير ويانينا إلى الدولة الوليدة؟!

رغم أن كوسوفا كانت معروفة على مدار التاريخ بأنها أرض سكنها الألبان، وفد عُرفت باسم (داردنيا) حتى القرن الرابع عشر، حيث أطلق عليها الاسم الحالي، إلا أن تاريخاً من الكراهية والحقد قد شبَّ بين نواحيها، فعلى مدار التاريخ القديم، وقعت بسكانها تحت الأسر الصربي في الفترة ما بين القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر مع الفتوحات العثمانية، وكان الملك الصربي أوروš Orosh يعرف أن هذا الإقليم تسكنه أغلبية ألبانية، ورأى أن من الظلم لأن يمارس ضدهم أعمال عنف وتعسف، وقرَّر أن سكان هذه القرى من الألبان، ومن يتعنت في معاملتهم سيتعرض للعقوبة، كان هذا أول اعتراف صربي بحق الألبان في هذا الإقليم.

كان الحلم الصربي القديم: صربيا الكبرى Nacertanija وهذا على حساب الأعراق الأخرى، وأراضيها التي يسكنونها ومن بينها البوسنة ومقدونيا والجبل

الأسود وشمال ألبانيا، إضافة إلى كوسوفا، فما لم يتم صربنة سكان هذه المناطق فلن يتحقق الحلم، وفي العام ١٨٤٤م تم إقرار المشروع بعد قيام ولاية صربيا . **Principality of Serbia**

اعتقد الصرب اعتقاداً جازماً أن الاحتلال وحده ليس كافياً، بل لا بد من صربنة الشعوب التي تقع تحت الصرب وليس المقصود تحويلها إلى الديانة الأرثوذكسية وحسب، بل إن التعصب الصربي جعل الكنية الأرثوذكسية تحمل لواء الصربنة وعرفت الكنية الأرثوذكسية في صربيا بأنها الكنية الصربية، وبلغ الهوس بالصرب واعتقادهم بضرورة صربنة العالم إلى القول - وحسب ما قاله العالم والمفكر الصربي المعروف Mice Popovice أن الصرب باتوا يعتقدون أن أصل العالم صربي، بل إن الرب - سبحانه وتعالى - صربي !!! تعالى الله علواً كبيراً.

لقد ساهم ألبان كوسوفا في الانتفاضة مع الصرب على الحكم العثماني من عام ١٨٠٤م إلى عام ١٨١٥م، وكان الجزء تطهير عرقي في ستة مناطق هي: «بلجراد - سوبريا - كروسيفاتش - سفيلانوفاتش - باراسين - باجودينا». وفي محاولة لطردهم الألبان من المناطق الغربية، قام الأمير الصربي (ميلواوبرينوفيتش) عام ١٨٣٤م باستخدام القوة والعنف والإبادة.

وحين قامت الحرب الروسية التركية عام ١٨٧٧م - ١٨٧٨م وفي محاولة لكسب تأييد الألبان في الإقليم بإعلان أن حكومته تضمن المساواة لكل سكان الأراضي التي يتم تحريرها، ولكن ما يعرف بمؤتمر برلين والجبل الأسود جاء بعكس ذلك، واستغل الأمير الصربي الموقف وقام بإبادة ٦٢٠ قرية ألبانية.

وبمقتضى مؤتمر برلين، تم إضافة ١١ ألف كم مربع إلى صربيا من أراضي الإقليم، ثم جاءت حرب البلقان وأعلن ألكسندر ملك صربيا: أن الألبان يحصلون على حقوقهم إن ساعدوا الصرب في الحرب، وفعل الألبان وأنكر الصرب. بل واستعملوا الآلة الحربية في إبادة الألبان وقتلوا عشرات الألوف بعد أن رفض الألبان اعتناق الأرثوذكسية.

وندد اللورد الإنجليز لا مينجتون قائلاً: «كان هدف الحلفاء من الحرب هو تحرير الأراضي، ولكنها تحولت إلى حروب إبادة».

وجاء مؤتمر لندن ١٩١٢ - ١٩١٣ م ليمنح كوسوفا لصربيا.

وفي الحرب العالمية الأولى، كانت كوسوفا تحت الاحتلال البلغاري ومملكة المجر والنمسا (١٩١٥ - ١٩١٨ م)، وبعد انسحاب النمساويين، قامت الطائرات الصربية بتوزيع منشورات على سكان الإقليم تدعوهم إلى حماية الأقلية الصربية وأن يديروا بنادقهم للعدو، وفعل الألباني، وأنكر الصرب، وكرروا ما حدث قبل ست سنوات من الإبادة والقتل.

في مؤتمره الرابع، أعلن الحزب الشيوعي اليوغسلافي دعمه لكفاح الألبان لتوحيد أراضيهم واستقلالها.

وفي المؤتمر الخامس، أعلنوا أنهم سيمحون للألبان بقيام دولة فلاحية من خلال الثورة على الامبريالية الدولية والفاشية الصربية، ولكن لا شيء تحقق في الحرب العالمية الثانية. اتفق الحلفاء على أن كل شعب يقاوم دول المحور سيحصل على استقلاله. وفعل الألبان في كوسوفا، وشاركوا في الحرب ضد الفاشية في عام ١٩٤١ م، وقاموا بتشكيل مجلس التحرير الوطني والذي أقر: أن الألبان وحدهم أصحاب الحق في تقرير مصيرهم واتحادهم مع ألبانيا، ووافق الحلفاء جيش تحرير يوغسلافيا وجيش التحرير الوطني الكوسوفي... ولكن لا شيء سوى اتهام الصرب للألبان بأنهم خونة وأنهم تواطؤوا مع الصرب، وقام الصرب بحملة في الإقليم أطلقوا عليها (إعادة الأوضاع إلى طبيعتها) Normal Ization of the Situation وذلك في ٨ فبراير ١٩٤٥ م.

في يوليو ١٩٤٥ م عقد مؤتمر بريزرين Prezrin بعد أن قامت صربيا بذبح وقتل ٤٧ ألف ألباني متهمه إياهم بالثورة على البلاد.

استمر الألبان في الكفاح وأعطيت وضعية خاصة واعتبر شعبها أقلية عرقية، الأمر الذي لم يقبل به الألبان، وتشكلت لجنة سرية للمقاومة، واكتشف أمرها

واعتقل أفرادها .

في العام ١٩٦٨م قامت المظاهرات مرة أخرى، واضطر الصرب إلى فتح أبواب الجامعة «برشتينا» أمام الطلبة الألبان .

ثم في عام ١٩٧٤م، تم منح الإقليم لقب وحدة من ضمن وحدات الاتحاد اليوغسلافي مع مزيد من الحريات والحكم المحلي والمشاركة في الرئاسة والوزارات .
في عام ١٩٨١م حملة إبادة وقمع أخرى .

في عام ١٩٨٩م إلغاء الوضعية الخاصة بالإقليم .

في عام ١٩٩٠م فرض حالة الطوارئ، واعتقال كل رموز العمل السياسي في الإقليم وتهجير البقية .

في العام ١٩٩١م استفتاء بين ألبان كوسوفو يسفر عن الاستقلال وإعلان جمهورية كوسوفا التي لم يعترف بها أحد سوى ألبانيا الأم .

١٩٩٦م اتفاقية التعليم بين روجوفا وميلوسوفيتش تحت إشراف كنيسة سان إيجيديو الإيطالية .

١٩٩٧م منذ أكتوبر والتحرشات بالطلبة الألبان تزداد ، ثم إغلاق الجامعة وطرد الألبان بداية لجوء الطلبة للجبال ، وظهور جيش تحرير كوسوفا كقوة على الساحة .

مارس ١٩٨٨م مذبحه درينيتسا .

• الاستيطان الصربي في الإقليم:

أحد وسائل التغيير على الأرض التي اتبعتها صربيا لتغيير البنية السكانية في الإقليم ومحاولة مستميتة للضغط على سكان الإقليم من الألبان للهجرة، وذلك بدعم الصرب للأقلية الصربية ودفعها للاشتراك مع الألبان، ومن ثم تتدخل القوات الصربية عسكرياً .

وقد شهد التاريخ القديم والحديث، موجات متتالية بدأت مع حملات الإبعاد للمواطنين الألبان، وبدأ استيطان الصرب، كان آخرها توطين أكثر من ٨٠٠٠ من

الصرب الفارين من إقليم كرايينا في كرواتيا ضمن خطة تشمل توطين ٢٠ ألف بإقليم كوسوفا، وقد قامت الحكومة الصربية بزرع المهاجرين الصرب في المدارس والجامعات والمستوصفات ومنازل الألبان والعديد من الشقق السكنية .

ولتشجيع الاستيطان، قامت الحكومة الصربية بوضع خطة إعلامية وأخرى اقتصادية .

أما الأولى: فقد تضمنت تطمين المواطنين الصرب على الوضع الأمني في الإقليم، ومنعت منعاً باتاً أي نشرات عن عمليات فدائية لجيش التحرير الكوسوفي .
وتضمن الشق الثاني من الحملة الإعلامية: نشر أخبار عن عمليات تمشيط وتعذيب وسجن وأحكام بالسجن على ألبان كوسوفو من أجل برهنة بسط يد القوة الصربية على الأوضاع في الإقليم .

هكذا، بالإضافة إلى حملة توعية وحث تحت شعار «الاستيطان في كوسوفا واجب وطني مقدس» .

أما الخطة الاقتصادية: فتضمنت وضع ميزانية للاستيطان بلغت أكثر من ١٧ ، ٣ مليون مارك ألماني أنفقت منها ١ ، ٧ مليون مارك لبناء ألفين وحدة سكنية، والباقي على شكل قروض ميسرة الدفع لبناء بيوت خاصة للصرب الراغبين في الاستيطان في كوسوفا .

هكذا، ولتيسير الاستيطان، فقد سنت الحكومة الصربية وعلى مدار خمس سنوات أكثر من خمسمائة قانون خاص بالاستيطان وتخفيفه في كوسوفا، بالإضافة إلى قوانين تحرم نقل الملكية من المواطنين الصرب إلى الألبان وتخفز العكس وتشجع عليه . أما الإغراءات الأخرى فتمثلت في منح وظائف ورواتب عليا لمن يرغب في الهجرة إلى كوسوفا، بالإضافة إلى ضم المؤسسات الاقتصادية الكوسوفية إلى نظيرتها الصربية وجعل الإدارة صربية مما يعني نقل مئات الآلاف من الكوسوفيين وتشريدهم من أجل عيون الصرب .

• تهجير الألبان من الإقليم:

وصل عدد المهاجرين من العرق الألباني - قبل أحداث مارس ١٩٩٨ م - قرابة ٤٠٠ ألف مهاجر يعيشون في سويسرا وألمانيا والنمسا، ناهيك عن الذين يعيشون في ألبانيا، فقد بدأت عمليات الترحيل «الترانسفير» في العام ١٨٧٧ م، وأثناء الحرب الروسية التركية ١٨٧٧ - ١٨٧٨ م، ثم مرحلة أخرى بدأت منذ ١٩١٨ م وشهدت أوجها حتى العام ١٩٤١ م، أي ما بين الحربين العالميتين، وذلك على مرحلتين كما ذكر البروفيسور زامير شتولا في مقال له نشر بالدورية السنوية للإعلام الكوسوفي في الخارج.

كانت المرحلة الأولى من خلال ما يعرف بمملكة (صربيا - كرواتيا - سلوفينيا) وذلك بين عام ١٩١٨ م - ١٩٢٩ م، والمرحلة الثانية من خلال مملكة يوغسلافيا ما بين ١٩٢٩ م - ١٩٤١ م. وكان الإبعاد إلى اسطنبول ومناطق أخرى في تركيا والتي استقبلت ٤٠ ألفاً من بين ٣٠٠ ألف أبعادوا في هذه المرحلة قسراً، كما تم الإبعاد إلى البلدان العربية، بل وإلى ألبانيا ذاتها، وقد كان طريق الترحيل عبر (سكوبيا) (مقدونيا) إلى سالونيك (اليونان) بالسكك الحديدية، ثم إلى تركيا عبر البحر والسكك الحديدية. وكانت بلغاريا محطة الترانزيت وتحملت صربيا مصروفات النفي كافة. وقد انتزعت السلطات أكثر من ٨٥٤ منزلاً من الألبان لإسكان الصرب القادمين من كرايينا في عام ١٩٩٥ م.

أمّا المرحلة الحديثة: فقد بدأت في مارس ١٩٩٨ م، وإثر قيام السلطان الصربية بغزو عسكري كبير للإقليم متعللة بالقيام بإعادة الأمن إلى الإقليم وإلقاء القبض على المقاومة المسلحة التي يتزعمها جيش تحرير كوسوفا.

وفي هذه المرحلة، تم تهجير قرابة ٣٨٠ ألف ألباني داخل وخارج الإقليم في محاولة أخرى لإعادة صياغة التركيبة السكانية، وذلك بإحداث تفريغ بعض المناطق من السكان الألبان وإعادة توزيع الصرب فيها؛ استعداداً للتقسيم على ما يبدو، إمّا الهجرة خارج الإقليم إلى الجبل الأسود وألبانيا وصربيا. وقد حال حلول الشتاء

١٩٩٨م من عودة معظم المهجرين بعد أن هربوا إلى الغابات وهدمت وسلبت بيوتهم .

• تغيير البنية الاقتصادية:

فقد صادرت السلطات الصربية الممتلكات والمؤسسات الكوسوفية ، وقامت بطرد أكثر من مائة وخمسين ألف عامل من وظائفهم ، وضمت المصانع والشركات إلى نظيرتها في صربيا ؛ بحجة أنها تحقق خسائر ، وضعت الصرب على قمة الهرم الإداري في كل المنشآت الهامة ، وبغض النظر عن الكفاءات العلمية والإدارية ، كما قامت ببيع جزء كبير من المصانع والشركات الألبانية وخصصتها ؛ لتقع في يد الصرب مرة أخرى .

ومن المفارقات أن أحد المصانع الألبانية عرض للمخصصة ليقع في يد شريك صربي حصل وزوجته وأبناء عمه وأولاده على أكثر من خمسين في المائة من أسهم المصنع .

• طمس الهوية الثقافية:

ويكفي أن الصرب أوقفوا البث الإذاعي والتلفزيوني باللغة الألبانية ، ووقف إصدار جريدة النهضة الكوسوفية والناطقة بالألبانية ، وتشريد طاقم العمل ، وأكثر من ١٥٠٠ صحفي يعملون بالصحيفة ، واضطرت إلى الإصدار من خارج كوسوفا .

كما قامت القوة الصربية بالاستيلاء على دور الثقافة الألبانية في أنحاء الإقليم كافة ، ناهيك عن المؤسسات التعليمية باللغة الألبانية ، وكان آخرها جامعة برشتيتينا والذي أدى إلغاء التعلم باللغة الألبانية فيها إلى قيام العديد من المظاهرات واندلاع أعمال عنف إثر تدخل البوليس الصربي وقيامه بالاعتداء على المتظاهرين سليماً ، الأمر الذي دعا إلى تدخل أوروبي في حينه عبر كنيسة سان إيجيديو الكاثوليك Sanigidio الإيطالية المعروفة وتوقيع اتفاق عُرفَ بـ «اتفاقية التعليم» في عام ١٩٩٦م بين الرئيس الصربي ميلوسوفيتش والكوسوفي إبراهيم روجوفا . وتُعدُّ هذه هي المرة الأولى التي يلتقي فيها ممثل عن الشعب الكوسوفي مع الرئيس الصربي منذ

إعلان استقلال كوسوفا بواسطة الصرب في عام ١٩٨٩ م.

وفي أزمة مارس ١٩٩٨ م، وعلى مدار قرابة ستة أشهر، گمرت القوات الصربية نفس السيناريو بإغلاق المراكز الإعلامية الكوسوفية K.I.C. وصادت الصحف الصادرة من برشتينا وقامت بأكبر عملية تعقيم على ما يجري في كوسوفا؛ مما يحمل احتمال قيام الصرب بعمليات تطهير عرقي على مستوى مشابه لما حدث في البوسنة خصوصاً مع بشاعة الصور التي وردت عن مذابح درينيتسا!!!

● مذبحه درينيتسا مارس ١٩٩٨ م:

في التاسع من مارس ١٩٩٨ م قامت القوات الصربية بمذبحة كبيرة في درينيتسا في قلب كوسوفا، وخرج الآلاف يصيحون منادين بالاستغاثة للمسلمين وأوروبا، ولكن لا مجيب، والعالم يصمّ أذانه ما دام الصراخ من مسلم، ووقعت آلاف الضحايا، وجرت الدماء أنهاراً، والألبان الملمون لا يملكون حيلة أمام الآلة العسكرية الصربية والقلوب القاسية التي تصمم على التطهير العرقي وإخلاء البلاد من أهلها.

● وتوالت المذابح:

توالت المذابح الصربية تحت سمع وبصر الدنيا، تحصد بالآلاف ولا عزاء للمسلمين. فكانت مذبحة (دوكاجين)، ومذبحة (اسكدرائي)، ومذبحة (راتشاك) وهلم جراً، والمجتمع الأوروبي المتحضّر، والكنيسة الأرثوذكسية تعتبر مدير المذابح مليونوفيتش، قديسها ومثلها الشرعي في العالم.

● اللاعبون على جراح كوسوفا:

١ - روسيا:

ترسل السلاح للصرب وتساندهم اقتصادياً وسياسياً، من نواح عدّة:

أ - حجم التبادل التجاري الروسي مع يوغسلافيا السابقة «صربيا»، يمثل الرقم الأكبر في الميزان التجاري، كما أن لروسيا ديوناً لدى الصرب.

ب - تمثل كوسوفا فرصة كبيرة لروسيا لكي تثبت قدميها في البلقان، ولتكون نداً

لأمريكا مذكرة أنها ثاني قوة في العالم .

ج- تنطلق روسيا من قاعدة الدفاع عن مصالحها ؛ لأنها مورد لتصريف السلاح الروسي في صربيا ، والبلقان ، ودخول أمريكا سيجعل هذا متحياً .

د - العامل الديني : حيث تلعب الكنيسة الأرثوذكسية دوراً كبيراً في دعم الرئيس الروسي يلتين في موقفه السياسي في مواجهة المد الشيوعي في روسيا ، والرئيس الروسي يحاول أن يرد الدين للكنيسة الأرثوذكسية في البلقان في مواجهة المسلمين ، كما تواجه الكنيسة الأرثوذكسية أن يكون لها دور في الصراع من خلال تواجدها في اليونان وبلغاريا وصربيا وروسيا ، حيث تحكم بشكل كبير في السياسة الخارجية لتلك الدول خصوصاً في المشكلات العرقية والدينية .

٢ - أمريكا :

معلوم أن الدور الأمريكي هو الجوكر الوحيد الذي يستطيع تحريك الأوراق جميعاً ، رغم أنه متهم من قبل الإعلام الصربي بالعداء لصربيا ، وبالتخطيط للقضاء عليها ، إلا أن هولبروك وحده كان القادر على إقناع ميلوسوفيتش وإبراهيم روجوفا بالجلوس والتفاوض وجهاً لوجه ودون وسيط ، وأمريكا وحدها هي التي قررت بالنيابة عن مجموعة الاتصال ، تجميد بعض العقوبات التي فرضت على صربيا مكافأة بها ، وهي التي تهدد باستخدام القوة وفي نفس الوقت تصرح أولبرايت بأن من مصلحة صربيا والعالم ، الوصول إلى حل سلمي ، وأمريكا أيضاً هي التي تتزعم مقولة : « لا للاستقلال ، ونعم للحكم الذاتي الموسع » .

وهي تستقبل روجوفا وتصرّ على أن يعلن رفضه للإرهاب وقد فعل ، وأن يعلن تنصله من جيش تحرير كوسوفا وقد فعل ، وقد أدانت الخارجية الأمريكية قتل الأبرياء من الطرفين وأدانت العدوان من الطرفين وندد إبراهيم روجوفا بالإرهاب ، ولكن السيد هولبروك خرق كل الأعراف ولحس كل التصريحات التي نددت بجيش تحرير كوسوفا ، وها هو يجلس على الأرض مع قادة الجيش الذي ندد به بالأمس ، فهل كان ذلك من أجل عيون جيش تحرير كوسوفا؟!

لكن قراءة سريعة للدور الأمريكي في المشكلة الأفغانية إبان الجهاد الأفغاني في بواكير الأزمة، وكذلك في أزمة البوسنة، وفي زائير، يعطينا خلفية جيدة عن الطريقة الأمريكية في إدارة الصراعات في العالم، خصوصاً تلك الملتهبة، وذات الطابع القتالي المسلح في أزمة أفغانستان استعانت أمريكا بباكستان وفتحت الحدود الباكستانية للمخابرات الأمريكية لتلعب وتنظم وتدير. وقد أفلحت في جرّ العديد من الدول العربية والإسلامية إلى حلبة الصراع، وكان الدور الأمريكي مجرد **Starte** «مشعل»، ثم انتقل إلى مرحلة التقسيم، ولم تشارك أمريكا بجندي واحد في هذه الأزمة التي كان واحد من أكبر نتائجها هو تفكك الاتحاد السوفييتي بعد انهيار عسكري واقتصادي بسبب هذه الحروب وأدارت أمريكا الصراع من خارج الحدود وبأقل التكاليف، بل ورطت الدول العربية والإسلامية لأداء دور تريد أن تقوم به هي ولكن من وراء حجاب!!

أمّا البوسنة، فلم تقدم أمريكا أي حل للأزمة، خلافاً عما كان يتوقع الكثيرون، بل إن المعروض قبل العرض الأمريكي ربما كان أفضل بالنسبة للبوسنيين، لكن الأمريكيين وفي أثناء الأزمة، استطاعوا استئجار كرواتيا لدعم المسلمين والكروات ولتصل المساعدات العربية والإسلامية من كل مكان حتى تم فك الحصار عن سرايفو وبات الحل السلمي، والمرحلة الثانية، قامت أمريكا بإغلاق «المحل الكرواتي» في وجه كل العرب والمسلمين، وفي يوم وليلة طرد مئات العرب ومنع الآلاف من دخول كرواتيا ليعبروا إلى البوسنة، بل أغلقت مكاتب الهيئات الخيرية وأعلن عن قوائم الإرهابيين؟ وطولب المسلمون في البوسنة بطردهم أو تسليمهم لحكوماتهم لتقوم بعمل الواجب نحوهم، وحتى تقوم أمريكا بتسويق المشروع السياسي لاتفاقية دايتون بعيداً عن ضغط العمليات العسكرية للقوات البوسنية والتي قد بدأت تعيد تنظيم وترتيب أوراقها لخوض حرب تحريرية ضد الصرب، لكن الأمريكيين أجهزوا على الحلم البوسني في مهده.

والواضح أن أمريكا تريد السيطرة على البلقان، ولكن بطريقة التي جربتها في مواطن كثيرة، وقد نجحت فيها حتى الآن.

٣ - أوروبا العاجزة والقرار الأمريكي:

(القرار الأوروبي تجاه كوسوفا يعكس العجز الأوروبي في التعامل مع المشكلات في داخل أوروبا، ناهيك عن خارجها).

وأوروبا - رغم كم الحضارة والتقدم - لم تستطع وقف عمليات الاضطهاد البروتستانتية للكاتوليك في أيرلنده، ولم تفلح في إيجاد وسيلة تفاهم مع الانفصاليين في الباسك، ولم يسهف فرنسا مجدها لوضع نهاية للعنف في كورسيكا المستعمرة الفرنسية. ولم تحرك ساكناً في البوسنة، ولا تستطيع أن تفعل شيئاً في الشرق الأوسط، ولم تفلح بلجيكا وفرنسا في وقف الصراع في وسط أفريقيا لكن أمريكا فعلت، وأوروبا لم تفعل شيئاً في الشيشان.

والغريب أن أمريكا هي التي أقنعت الأيرلنديين والبريطانيين مع وصول توني بليز للحكم بالتفاوض مع الشين فين، وقد نجحت إلى حد ما.

وأمريكا هي التي قامت بتفصيل اتفاقية دايتون لتكون على مقاس الجميع، إلا المسلمين، ومع ذلك نجحت، ورغم الاتحاد الأوروبي بين بعض دولها، إلا أن أوروبا لم تخرج بقرار واحد في أي مشكلة سياسية واجهت الاتحاد.

والمشكلة في أزمة كوسوفا، أن المصالح الأوروبية في البلقان، متنوعة وغير متفق عليها، ومن ذلك:

١ - ألمانيا: هي مصالح اقتصادية وليست سياسية، فألمانيا ترغب في أن تلعب دوراً مكماً لدورها في كرواتيا وسلوفينيا ومقدونيا والبوسنة.

٢ - فرنسا: ترى أن البعد الثقافي وامتداده إلى أقصى البلقان، وخصوصاً في ألبانيا وكوسوفا، سيعطي زخماً للدور الفرنسي في العالم وتقوية ودعم منظمة الفرائكوفونية، وهي تسعى إلى البعد الديني الداعم للدور الإيطالي.

٣ - إيطاليا: وهي تتحرك عبر الكنيسة الكاثوليكية ومن خلال دعم مؤسسة الفاتيكان بحيث تحاصر الكنيسة الصربية وتمنعها من الانتشار غرباً، علاوة على الدور الاقتصادي المتمثل في مشكلة اللاجئين.

٤ - اليونان: وهي جزء من مثلث الرعب الأرثوذكسي مع صربيا وبلغاريا، وهي تنظر إلى البلقان على أنه بوابة قيادتها للمنطقة، ولذلك دعت إلى مؤتمر قمة للبلقان عقدت في جزيرة كريت في نوفمبر من العام الماضي. واليونان بجوار البعد الديني والسياسي، إلا أن لها أطماعاً لا تنفك عن ترديد المطالبة بها، وهي: حقها في جنوب ألبانيا.

٥ - روسيا: رغم أنها خارج منظومة الاتحاد الأوروبي، إلا أن لها مصالحها التجارية مع صربيا، ويحثها عن دور سياسي تواجه به أمريكا يدفعها إلى الوقوف إلى جوار صربيا و«تأجير» حق الفيتو لصربيا.

٦ - بريطانيا: صاحبة السجل الحافل في البلقان واتفاقية لندن ١٩١٢م، ولندن ١٩٩٠م، ومأساة البوسنة ودور مبعوثها اللورد كارنجتون ضد المسلمين، وقيادتها للاتحاد الأوروبي أثناء وقوع الأزمة، دفع بها إلى الساحة.

لذلك، فشلت أوروبا في الاتفاق على سياسة موحدة وقرارات واحدة، ضد صربيا. وبالتالي، عجزت عن الموافقة على هجوم عسكري على صربيا، لدفعها لقبول بشروطها للتفاوض مع ألبان كوسوفا.

ويبقى الدور التركي بعيداً عن أوروبا، ليمثل - إلى حد ما - نقطة الضوء إلى جوار الألبان في الإقليم، لكن الشواهد القديمة في الستينات من هذا القرن، واتفاقية تركيا مع يوغسلافيا على تهجير الكوسوفيين من أصل تركي إلى تركيا، ناهيك عن المشكلات الداخلية التي تجعل من الدور التركي دوراً رمزياً فقط لا غير.

ولم يقف الموقف الأوروبي عند حل الخلاف حول كيفية معالجة الأزمة، بل وصل إلى الاتفاق حول حصار الدعم المادي والمعنوي لجيش تحرير كوسوفا، فعقب الضجة الإعلامية الخبيثة التي نصبها الأمريكيون لجيش تحرير كوسوفا، ومحاولة إظهار تعاطفها معهم، وبعد أن أصرَّ جيش تحرير كوسوفا على الاستقلال، أعلنت أمريكا الحرب الخفية على ألبان كوسوفا، وحاربت ومنعت الدعم وحرَّضت على جيش التحرير.

وعلى كل، فالمشروع الأمريكي، في كل الأزمات ينظر إلى الهيمنة السياسية على الجميع، ومنها إلى إدارة العالم. والدور الأمريكي في كوسوفا يتمشئ في كثير من جوانبه مع طموحات أوروبا، وهي: كبت المسلمين، والخلص منهم، وعدم قيام دولة إسلامية مستقلة في أوروبا.

• الدعم الإسلامي لكوسوفا:

مذابح في دريتيسا، مارس ١٩٩٨ م.

مذابح في دو كاجين، مايو ١٩٩٨ م.

مذابح في راهوفيتش، يوليو ١٩٩٨ م.

مذابح في راتشاك، يناير ١٩٩٩ م.

ولا مجيب، ولا ردة فعل، ولا مؤتمرات مناصرة، أو مظاهرات احتجاج، ولا مطالب بطرد الصرب من بلاب العرب، ولكن على العكس. مشاركة صربية في دورات رياضية على أرض عربية وإسلامية، ومحطات عربية تفتح أبوابها للسفير الصربي للهجوم على المسلمين الصرب، ونداءات من الباب الخلفي لوقف العنف الصربي!!

حين شارك الإخوان المسلمون في الجهاد في فلسطين، عادوا لتستقبلهم السجون المصرية، هل كانت هذه هي بداية سياسة التعامل الحكومية العربية تجاه الدعم الشعبي للجهاد أو المقاومة ضد الغضب الذي ينتهك حرمة المسلمين في العالم... ربما!!!

ولا يختلف اثنان على أن خيبة الأمل قد أصابت الكثيرين في العالم العربي والإسلامي، بعد ما صارت إليه الأمور في أفغانستان، وبدا من كتابات المفكرين - وبعضهم من الإسلاميين - أن اندفاع العرب والمسلمين لمساعدة المسلمين الأفغان كان غير محسوب، وأن أمريكا قد نجحت في جر المسلمين إلى هناك من أجل مصالحها الإقليمية.

لكن هذا الدور الكبير، بما له من سلبات، يعدّ الأكبر من نوعه تجاه شعب

مسلم أعجمي، ويعطي دلالة كبيرة، على أن هذه الأمة قادرة على العطاء، وبلا حدود، وقادرة على الذود عن محارم الإسلام أينما وجدت.

ويكفي أن هذا الدعم فجر طاقات الشباب في العالم العربي والإسلامي عموماً «إذا استثنينا من ذلك استغلال الجهاد في أفغانستان من أجل الإرهاب».

ونفس الشيء ولو على مستوى أقل، قد حدث في البوسنة والهرسك، واستطاع المسلمون أن يحشدوا طاقاتهم ويستنفروا الشعوب رغم محاولات الحكومات تأميم ذلك، وبدا واضحاً عجزها؛ نظراً لارتباط البعض بمصالح تاريخية وسياسية مع يوغسلافيا «أيام جوزيف بروز تيتو».

لكن تعاطف المسلمين مع كوسوفا يبدو باهتاً ضعيفاً، لا ترى له لونا ولا تشم له رائحة، ولا تكاد تجد له طعماً. تقرأ كل يوم عن مذابح، ولكننا نطمئن أنفسنا أن المقاومة هناك وجيش التحرير يواجهه - وبشكل جيد - العدوان الصربي، ونكتفي بالقول: «ربنا معاهم». ونسئ أنهم يقاتلون غاصباً ينتهك الحرمات ويقتل النساء والأطفال والعجائز، وننسى أن الحرب رجال وعتاد وذخيرة ومؤن وخبز وملح.

نسمع عن مئات الألوف من المهجرين، وندعو الله لهم بالثبات، وننسى أن المهاجرين يحتاجون منا - إلى جانب الدعاء - إلى خيام وأغطية وملابس، وربما مدارس ومستشفيات... يحتاجون إلى حياة جديدة عليهم أن يعتادوها، ولكن أين هي تلك الحياة البائسة؟! حتى هذه أصبحت صعبة المئال... فلماذا تأخر المسلمون عن كوسوفا؟!

• لماذا تأخر المسلمون عن كوسوفا؟

لم يستطع أي باحث أن يحدد أسباب ذلك تحديداً دقيقاً، ولكنها بعض الخواطر والأفكار والملاحظات، قد تصيب في كثير منها:

- ١ - إشاعة مسميات الإرهاب والتطرف التي تبناها الاستعمار، وانجر إليها بعض الدول العربية والإسلامية، هذا فضلاً عما نال المجاهدين الذين رجعوا من أفغانستان من مطاردات ألجأتهم إلى أعمال زادت الطين بلة.

٢ - مطاردة الجماعات الإسلامية المعتدلة وحظر أنشطتها ومراقبة أفرادها، حتى وصل الأمر إلى اتهام النيات، وإلى خوف الأنظمة من بريق الأعمال البطولية والإغاثية التي تقوم بها هذه الجماعات في سبيل رد الهجمة عن المسلمين ورفع الحرج عن الأمة بأكملها.

٣ - كراهية الاستعمار وأتباعه لأعمال هذه الجماعات الإسلامية في مساندة المسلمين ودفعهم إلى الصمود، وخوفهم من أي انتصار إسلامي قد يرفع من الروح المعنوية لهم، فيحصل ما لا يكون في الحسبان من قيام كيان فاعل للمسلمين.

٤ - إخفاق المشاريع الجهادية بأسباب كثيرة، قد تكون خارجة عن الطاقة، مثل: مشروع أفغانستان والبوسنة.

٥ - ارتباط عدد من الدول بالغرب، ويوغسلافيا تحديداً.

٦ - الضعف الإسلامي العام، وفشل المسلمين - وهم مليارات - في مواجهة ٥ ملايين يهودي في فلسطين، وبروز كثير من الخيانات التي شككت المسلمين في أشياء كثيرة، وكثرة مشاكل المسلمين هنا وهناك في الصومال، في كشمير، في الفلبين، في البلاد الإسلامية مثل العراق، وليبيا، والسودان... إلخ.

• تركيبة جيش تحرير كوسوفا:

تقول المصادر القريبة من داخل جيش كوسوفا، أن تركيبة القيادة متنوعة، وأن التيار الغالب عليها هم شباب مسلم تعلّم جيداً الدرس من موقعة البوسنة. ويرى أن التمسك بالدين، سوف يكتسبهم من النصر، وأنه ما دام المرء سيموت حتماً برصاص الصرب (كما قال بعض الساسة)، فمن العار أن يموت جباناً، ولكن ذلك لا يعني أن الجميع بهذه الصورة، بل إن هناك التيار القومي الوطني، وهو تيار مخلص شارك بعض من عناصره في البوسنة، وهم يرون أن الغرب لن يسمح بأسلمة المشروع في كوسوفا. لذا، يجب التركيز على البعد القومي، وخصوصاً أن الكل مسلمون، على أن البعض من عناصر هذه المجموعة، ذوو ميول شيوعية قديمة وكانوا بالجيش

الصربي قبل عشر سنوات وهي المجموعة التي التقى (هولبروك) معها . . . والجيش له نظام قيادي موزع بين المناطق المختلفة، ولا تتم العمليات إلا بإذن من القيادة العليا، والتي عنت متحدثاً باسمها هو يعقوب كراسنيتشي وهو مدرس سابق، وقد صرح مؤخراً بأن الجيش لا يمثل الحركة المسلحة لأي حزب ولا أي حزب يمثل الجناح السياسي للجيش، وقال: إن هناك فرقاً بيننا في كوسوفا وبين جيش تحرير أيرلنده، نحن نسعى لتحرير الأرض لا للتفاوض حول التمثيل الدبلوماسي. ويضم جيش التحرير قرابة ٥٠ ألف جندي، كان من المحتمل زيادتهم إذا وافقت الأحزاب السياسية على أن الحل العسكري هو الطريق الوحيد.

• المقاومة والروح المعنوية للجيش الصربي:

منذ بداية الأزمة الأخيرة في مارس ١٩٩٨ م، زادت روح المقاومة لدى المواطن الألباني العادي وتمثل ذلك في عودة الرجال إلى الإقليم بعد قيامهم بتوصيل أسرهم إلى القرى الحدودية الألبانية، ورغم التعزيزات اليومية التي يدفع بها الصرب إلى داخل الإقليم، وخصوصاً المناطق التي بها مقاومة مثل درينيتسا وميتروفيس وبيبا وبودوفا وقد شهد شهود عيان أرتالاً من المصفحات وحاملات الجنود والباصات، ناهيك عن النقل عبر السكك الحديدية، ورغم القصف الذي يصل إلى خمسمائة قذيفة في اليوم الواحد كما حدث في منطقة دتشان في غرب كوسوفا، ورغم أن الآلة العسكرية قد وصلت إلى عشرة مناطق ألبانية في الإقليم ودمرت أكثر من ١٦٥ قرية. إلا أن المقاومة تشدد وتزداد ويزداد القتلى من الجنود والضباط الصرب بخلاف الأسرى، وما يذكر أن أعداداً غير قليلة من الجنود والضباط الصرب قد وقعوا في أسر الجيش الكوسوف، بل وصل اليأس بالجنود الصرب إلى تسليم أنفسهم إلى قوات حرس الحدود الألبانية، وفرار البعض من الخدمة، ورفضهم الامتثال للأوامر بالذهاب إلى كوسوفا، ناهيك عن مظاهرات الأمهات والآباء في بلجراد احتجاجاً على الزج بأبنائهم إلى ساحة الموت في كوسوفا، وطالبت الأمهات الرئيس ميلوسوفيتش بإرسال ابنه للقتال في كوسوفا، وقالوا: لماذا يقاتل أبنائنا من أجل

حفنة من الساسة . وقد طالب برلمان الجبل الأسود رسمياً سحب القوات المشاركة في الجيش الاتحادي اليوغسلافي وطالب بعدم الزج بأبناء الجبل الأسود في هذه الحرب .

وقد نتج عن ذلك ، انحباب بعض قوات البوليس الصربي (قبل اتفاق هولبروك - ميلوسوفيتش في أكتوبر ١٩٩٨ م) من بعض المناطق ومنها (كلين) والتي أعمل فيها الصرب السلب والنهب قبل الهروب وقاموا بحرق البيوت والمخافر بعد اندحارهم .

• أمريكا وجيش التحرير:

أظهرت أمريكا دعماً اسماً ووهماً لجيش تحرير كوسوفا حتى تلعب بهذا الدعم الظاهري على جهات عدة :

١ - الجهة الصربية ، التي أرادت أمريكا أن تبلغها رسالة ، مفادها : أننا نستطيع أن نفعل الكثير بمساندتنا لهذا الجيش .

٢ - رسالة إلى أوروبا ، مفادها : أن أمريكا تستطيع أن تلعب بالأمن الأوروبي وتشعل حرباً في البلقان في أي لحظة .

٣ - رسالة إلى العالم العربي والإسلامي ، مفادها : أن أمريكا تقف وراء جيش تحرير كوسوفا ، وتقدم له يد العون ، باعتباره عميلاً للأمريكان وخصوصاً بعدما ظهر كل شيء ، وبذلك تم إعدام أي رائحة يشتمّ منها مساعدة الكوسوفيين على تحقيق حلمه في الاستقلال من العرب ؛ لأنّ العرب بما يحملون من كراهية لأمريكا سيتخلون - بالطبع - عن مناصرة الشعب الكوسوفي وجيشه ؛ لأنّه عميل !

وتمشياً مع هذا المخطط الأمريكي ، تجمّدت التصريحات الأمريكية المضادة لجيش التحرير في أول الأمر ، إلى أن فعلت الرسائل فعلها ، وبعد أن ابتلع كذلك التحرير الطعم بوهم المساعدة الأمريكية ، وبعد أن كشف لهم الجيش كل أسرارهم ، تنكرت أمريكا لهذا الجيش ، ووصفته بالإرهاب ونشأ عن ذلك إخراج جيش تحرير كوسوفا من المعادلة في الإقليم ، وهذا شيءٌ ترغب فيه أوروبا وأمريكا على السواء ؛

ليكون الحل هو إحلال كوسوفا بحجة الدفاع عنها وإضعاف دكتاتور صربيا ميلوسوفيتش وتقليل أظفاره، وعدم تحقيق حلمه في صربيا الكبرى.

• دخول الناتو الحرب ضد الصرب؛

صرحت وزيرة خارجية أمريكا السيدة أولبرايت لـ CNN أن المحاور الثلاثة للتعامل مع الأزمة، هي بالترتيب:

١ - محور المساعدات الإنسانية؛ لإنقاذ ثلاثة أرباع مليون لاجئ يعانون خطر الفناء، خصوصاً مع اقتراب الشتاء.

٢ - المحور الدبلوماسي.

٣ - محور الحل العسكري.

ولما سُئِلَتْ: لماذا تأخَّر الحل العسكري للمرتبة الأخيرة؟

قالت: «إننا نجحنا في ذلك في البوسنة».

وقال الجنرال (George Joulwan) قائد قوات التحالف الأطلسية سابقاً (الضربة الجوية لن تحقق شيئاً، الأمر يحتاج إلى تدخل أرضي، فمن الذي سيشارك بقواته؟».

وتأكيداً لذلك، صرَّح الخبير البريطاني (William Hopkins) أن الضربة الجوية قد لا تكفي لإرضاخ صربيا وميلوسوفيتش للمطالب الأوروبية، وفي هذه الحالة فما الخطوة التالية من قبل الحلف؟

وفجأة، وبعد صدور القرارات السابقة، اكتشف الجهابذة أن حلف الناتو لا يستطيع ضرب صربيا بدون مبرر قوي؛ لأنَّ الغرب لا يعترف بكوسوفا كدولة مستقلة، وبالتالي لا بد من بحث عن سبب للضربة الجوية ويبدو أن موضوع المذابح التي اكتشفت فقط هذه الأيام يمكن أن يكون هو السبب!!!

لكن روسيا والصين ليمتا مقتنعتين بهذه الحجة، وحتى يفلح الغرب في إقناعها، على المسلمين في كوسوفا انتظار الدور في طابور الذبح!!!

وتساءل العديد من المراقبين عن حقيقة المطالب الدولية، فليس هناك نص في قرارات الأمم المتحدة ولا المجموعة الأوروبية ولا مجموعة الاتصال يفرض شيئاً على صربيا سوى (وقف إطلاق النار).

فجأة، وبعد ستة أشهر أو يزيد على المذابح، اكتشف العالم أن مئات من الألبان قد ذبحوا ذبح الشياه في كوسوفا. وإذا كان الغرب مازال غارقاً في تفاصيل الضربة العسكرية، ومن سيشارك بقواته، وما تصوره للحل بعد الضربة.

وحين قامت الحرب في البوسنة لحرمان المسلمين من حق إقامة دولتهم، (انتفض) الغرب واحمرّت وجوه الساسة، وتوعدوا ميلوسوفيتش بأقصى العقوبة وأعلنت الطوارئ في صفوف الناتو كان ذلك في عام ١٩٩٢م وبالفعل نفذ الناتو تهديداته ولكن في عام ١٩٩٥م!!! فالناتو يحتاج دائماً إلى وقت، ثم أطلق ضرباته الجوية على بعض المصفحات القديمة والبيوت الخربة وكفى الله الأوروبيين القتال!!!

تعالت هذه الأيام أصوات المطالبين بتدخل لحلف الناتو ضد صربيا، وزادت هذه المطالبة مؤخراً بزيادة الهجوم الوحشي للصرّب على إقليم كوسوفا وأنباء عن مذابح جماعية وتهجير داخلي وخارجي وصل إلى ربع مليون نسمة، كما تأتي هذه المطالب بعد أن تأكد للغرب أن الألبان في المهجر مستعدون لتمويل جيش تحرير كوسوفا بالأموال اللازمة لاستمرار المقاومة وحتى يتحقق الحلم الألباني بالاستقلال.

صحيح إن الولايات المتحدة الأمريكية هي أول من استخدم لغة التهديد بالضربة الجوية على صربيا إذا ما اعتدت على كوسوفا، وذلك إبان الحرب في البوسنة، وساعتها أعلن بوش (لو التفتت صربيا إلى كوسوفا فلن تسكت أمريكا).

وبعد، فقد عرف - بما لا يدع مجالاً للشك - أن ضرب الناتو لم يدخل الحرب إلّا بعد أن ظهرت فاعليات جيش تحرير كوسوفا، فكان لا بد من الدخول لضرب هذا الجيش وتحرير البلاد منه بحجة حماية أهل كوسوفا من الصرب بعد تلك المذابح التي

طال أمدها، وهذا هو نفس المخطط الذي استعمل في البوسنة والهرسك عندما اشتدّ عود جيّشها المقاوم، أجبرت على الرضا ببعض الحقوق تحت مظلة أمريكا والناٲو.

وبعد هذا العرض، نستطيع أن نقول:

إنّ المقاومة الإسلامية، لم تستطع في جهادها مع المتعمر، أن تتمتع بنصر كامل يرد الحقوق، وكان في استطاعتها ذلك، ولكن سذاجتها وسماعها للأعداء، وعدم وعي الأنظمة العربية والإسلامية، جعلها تخسر الكثير والكثير في قضايا مختلفة، ولم يكسر هذه القاعدة، إلّا حزب الله في جنوب لبنان.

فهل سيكون هذا درساً يتعلم منه المسلمون، خصوصاً أن قضاياهم مازالت رغم ذلك بدون حلول قاطعة أو انتصارات تمنع استباحتهم مرة أخرى، وما زال الباب مفتوحاً والاحتمالات كلها قائمة.

المبحث الخامس أفغانستان

• الموقع الجغرافي:

أحد أقطار آسيا الداخلية، وتقع بين الاتحاد السوفيتي ووسط آسيا من ناحية، وشبه القارة الهندية من ناحية أخرى. تجاورها باكستان شرقاً، وإيران والاتحاد السوفيتي شمالاً، وفي الشمال الشرقي توجد منطقة صغيرة تجاور الصين الشعبية. المساحة ٦٥٣,٢٢٥ كم^٢، عدد السكان سنة ١٩٩٠م: ١٥,٥٩٢,٠٠٠ نسمة، وفي تعداد ٢٠٠٧م قارب على الـ (٣٢) مليون نسمة، الدخل القومي ٣,١ مليار دولار.

وأفغانستان دولة إسلامية، دخلت ساحة الإسلام في عهد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان رضي الله عنه وكانت الديانة الرائجة فيها قبل الإسلام الزرداتشية، والأفغانيون باعترافهم الإسلام، صاروا مضرب الأمثال بالتمسك بالإسلام والمساهمات الفعالة في الفتوحات الإسلامية. من أهمها: فتح البلاد الهندية بيد القائد الأفغاني محمود الغزنوي (غزنة محافظة من محافظات أفغانستان)، فإن هذا الفاتح كان يقوم بالفتوحات على رأس مئات من العلماء الأعلام من العرب والعجم وآلاف من المجاهدين لإعلاء كلمة الله.

ومن خصوصيات الأفغانين: إنهم يكرهون الاستعمار بأشكاله المتنوعة، فلم يستطع الإنجليز أن يسخر هذا الشعب فانهمزمت قوة الإنجليز الأسطورية العسكرية أمام المجاهدين في أوائل هذا القرن هزيمة نكراء.

أعلنت جمهورية أفغانستان في ٢٧ أبريل (نيسان) عام ١٩٧٨م في أعقاب الانقلاب العسكري الذي أطاح بحكومة الجنرال محمد داود، وهو رئيس وزراء سابق في العهد الملكي، كان قد خلع الملك محمد ظاهر شاه، وأقام حكومة عسكرية في عام ١٩٧٣م، لقيت تأييداً من جانب قسم من الحركة الشيوعية الأفغانية التي

عرفت في ذلك الوقت بجناح الراية أو برشام، في حين لقيت معارضة من جانب قسم آخر منها معروف باسم: «جناح خلق»، أو «الماهير»، وقد تعرّضت بعض عناصر هذا القسم الأخير للاضطهاد أثناء حكم داود، مما كان دافعاً لمؤيديه في القوات المسلحة إلى القيام بانقلاب عسكري في أبريل (نيسان) عام ١٩٧٨م تزعمه كل من نور محمد طرقي وحافظ الله أمين... إلى ببراك كرم.

وحينما استولى الشيوعيون على الأراضي الإسلامية في بلاد ما وراء النهر (بخارى وسمرقند وطاجيكستان وغيرها من البلاد الإسلامية) بالتخطيط الانقلابي الشيوعي بعد انقلاب أكتوبر ١٩١٧م- خططوا للقضاء على أفغانستان تخطيطاً دقيقاً بعيداً عن الاستعجال الذي صدر منهم في الاستيلاء على دول ما وراء النهر.

ونظراً لوقوع أفغانستان في جنوب الاتحاد السوفيتي (المنهار)، بعد الاستيلاء على دول ما وراء النهر، وكانت الحدود تصل إلى أكثر من ألف كيلو متر، فتغير التخطيط الذي كان الشيوعيون يأخذون به في تحخير ما وراء النهر، إلى التسلسل الفكري ونشر الأفكار الشيوعية بواسطة بعض الشباب الذين أخذوا دراساتهم في الاتحاد السوفيتي.

وهذا التخطيط الدقيق، نشأ عن دراسة طبيعة الأفغانين الأبية بشدة للاستعمار والبعوضة للفكرة الإلحادية وأن الاستيلاء على هذه الدولة لا يمكن عن طريق القوة، فليكن عن طريق التدبير المغاير تماماً، وليس كما يتم الاستيلاء على الدول الأخرى.

وكان الاستيلاء على أفغانستان يهدف إلى إيقاع هذه الدولة في ساحة الاتحاد السوفيتي من ناحية، وإلى الوصول إلى المياه الدافئة، وبالتالي الاستيلاء على باكستان ودول الخليج من ناحية أخرى. حسب الترتيب الزمني المحدود، والذي اعترف به الشيوعيون بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

علماً بأن أفغانستان تحدها الحدود الأربعة، كما أشرنا:

شمالاً الاتحاد السوفيتي (قبل انهيارها)، جنوباً باكستان وبعض القبائل المتتمة - إلى قومية بشتون، وغرباً إيران، وفي الشمال الشرقي الصين. وهذا الموقع الجغرافي كان من أهم العوامل للتخطيط الشيوعي حتى يصل إلى مجاورة هذه

الدول التي تقع في الحدود الأربعة لأفغانستان، وعن طريق هذه المجاورة يواصل تخطيطه في المنطقة.

استمر هذا التخطيط لعشرات السنين، واستطاع الشيوعيون أن يجذبوا عدداً من الشباب المنحرفين بطرق مختلفة، من:

الفساد الأخلاقي - نشر المنشورات الشيوعية - وغيرها من الوسائل، فبدؤوا بتأسيس الأحزاب الشيوعية التي وصل أمرها إلى الانقلاب الشيوعي عام ١٩٧٨م، فقتل عدد كبير من العلماء الأعلام ورجال الدين والشخصيات السياسية، ونصبوا شيوعياً على رأس الدولة اسمه: «نور محمد طرقي»، وكان يرأس جناح «خلق» في الحزب الشيوعي ومعه «ببرك كارمل» رئيس الجناح الآخر (برجم) وجمعوا مئات من المتمين إلى الأحزاب الشيوعية في هذه الدولة الأفغانية الحديثة التي كان الشيوعيون ينتظرونها منذ عشرات السنين.

وعندما لمس الشيوعيون أنهم اكتسبوا شيئاً من النجاح يمكنهم من مواصلة نشاطهم للقضاء على القيم الإسلامية من خلال الجرائد والصحف والشعارات والمحاضرات والمظاهرات في الكليات والمدارس.

أخذ الشعب عامة (باستثناء العدد المحدود الآخذ بالفكرة الشيوعية) طريقاً سليماً ضد هذا النظام الذي يعلن العداء للإسلام، ومن حسن الحظ كان هناك الشباب الواعون بالإسلام الذين أوجد الإيمان في قلوبهم ديناميكية المقاومة ومواجهة أعداء الإسلام، وكانوا أبناء الفكرة الإسلامية الصحيحة والمتمين إلى تجمعات إسلامية التي أخذت دورها منذ سنوات للحذر من نشر الإلحاد في أفغانستان. وعندما أدرك الشيوعيون أن الشعب المسلم - بحبه لمبادئه الإسلامية - لا يمكن تغيير مساره، ومسيرها لا سيما حينما التفوا حول التجمعات الإسلامية، فبدأت الدولة الشيوعية بالشدة والقتل الجماعي والدمار. فدمر أكثر من خمسين في المائة من المنازل والأراضي الزراعية ومنابع الماء، ثم أدخل ما يزيد على مائة ألف من الجيش الأحمر وقتل (حفيظ الله أمين) الذي قتل بدوره (تره كي) ونصب نفسه رئيساً للدولة.

عَوْضَ (أمين) بشيوعي آخر، الذي جاء مع الجيش وهو (بيرك كارمل) الذي أبعـد قبل مدة سفيراً في إحدى الدول الشيوعية . وهذا الثاني ، وعد بأنه يأتي بالأمن والأمان في البلاد ويقضي على الفوضى - بزعمه - وهذا أيضاً لم يتطع أن يفعل شيئاً؛ لأنَّ الشعب كان يعرفه منذ عشرات السنين بأعماله العدائية للإسلام والمسلمين .

عند ذلك أدرك الاتحاد السوفيتي أن كل ما خطه للقضاء على هذه الدولة ، وأن ما وعده به الشيوعيون - تره كي وبرك وأمين - من تنفيذ التخطيط الشيوعي على شعب أفغانستان ، لم يكن سليماً ، وأنهم بعيدون عن الشعب واتجاهاته . فبدل بيرك بشيوعي آخر اسمه نجيب الله ، وكان يطمع فيه لانتمائه إلى قومية من قوميات بشتون باسم (أحمد زائي) ، وله شيء من الاعتبار لدى قومه ، فبقي «نجيب» في الحكم إلى أن انهارت الدولة السوفيتية .

وبعد هذا الانهيار ، أظهر استعدادة للتفاوض مع زعماء المجاهدين الذين كانوا يعيشون في باكستان ولهم أنشطتهم الجهادية والسياسية ولهم دولتهم في المنفى مع اختلافهم العميق في الاتجاهات السياسية ، الاختلاف الذي تسبب في قتل مئات من أفراد الشعب ، ومع كل هذه الاتجاهات المختلفة ، لم يكن الشعب آخذاً جانب اليأس تجاههم على أساس حُسن الظنّ ، وأنَّ وصولهم إلى الحكم يحل كل المشاكل وبعد ما وقّع الاتفاق بينهم وبين الدولة الشيوعية برئاسة (نجيب) وتخلّى هذا الآخر عن الحكم (مرغماً) حول الحكم إلى (مجددي) ، حسب القرار الذي اتُّخذ في باكستان بأن يكون الحكم بينه وبين الآخرين بالتناوب .

تم دور مجددي في أربعة أشهر ، وحُوّلَ الحكم إلى (برهان الدين رباني) ، وبعد مدة طلب منه خصمه (حكمتيار) أن يتخلّى على الحكم حسب الاتفاقية الموقّعة ، لم يقبل هذا الطلب وكوّن مجلساً باسم : (مجلس الحل والعقد) ، وأخذ القرار ببقائه في الحكم إلى أن يحصل الاستقرار النسبي في البلد ، ثم تُجرى الانتخابات ولم يكن هذا مقبولاً لدى (حكمتيار) الذي كان رئيساً للوزراء في دولة (رباني) ، فخرج من العاصمة (كابل) إلى منطقة (جار أسياب) الواقعة في جنوب (كابل) العاصمة

بمسافة تقرب إلى عشرين كيلو متر، وبدأ الهجوم على كابول وكان المبرر لهجماته المتكررة وتخريبه جزء من العاصمة: أنه يريد إجبار رباني لترك الحكم.

وهذا الأخير تمسك بقرار مجلس (الحل والعقد)، ولم يترك الحكم في هذه الحالة الفوضوية التي جعل الشعب متحيراً وفي يأس كامل، فتسببت هذه الحالة المؤسفة في هجرة كثير من الأسر إلى الدول المجاورة من جديد بعد الهجرة الأولى في عهد الشيوعيين.

وفي هذه الحالة، جمع عدد من الطلاب الذين كانوا يدرسون بباكستان، ومعهم زملاؤهم من الطلاب الباكستانيين وطلبوا من الشعب الأفغاني المساعدة في القضاء على هذه الحالة الفوضوية، وعلى حكم بعض رجال الجهاد الذين نصبوا أنفسهم حكاماً في مناطقهم، ويقال:

إن هذه الفكرة كانت بمساعدة الحكومة الباكستانية التي ضاقت زرعاً من هذه الحالة لتخرج الوضع من الوضع المؤسف من ناحية، وللوصول إلى طريق تجاري مع دول تركمانستان وبقية دول ما وراء النهر من ناحية أخرى. وهناك طموحات أخرى لدولة باكستان.

ومهما كانت العوامل، فإن طالبان (كلمة بشتو، جمع طالب، والألف والنون علامة الجمع في لغة بشتو) استطاعوا كسب رضا الشعب، وأتوا بالأمن والقضاء على الفوضى، وبسرعة عجيبة استولوا على عدة ولايات (محافظات) غربية، ثم توجهوا إلى الولايات المجاورة لكابول العاصمة، ومعهم تأييد أغلبية الشعب. فاستولوا على الولايات الشرقية من غير أي مقاومة، ثم دخلوا كابول العاصمة وخرج منها كل من (رباني ومسعود وسيف) إلى الشمال، وواصل الطالبان حثرتهم إلى الشمال، فحصل التصادم بينهم وبين رجال (مسعود) و(دوستم)، ومع هذا قضوا على المقاومة واستولوا على ولايات: (بروان وكايسا وبغلان)، وحينما توجهوا إلى الاستيلاء على محافظة باميان (منطقة أهل التشيع) قوبلوا بالمقاومة الشديدة، ثم رجعوا إلى الورا.

وانهزموا من بروان بعد الاستيلاء عليها نتيجة المقاومة الشديدة من قوات (مسعود)، ووصلت هذه القوات إلى قريب كابول ولم تدخل كابول، إما لعدم قدرتها. كما يقول الطالبان - أو للاحتراز عن قتل الأبرياء كما يقول (أحمد شاه مسعود). ومن ناحية أخرى استولى الطالبان عن طريق الغرب على عدة محافظات في الشمال إلى أن وصلوا إلى مزار شريف مركز (دوستم) وهرب هذا الأخير إلى تركيا ولم يبق هذا الاستيلاء على مزار شريف إلا لعدة أيام، ثم قُبل الطالبان بالمقابلة الشديدة من مقومة جنبش لا سيما حزب الوحدة (الحزب الشيوعي القومي في هذه البلدة)، وأجبروا على الخروج من مزار شريف ولكن استولوا على عدد من محافظات أخرى في الشمال.

وبعد مدة، كانت الحروب الأهلية هنا وهناك، استطاع الطالبان الدخول مرة ثانية إلى مزار شريف وبكل قوة واستولوا على محافظات أخرى في الشمال وإلى: محافظة شبرغان، محافظة سربل، محافظة ميمنة، ومحافظة سمنكان، ومحافظة بغلان، ومحافظة كنذر، وأيضاً محافظة باميان - أقوى معقل الشيعة في الشمال - ولم يبق بيد مسعود (أحمد شاه مسعود) إلا محافظة بدخشان ومحافظة تخار وجمالينجشير ومحافظة بروان ومحافظة كابيسا، وعند ذلك حصل شيء من الهدوء في الحروب بحيث أُقيمت الحدود الوهمية في الشمال قرب كابول بين طالبان ومسعود في منطقة كوهدان بحيث كانت المسافة بين هذا الخط الوهمي وبين كابول ٣٠ كيلو متراً بحيث صار الشمال من هذا الخط بما فيه مطار بگرام (المطار الحربي المعروف) بيد مسعود، والجنوب إلى كابول والمحافظات الغربية والمحافظات الشرقية بيد طالبان، وبقي الوضع إلى يومنا هذا إلى أن دخلت قوات الاحتلال الأخير في أفغانستان.

وأخيراً، حصل التوافق بين حركة طالبان وأحمد شاه مسعود للجلوس في المفاوضات، وذلك حسب التوافق بين مندوبي الطرفين بمدينة عشق آباد عاصمة تركمانستان ولكن لم تظهر النتيجة إلى يومنا هذا مع اهتمام الأمم المتحدة بهذا التفاوض وبوجود مندوبها في الاجتماعات التفاوضية إلى أن انفضت الاجتماعات وبقيت الاختلافات والعداوات.

• طريق العمل النهائي للمشكلة الأفغانية:

إن قضية أفغانستان التي حيرت العالم، لا سيما الدول الإسلامية، بحيث إن إراقة الدماء في الحروب الأهلية وصلت إلى أوجها، تحتاج إلى الدراسة العميقة وإلى الاهتمام الكامل بالموضوع إسلامياً واجتماعياً. وأنا أرى أن الحل يمكن بالطرق الآتية:

١ - الاهتمام الكامل من منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي، بالاتفاق مع السكرتير العام للأمم المتحدة بالضغط على أطراف النزاع لقبول المصالحة الوطنية مع التعهد الكامل لمراعاة بنود المفاوضة.

٢ - إجراء الانتخابات الحرة تحت الرعاية المباشرة لمندوبي المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي والأمم المتحدة، بحيث لا يكون لأي تدخل من أطراف النزاع مجالاً لتحريف الاتجاه الشعبي ويكون هذا الانتخاب الحر في المحافظات كلها في وقت واحد.

٣ - بعد إجراء الانتخابات وتشكيل البرلمان، لا تعتبر وظيفة المراقبين الدوليين منتهية بل باقية إلى أن يتم تعيين رئيس الجمهورية ويساهم المراقبون في إعادة المهاجرين إلى أفغانستان من باكستان وإيران والدول الغربية؛ إذ إن أكثر المتخصصين والدكاترة هاجروا إلى الدول الغربية، وبذلك يكون لأفغانستان قوامها الذاتي في بناء المستقبل من ناحية جذب الشخصيات الهاربة الذين أجبرتهم الظروف على ترك الديار.

ومن ناحية البناء المادي والهيكل العمراني، فإن أفغانستان تحتاج إلى عدة سنوات لبناء ما خرب منها من الأنهار والآبار والأراضي الزراعية. وهذا يتطلب المساعدات الدولية، ولكن الميزة في أفغانستان للبناء من جديد تلخص في أمرين:

الأول: أن أفغانستان، من الدول التي ليست عليها الديون، حتى تكون مستغرة فيها ولا تستطيع أن تتحرك تحت هذه الأعباء.

الثاني: أن قوة الإرادة الشعبية تفوق كثيراً عما يتصوره الناس؛ إذ تقدر بأقل

فرصة أن يبنى الوطن من جديد بناءً متكاملًا. ومن الأدلة على هذه القوة: أن عشرين عاماً من الحروب لم يجعل الشعب عاطلاً عن العمل؛ أي أن الشعب عمل في الزراعة ليعيش بها. وبذلك ليست بحاجة إلى المساعدات الغذائية من الخارج إلاّ بقدر واحد في المئة أو أقل.

وبهذه الميزات، نتمنى أن يكون الأمر متاحاً للبناء الجديد، وأن يكون الشعب أخذاً براحته في الحياة الشعبية والدولية.

• ومن الواجب أن يُذكر ما يلي:

١ - من شروط الاستقرار السياسي في المستقبل، عدم تدخل الدول المجاورة في القضايا الأفغانية، لا سيما باكستان التي لها مصالح وقضايا عالقة مع أفغانستان في التقسيم الحدودي الذي تمت مدته وتخاف باكستان من إثارة ما يُقال من أن الأفغانيين يريدون الدعوى في التقسيم السابق الذي قرره الإنجليز ويدعون بأن لهم الأدلة في ذلك.

٢ - أن تكون هناك مراقبة إسلامية شديدة، بحيث لا يطغى التحلل الإلحادي على الاستقرار وأن تكون أفغانستان بعيدة عن المناقشات الحادة المذهبية والفكرية.

٣ - إن المسلمين كما كانوا يتوقعون من أفغانستان وأهلها، أن تحتفظ بسمعتها التاريخية وباسمها المسجل لدى بعض المؤرخين بأنها أرض الفلسفة والفكر لا يزالون في توقعاتهم رغم كل ما سمع وسمع من هذا الشعب من الدخول في الحروب الأهلية والمنافسات البعيدة عن روح الإسلام، ويأملون كل الأمل أن يغلب العقل في هذه الأرض التاريخية على التعصب والتعاطف والتحيز البعيد عن وصايا الإسلام والمبني على التعصبات القومية والقبلية التي لا تثمر إلا الشر ولا تأتي إلا بالتفريق والشعب.

إن الأخذ بروح الإسلام، واجب المسلمين في مشارق الأرق ومغاربها؛ ليكون حاضر العالم الإسلامي، موافقاً لما يأمر به القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.

• معالم حكم أفغانستان اليوم:

ما زالت أفغانستان إلى اليوم، لا تستطيع التوازن في الحكم أو في اتجاهها الإسلامي، وهذا ما حير الكثيرين، خصوصاً وأن هناك بعض الأخبار والأفعال تنسب إليها، بالذات في عهد طالبان، التي استولت على الحكم في فترة من الزمن، والأمثلة كثيرة، منها:

«طالبان تفتش عن اللحن، وتمر السيارات الحكومية لتبحث عن غير الملتحين، طالبان تبدأ حملة مكثفة ضد أصحاب اللحن القصيرة، طالبان تحطم محطة التلفاز الأفغانية، طالبان تمنح الأفغان أسبوعاً للتخلص من التلفزيونات، طالبان تهاجم المحلات وتدمر أجهزة الفيديو والتلفاز، طالبان تغلق مدارس النساء، وتمنع تعلمهن، طالبان تحرق الصور، طالبان لا تسمح بالتعددية الحزبية، طالبان أكبر منتج المخدرات في العالم».

هذه الأخبار وغيرها، لا تصلح أن تكون منهج حكومة، ولا أساليب إصلاح، وهذا قد يكرس في المستقبل صراعاً لا بد منه بين هذا الانغلاق وبين الفكر الصحيح الذي لا يعارض الإسلام.

بل قد يتسبب في كراهية الإسلام نفسه، ويأخذ البلاد بعيداً عن منهج الإسلام الصحيح، وقد يرمي بالشعب الأفغاني الكاره لهذا الشطط، في أحضان مذاهب أو سياسات أخرى.

وأقل ما تفعله هذه السياسات أن تظل البلاد تحت خط الفقر والتخلف المهيمن، وتجعلها عرضة للغزو أو استيلاء الأعداء عليها، ولئن فشل السوفييت، فقد ينجح

هَذَا، وقد حاول بعض الغيورين من زعماء الأفغان تجميل الوجه الأفغاني وتذكير المسلمين بما حققوه من قبل، عسى أن يصفحوا ويغفروا شيئاً من الزلات والأخطاء. فصدر عن الأستاذ عبد رب الرسول سياف، ما يلي:

أفغانستان

(بيان من الأستاذ عبد رب الرسول سياف)

أيها الإخوة المسلمون:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

لا يخفى عليكم أن المسلمين في الآونة الأخيرة بدؤوا يلومون إخوانهم المجاهدين إثر تلك الأحداث الأليمة التي تقع على الساحة الأفغانية؛ مستدلين بأن هؤلاء المجاهدين قد شوَّهوا سمعة الإسلام وخيَّبوا آمال الأمة الإسلامية، وجعلوا ثمرة جهادهم وشهادتهم -الذين بلغوا قرابة مليوني شهيد- وطموحاتهم في قيام خلافة راشدة وتحرير البشرية من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، جعلوها تذهب هباءً منثوراً، والمتقدون على صواب شيئاً ما، في هذا الموقف؛ لأنَّ تنازع بعض الأفراد للوصول إلى السلطة والحكم امتثالاً لهواهم وغرورهم واستجابة لضعب أنفسهم وعدم تزود المجاهدين بقدر كاف من التجربة في الحكم وزمام أمور الرعية، كل هذا يعد من عوامل الأحداث المؤلمة التي مرَّت بها أفغانستان. ولكن بجانب هذا ينبغي للمسلمين أن يدركوا الحقيقة، وهي أن ٧٠٪ من عوامل وأسباب هذه المحن والمشاكل، تشكله مؤامرات أعداء الإسلام المتحالفين على عدم قيام نظام إسلامي أصيل بأيدي المجاهدين، وعزمهم القاطع على ذلك منذ اليوم الذي أدركوا فيه أن الروس على وشك الانهيار والهزيمة، والمجاهدين على أعتاب النصر والفتح.

منذ ذلك اليوم، وأعداء الإسلام يسدون أمام المجاهدين طريق الوصول إلى الحكم ويبحثون عن بديل لا صلة له بالإسلام لإدارة أفغانستان في حالة تحقق هزيمة الروس وعملائهم هنالك، ولكنهم فشلوا في جميع محاولاتهم ومساعدتهم.

ومن هذه المحاولات: أن الأمم المتحدة قد أصدرت قراراً باتفاق الآراء أن يحل

محل النظام الشيوعي في أفغانستان نظام يشكله أناس محايدون من الطراز الذي يعجب الغرب، وأقنعت بذلك عدة منظمات جهادية لا يستهان بها. ولكن بفضل الله وبفضل صمود وثبات بعض المجاهدين الواعين، فشلت جميع مخططات الأمم المتحدة ومؤامرات الغرب، ودخل المجاهدون كابول مصطحين معهم بعض الأخطاء والنواقص وأعلنوا حكومتهم الإسلامية، ولما فشلت مخططات الأعداء هذه... استفادوا من عوامل الضعف الداخلي في الشعب الأفغاني، فأشعلوا نار الحروب الداخلية وصبوا الزيت عليها حتى ينتهي مصير القوات الجهادية نتيجة هذه الحروب إلى الزوال والتجزئة والتحلل، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، تمتنت فرصة الطعن والحرب الإعلامية والدعاية المغرضة ضد المجاهدين، وبذلك تمكّنوا من خلال وسائل الإعلام العالمية المعادية، من تشويه سمعة الجهاد والمجاهدين في أذهان الشباب وأبناء الأمة الإسلامية، وبهذه الطريقة وصل الأمر إلى إثارة أحاسيس بعض أبناء الجهاد ضد المجاهدين وقادتهم الميدانيين وتمكّنوا من استخدامهم لا شعورياً ضد أهداف ومقاصد الجهاد المبارك.

وأخطر من ذلك، أن هذه الدعاية المغرضة والحرب الإعلامية، قد أثرت سلبياً على أحباب الجهاد ومخلصي شباب الأمة الذين يعدون دعامة قوية وأساسية للجهاد بعد نصر الله عز وجل، فلم يكتف هؤلاء الأحباب باللوم والشكوى، بل قاطعوا كلياً إخوانهم المجاهدين الذين مازال فيهم الخير الكثير إن شاء الله.

وهذه المقاطعة بحد ذاتها، هي الأخرى مصيبة عظيمة نزلت على الشعب الأفغاني المجاهد خاصة، وعلى الفكر الجهادي عامة، وما كان ينبغي للمسلمين أن يتركوا إخوانهم المجاهدين وحدهم وسط الظروف الراهنة؛ لأن ما يجابهه المجاهدون اليوم من اجتماع كيد أعداء الإسلام في الداخل والخارج ومن أعداء النظام الإسلامي، أشد من مواجهة الروس في السابق.

هذه الحروب الدائرة اليوم، لا نتوقع أن يحميها إخواننا المسلمون، حرباً أهلية داخلية؛ إذ إن الحروب الداخلية لا تدوم هذه المدة من الزمن إلا بدعم خارجي من

أعداء الإسلام والوطن، نحن في حقيقة الأمر، نجابه ونواجه هؤلاء الأعداء الذين تمكّنوا من استخدام أبنائنا بني جلدتنا ضدنا!

ما زال في المجاهدين كثير من الثابتين على الخط، فلا ينبغي لأحباب الجهاد أن يُعْرَضُوا عن إخوانهم ويلوموا الجميع نتيجة زلات وأخطاء بعض الأشخاص الذين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد.

لو افترضنا أن المجاهدين غير قادرين على إنجاز شيء في المستقبل، فقد أنجزوا في الماضي إنجازات رائعة وقدموا خدمات ثمينة للعالم الإسلامي والبشرية جمعاء، تعد كافية لإعزازهم، وموجبة لإكرامهم، ويجب ألا يغضوا أبصارهم عن هذا الفضل الكبير، وبالأخص أصحاب الفكر والإحساس بالمسؤولية من المسلمين، وألا يقاطعوهم بل يناصروهم ويساندوهم بالرأي والنصيحة والدعم، وخاصة في ظل الظروف الراهنة التي تقتضي مساندتهم أكثر مما مضى.

وفيما يلي نشير إلى نماذج من إنجازات وثمرات الجهاد في أفغانستان:

- هزيمة الروس الذين كانوا يزعمون أنهم لا يُهْزَمُونَ ولا يَنْهَزَمُونَ.
- تأثر وانهيار الجيش الأحمر الظالم، وإشاعة الضعف في صفوفه.
- إراحة العالم من فساد وشر الشيوعيين الملحدّين.
- منع الزحف الأحمر من الوصول إلى المياه الدافئة وشواطئ الخليج.
- تحرير الدول الإسلامية من قيود وعبودية الروس في آسيا الوسطى.
- تحرير أوروبا الشرقية.
- نزع رعب الروس الذي ألقوه في قلوب الغربيين حتى أمريكا.
- تحطيم المنظمات الشيوعية وإضعافها في الدول الإسلامية بل في العالم كله.
- إحياء الفكر الجهادي، وإحياء الإحساس بالعزة في الأمة الإسلامية.
- فك طلسم ولغز: أن القوتين العظميين لا تُهْزَمَان ولا تَنْهَزَمَان.
- إحياء الشعور بالتححرر في أذهان جميع الشعوب المستضعفة في العالم.

- إحياء معاني الشجاعة والبطولة ضد الجبابة والطواغيت .
- تجديد عقيدة الجهاد عند المسلمين وأن عزتهم وكرامتهم مرهونة بالجهاد .
- إقامة المؤسسات الإسلامية من جامعات ومدارس ومعاهد ومستشفيات ومراكز تعليم القرآن ودور الأيتام ، وكلها تهتم بتربية الجيل المسلم في أفغانستان ولا تزال تعمل عملها إلى اليوم ، وهي صورة من صور الجهاد الذي يحتاج إلى دعم المسلمين القادرين .
- وفي ختام هذا البيان ، ندعو إخواننا المسلمين في كل مكان ، أن يراجعوا نظرتهم تجاه إخوانهم المجاهدين الأفغان ، وأن يتعاونوا مع أهل الصدق والثبات منهم ؛ حتى يفوتوا على أعداء الإسلام مؤامراتهم الخطرة ضد المسلمين في أفغانستان .

عبد رب الرسول سياف . أمير الاتحاد الإسلامي / أفغانستان

هذا بيان عبد رب الرسول سياف ، للأمة . ولكن ، هل تجاوزت الأمة عما مضى؟ هل يستطيع الأفغان بناء مستقبل واعد ، وتجاوز خلافاتهم ، والإثبات للعالم أنهم جديرون بحكم أنفسهم ، وإثبات للمسلمين أن هذه كانت أزمة وفتنة ومرّت؟ نسأل الله أن يتجاوزوها إلى ما فيه عزّ وتقدم وطنهم .

استراتيجيه أمريكا في العالم الإسلامي من عاصفة الصحراء إلى عملية النسر النبيل

يبدو أن الولايات المتحدة بحاجة إلى حرب كبرى (أو متوسطة) كل عشر سنوات؛ حتى تستطيع ضبط العالم المتفلت من هيمنتها حيناً، والمتمرد عليها حيناً آخر، وحتى تؤكد الولايات المحلدة سياستها التقليدية، وتثبت أن مركز القوة الذي تحتله بالفعل كدولة عظمى وكدولة منفردة بالقرار والسياسة العالمية.

وإذا كانت الولايات المتحدة هدفت من حرب الخليج الثانية إلى تأمين بترول الحاضر والحفاظ على استمرار ضخه بالأسعار التي تقبلها، فإن أحد الأهداف الكبرى من الحرب التي أعلنتها الولايات المتحدة على أفغانستان هو تأمين بترول المستقبل، وذلك بالمعنى لامتلاك ناصية الترتيبات الاستراتيجية في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز، فلا يمكن لسياسة كونية أن تتجاهل تلك المنطقة بما تحوي من بترول المستقبل؛ حيث يقدر الخبراء بترول بحر قزوين بـ ٣٠٠ مليون طن، أي ٢, ٣ مليار برميل، بالإضافة إلى الغاز الطبيعي الذي يقدر بحوالي ٦٠٠ مليار متر مكعب، كما لا يمكن لسياسة كونية أن تتجاهل تلك المنطقة بما تحوي من قوى نووية وصراعات إقليمية مستعرة، ومن ثم فالقوى العظمى (أمريكا الكبرى) هي بحاجة إلى إعادة رسم خريطة المنطقة، وحصار إيران النووية (حاضراً ومقبلاً) وتحجيم باكستان النووية (حاضراً)، ومراقبة الصين العملاق النووي (حاضراً ومقبلاً)

والمعبد الاستراتيجي المحتمل والعملاق السوفيتي (سابقاً)، وأما ذلك، فإدعاء

الماضية اقترح اسمه كلما سعى رئيس أمريكا لزيادة ميزانية الدفاع أو للتهرب من اتفاقيات الحد من التسلح، وهو أيضاً الذي استخدمه (بوش) لتبرير برنامج الدفاع الصاروخي، على الرغم من أنه لا يمتلك أي شيء يقترب من تكنولوجيا الصواريخ. ولقد بدأت الولايات المتحدة أولى خطوات الهيمنة على منطقة آسيا الوسطى بإحكام سيطرتها (خاصة الاقتصادية) على أهم دول حوض بحر قزوين: كازاخستان، وأذربيجان، وتركمانستان

(وروسيا التي تبدو على درجة عالية من الهشاشة السياسية والاقتصادية تغري بالسيطرة)، وذلك عبر سلسلة من الاتفاقيات الاقتصادية والدبلوماسية. بالإضافة إلى الدرجة العالية من الارتباط بين الولايات المتحدة وكل من أوزبكستان وباكستان (أهم شركاء الصين الخمسة في منطقة شنغهاي للتعاون الاقتصادي).

وإذا استكملت قوى الهيمنة سيطرتها على بلاد الوعد النفطي (بلاد حوض بحر قزوين)، فإنها بذلك تكون قد سيطرت على قوس الاحتياط النفطي الممتد من الخليج العربي في الجنوب إلى بحر قزوين في الشرق، وانتهاء ببترول بحر الشمال؛ ذلك أن الطاقة كما يرى كثير من المحللين سلعة استراتيجية تقف عند مفترق الطريق الموصل بين الاقتصاد والأمن القومي. ولعل ذلك يفسر لنا كيف تأخذ الولايات المتحدة القضايا المتعلقة بالنفط بمستوى من الجدية يندر أن تتعامل به مع قضايا أخرى هذا عدا النفط العراقي الذي سنشير إليه وإلى الحرب على العراق فيما بعد.

وما يعين على إحكام الولايات المتحدة سيطرتها على تلك المنطقة عدة أمور، أهمها: حداثة عهدها بالاستقلال، وكونها ما زالت تمر بمرحلة انتقالية يضعها على مفترق طرق وتقاطعات استراتيجيات دولية شاملة من ناحية، وموضع صراعات إقليمية من ناحية ثانية، وصراعات محلية (عرقية) من ناحية ثالثة، ولا تزال معظم دول المنطقة تعاني من هشاشة وضعها وعدم استقرار نظمها السياسية.

ومن ثم يمكن القول بشيء من اليقين أن الرهان الجيوسياسي والاقتصادي الدولي والإقليمي يتمركز في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز حول بحر قزوين، بحيث

تتداخل حوله أربع مجموعات سياسية ثقافية: الروسية، والتركية، والإيرانية، والآسيوية، بالإضافة إلى القطب الدولي الذي يسعى للهيمنة على العالم (وليس آسيا الوسطى فقط)، ومن ثم كانت المنطقة ساحة مرشحة لصراعات دولية وإقليمية، وربما تداخلت الأبعاد الإقليمية مع الأبعاد الدولية.

محددات استراتيجيه أمريكا في العالم الإسلامي:

أولاً، على الصعيد الدولي.

١ - لا تزال روسيا ترى منطقة آسيا الوسطى وبترونها المجال الحيوي الاستراتيجي السياسي والاقتصادي؛ حيث تقوم عناصر التحرك الروسي لاحتواء المنطقة على عدة أسس أهمها:

أ- اتفاقيات الصداقة العرقية ومعاهدات الدفاع المشترك وبناء القواعد العسكرية (جورجيا مثلاً).

ب- إثارة الصراعات العرقية والإثنية (والحدودية) تمهيداً لتدخلها دبلوماسياً وعسكرياً.

ج- بناء نظام إقليمي تلعب فيه دور القائد والمهيمن.

٢ - كما تتطلع الولايات المتحدة إلى المشاركة في اقتسام خيرات المنطقة وثرواتها إن لم يكن الفوز بنصيب الأسد (الغاز الطبيعي في تركمانستان، القطن في أوزبكستان، الذهب في قيرغيزستان).

ثانياً، على الصعيد الإقليمي؛

فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي لم يعد بحر قزوين حكراً على النفوذ الثاني الإقليمي فقط: روسيا، وإيران، بل نشأت ثلاث دول مستقلة على ضفافه هي: كازاخستان، أذربيجان، وتركمانستان. وتتداخل الأبعاد الدولية والإقليمية يمكن القول: إن المنطقة تتنازعها عدة دول إقليمية بفعل الموقع الجيوبوليتيكي والامتدادات العرقية والثقافية بدءاً من إيران بفضل الامتدادات المذهبية (الشيعية) أو تركيا بفضل الامتدادات الثقافية (اللغة التركية)، وأحياناً تلعب تركيا لحسابها: وأحياناً أخرى

أكثر تلعب بالوكالة عن الولايات المتحدة، بالإضافة إلى باكستان التي تشكل ثروات المنطقة لها حلمًا، وبما لا يكون صعب المنال .

أما ملامح الهيمنة الأمريكية التي يراد لها أن تسود منطقة آسيا الوسطى وبحر بترولها فتنبع من اعتبارها قطباً وحيداً، له منطقة في السيادة والسيطرة : وله آلياته التي يعمل من خلالها على التغلغل في تلك المنطقة والسيطرة على بترول بحر قزوين ؛ حيث تقوم الاستراتيجية الأمريكية للطاقة عامة (وللبترول والغاز خاصة) على ثلاثة مبادئ :

أولها : تعدد مصادر النفط والطاقة عموماً ؛ فبدلاً من الاعتماد بصفة أساسية على بترول الخليج، الذي يشكل ثلثي الاحتياطي العالمي، هناك بترول بحر قزوين .
ثانيها : تعدد طرق النقل وخطوط الإمدادات ؛ فلا يكفي تعدد المصادر، بل يجب تعدد المسارات لتقليل احتمالات تعرضها للأخطار .

ثالثها : الحصول على النفط بأسعار مناسبة (رخيصة) وهو ما يوفره تعدد الطرق الآمنة . وقد كان لضخامة تقديرات بترول بحر قزوين أثره في رفع الدول المنتجة إلى المسارعة بزيادة إنتاجها قبل دخول بحر قزوين حلبة الإنتاج .

وفي عام ١٩٩٧م أضاف الكونجرس مبدأ تخطيط رابعاً للاستراتيجية الأمريكية للنفط وهو حرمان الدول المتمردة على واشنطن، وعلى رأسها إيران، من تطوير صناعيتها النفطية، أو الاستفادة من عمليات نقل الطاقة عبر تحصيل رسوم على الكميات التي تنقل عبر أراضيه، ومن ثم تفتح مسألة بترول بحر قزوين نافذة تعين على معرفة وفهم ما يجري في أفغانستان بعد تفجيرات ١١ سبتمبر ؛ فمنذ سنوات قليلة (عقب انهيار الاتحاد السوفيتي وتحرر معظم بلدانه من الهيمنة الروسية المباشرة) بدأ الصراع على أمرين :

أولاً: منابع النفط.

ثانياً: خطوط الأنابيب.

فيما يخص خطوط الأنابيب نجد أنها - ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتي وتقلص

النفوذ الروسي عن منطقة وبلدان آسيا الوسطى - تركزت على أربعة خطوط :

الأول: الشيشان - روسيا .

الثاني: أذربيجان - جورجيا - تركيا .

الثالث: تركمانستان - إيران .

الرابع: كازاخستان - أوزبكمتان - أفغانستان - باكستان .

وهذه الخطوط الأربعة كانت مدار الحروب في السنوات العشر الماضية في جورجيا وبين أذربيجان وأرمينيا وفي الشيشان (وكما قيل إن حرب الشيشان تفوح منها رائحة البترول) وفي أفغانستان، بالإضافة إلى أنها كانت مدار مفاوضات واتفاقيات ثنائية وثلاثية وحماسية للدول المطلة على بحر قزوين .

وعلى مدار عقد الحروب على النفط في منطقة آسيا الوسطى (العقد الماضي كله) راقبت مختلف الأطراف الإقليمية والدولية الصراع، وحاولت أن تحدد موقفها منه باقتسام كعكة بلاد الوعد النفطي .

١ - حيث دخلت الصين في سبتمبر ١٩٩٧ م دائرة الصراع النفطي حين وقعت اتفاق نفط مع كازاخستان بتكلفة تزيد على ٩ مليارات دولار، ويقضي الاتفاق بإنشاء خط أنابيب بطول ٣ آلاف كيلو متر، يمتد من كازاخستان إلى غرب الصين .

٢ - أما إيران فقد أظهر انهيار الاتحاد السوفيتي حقائق جيوسياسية جديدة في الجوار الشمالي لإيران، وهو ما أدى إلى تغيرات جذرية في المنطقة تجلت في بروز دولة جديدة هناك، تربط بعض شعوبها بإيران وشائج عرى تاريخية ودينية ولغوية وثقافية ؛ الأمر الذي طرح مهام جديدة أمام صانع قرار السياسة الإيرانية .

٣ - أما تركيا فتهدف إلى :

أ - محاولة القيام بدور الدولة الإقليمية الكبرى بحكم الروابط اللغوية والاثنية (وإن فشلت في أداء هذا الدور بسبب مشاكلها الاقتصادية) .

ب - القيام بدور الشريك الأصغر للولايات المتحدة في مخطط الهيمنة على

المنطقة؛ لذا فكثيراً ما تلعب لحساب الولايات المتحدة .

٤ - أما الولايات المتحدة فعلى مدار فترتي كليبتون كانت ترقب الوضع وتحاول التدخل عبر عدة مسارات :

أ - عبر تأثير تركيا في أذربيجان والعالم التركي ؛ حيث إن كثيراً من شعوب وبلاد آسيا ناطقة بالتركية .

ب - من خلال إثارة الخلاف بين الدول الخمس بهدف وجوده العسكري ، وكان لابد من التدخل المباشر للولايات المتحدة في المنطقة بهدف :

أ - السيطرة على منابع النفط .

ب - تأمين خطوط الإمداد (أنابيب البترول) .

ج - عزل الصين عن المنطقة .

د - الحد من استفادة روسيا من ثروة بحر قزوين .

• أسباب ترشيح الإسلام عدواً بديلاً في نظر الغرب؛

وقد رشح الإسلام - ليتخذ موضع العدو الجديد أو البديل - عدة أمور فعل منها :

١ - أنه أوسع البيانات انتشاراً في العالم : وليس في الغرب وحده ، فالعالم الإسلامي كتلة بشرية ضخمة : تشمل محيطاً واسعاً (من طنجة إلى جاكرتا ومن غانا إلى فرغانة ، بتعبير مالك بن نبي - عليه رحمة الله) .

٢ - ما يملكه العالم الإسلامي والعربي من ثروات تؤهله لأن يكون عملاقاً اقتصادياً ضخماً .

٣ - من أهم العوامل التي كرسست الإسلام كعدو بديل قضية الصراع العربي الإسرائيلي الصهيوني وما يمثله اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة من ثقل يدفع بتشكيل السياسة الخارجية الأمريكية خاصة تجاه قضايا ما يسمى (الشرق الأوسط) بما يحقق المصالح التي تتوخاها إسرائيل .

٤ - انتعاش الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي ، واعتزازها بتميز مشروع الإسلام الحضاري الذي قدمته ورفعته الحركة الإسلامية ، رأت فيه أمريكا

تهديداً مستقبلياً لمصالحها .

وفي سياق البحث عن العدو الجديد عقدت قمة روما في ٧ و ٨ من نوفمبر ١٩٩١ ، والتي حضرها رؤساء دول حلف الناتو ، وناقشوا خلالها الأخطار المحتملة القادمة ؛ حيث رأى قادة الحلف أن الأخطار قد تأتي من عدة جهات :

- ١ - أوروبا الشرقية (ومشكلات عدم الاستقرار الناتجة عن انهيار المعسكر الشرقي والنزعات العرقية والدينية واحتمال امتدادها لأوروبا الغربية) .
- ٢ - الشرق الأوسط (والدروس المستفادة من حرب الخليج الثانية ، والتي أسميها حرب البترول الأولى) ، وقد عبر قادة عسكريون في الحلف عن ما أسموه (الإسلام السياسي) كعدو محتمل بدلاً من الشيوعية . ثم أعدت المخططات لذلك بحملات الكراهية .

هذا وقد بلغت ذروة الكراهية للإسلام في الغرب أن حورب بطريقتين : الأولى: حملة الإفك ضد النبي صلى الله عليه وسلم ، والثانية: اتهام الإسلام بالإرهاب وتكريس ذلك في الفكر الغربي .

حملة الإفك ضد النبي ﷺ والإسلام

• روح الحروب الصليبية ما زالت تسري في عروقهم:

بين الحين والآخر تتناثر من الساحة «الغربية» حقائق جديدة تفسد ما تلح عليه الآلة الإعلامية بأن الحرب الدائرة منذ تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م هي ضد الإرهاب وليست ضد الإسلام ، وشاهدنا على ذلك ليست تلك الممارسات الموتورة لبعض الجماعات العنصرية والأحزاب المتطرفة ولا تلك الحملات المضللة من قبل بعض وسائل الإعلام الصهيونية ، لكن شاهدنا هنا هو ممارسات صادرة عن بعض السلطات الرسمية في العديد من البلدان الغربية ، وهي تشهد على أن جانباً كبيراً من الغرب الرسمي - لا الجماعات ولا وسائل الإعلام المتطرفة فحسب - يمتدح الإسلام ويسعى لاقتلعه من أرضه فضلاً عن محاربته والعمل على تحجيمه .

أولاً: البلاء

• تفجيرات ١١ سبتمبر ورفع الستار عن الأحداث:

لا يدري أحد لم يصب البلاء على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من أول وهلة . ألآن هؤلاء هم الأعداء الذين أعدهم الغرب ، فكان لزاماً أن تلصق بهم التهمة ، وكان تفجير «أكلاهوما» في حد ذاته صدمة كبيرة للأمريكان ، وبدأ اضطهاد المسلمين بسببه فعلاً في الولايات المتحدة وفي أوروبا ، ولكن انكشف الفاعل الحقيقي بسرعة ، فأفسد المخطط ، ثم كان تفجير مركز التجارة العالمي الأول الذي اتهم فيه الشيخ عمر عبد الرحمن «رجل الدين الأعمى» ؛ وكان ذلك بسبب تحريض من المخابرات في بعض الدول العربية وبعلم المخابرات الأمريكية ، ولكنه ، في الحقيقة لم يؤد الغرض المطلوب ، فكان التفجير الأقوى ، وهو تفجير ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م .

• خصوصية الهجوم ودلالاتها:

بالرغم من كون هذا الهجوم ليس الحادث الأول الذي يشهده العالم وتعرض له الولايات المتحدة فإنه تفرد بجملة من الخصائص ، ميزته عن غيره من الأحداث العنيفة التي شهدتها العالم في تاريخه المعاصر ؛ سواء ما كان منها ذا طابع سياسي أو عسكري أو اقتصادي بما في ذلك ما شهدته من أحداث الحربين العالميتين الأولى والثانية .

وبقدر خصوصية وتفرد هذا الهجوم بقدر ما ستكون الآثار وردود الفعل عليه بالغة ومتفردة . وكما أن الحروب الكبرى تكون دائماً بداية لتحولات عالمية كبيرة ، فإن هذا الحدث سيكون له ما بعده من التحولات الإقليمية والدولية ، ويمكن استغلاله إلى أقصى حد في تحقيق إستراتيجيات معينة سواء كان من فعل القاعدة أو غيرها .

ونستعرض فيما يأتي أبرز الجوانب التي تعكس خصوصية هذا الهجوم لما لها من دلالات حيوية ، ولما لها من دور استشراف الردود المتوقعة والآثار المترتبة عليها :

١ - إنَّ هذا الهجوم استهدف الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأقوى في العالم والأكثر هيمنة على الإعلام والسياسة والاقتصاد؛ وهو ما يعني قدرتها الفائقة على استقطاب وتجييش الموقف الدولي بكل مؤسساته، وتعبئة الرأي العام العالمي ضد هذا الهجوم وتحريك الجميع لاتخاذ الإجراءات المناسبة لتصفية المسؤولين عنه وكل من يمت لهم بأذنئ صلة، وسوف تعتمد الولايات المتحدة إلى استثمار هذا الحدث بكل طاقاتها، وفي كل الاتجاهات والمجالات تتجاوز في أهدافها حدود الرد على الهجوم.

٢ - أن الهجوم أصاب بنجاح، مواقع حيوية واستراتيجية ضربت الولايات المتحدة في قلب مكانتها الدولية وهيبتها؛ وهو ما يعني انهيار المزاعم الأمنية الأمريكية، وأنها في الوقت الذي تتحرك فيه لبناء درع صاروخي يحميها من أي اعتداءات إرهابية خارجية، جاءت الاعتداءات من داخلها وبصورة لم تخطر على بال أحد من حماة الأمن والاستقرار الأمريكي؛ الأمر الذي سيدفع القيادة الأمريكية إلى القيام بمراجعات شاملة لمفهوم الأمن المحلي ومؤسساته وبرامجه ضمن استراتيجيات جديدة تأخذ في اعتبارها التهديدات الداخلية بنفس القدر الذي تأخذه للتهديدات الخارجية.

٣ - إنَّ هذا الهجوم لم يتم من قبل دولة أو عدو محدد يمكن الرد عليه وإلحاق الهزيمة به بما يعيد لأمريكا هيبتها ومكانتها المتهارة وبما يكيل له الصاع صاعين، وأن أقصى ما يمكن لأمريكا القيام به هو توجيه ضربات عسكرية استئنافية حاسمة للعناصر المشتبه في ضلوعهم في الهجوم، وهذا يعني محاولة القضاء على مجموعات زبئية مكونة متناثرة تدرك أمريكا استحالة القضاء عليهم، وحتى في حال نجاحها فإن مثل هذا الرد لا يتناسب مع حجم الخسائر المادية والمعنوية التي أوقعها الهجوم، ولا مع حجم ومكانة الولايات المتحدة الدولية وقوتها السياسية والعسكرية، وهذا يعني أن الرد لن يقتصر على هدف القضاء على المجموعات المسؤولة عن الهجوم؛ وإنما سيتجاوز ذلك بكثير بما يتناسب وحجم الولايات المتحدة، ويسمح لها باستعادة هيبتها ومكانتها.

٤ - إنَّ مثل هذا الهجوم لا يمكن بحال من الأحوال أن يتم من قبل دولة من الدول ، لا بشكل مباشر ولا بشكل غير مباشر ؛ لأن حسابات الدول تختلف عن حسابات الأفراد ، ولا توجد دولة من دول العالم الراهنة يمكنها المجازفة بعمل من هذا النوع مهما كان عداؤها للولايات المتحدة ، وهذا يؤكد أن منفذي الهجوم ليسوا سوى أفراد يتمون إلى فكر وعقيدة خاصين ، ويتخذون مواقف جادة تجاه سلوكيات الولايات المتحدة السياسية والعسكرية .

٥ - رغم فداحة الهجوم فإنه تم من قبل أفراد معدودين ، وبدون أسلحة . وإنما لجأ المهاجمون إلى توظيف وسائل مدنية بعيدة عن أي شبكات في تحقيق إصابات وخسائر لا تقدر على تحقيقها بهذه الدقة الصواريخ الذكية الموجهة .

٦ - إنَّ الهجوم لم يأت من خارج الولايات المتحدة ، وإنما من داخلها وعبر مطاراتها وأدواتها وأجهزتها المدنية المختلفة ، ولا بد أن يكون قد استغرق وقتاً طويلاً من الإعداد والتدريب داخل الولايات المتحدة ؛ وهو ما ينسف قدرات الأجهزة الأمنية الأمريكية .

٧ - أن الطريقة التي تم بها الهجوم أذهلت الجميع وفاقّت جميع التوقعات ، وهذا يعني أن الذهنية التي تفتقت عن مثل هذه العمليات يمكن أن تفتتق عن أفكار جديدة أكثر خطورة وأفذح آثاراً .

٨ - إنَّ الهجوم ليس له صاحب ، أي لم يتبنه أحد ، ولم يفصح عن أهدافه وغاياته أحد ؛ وهو ما يزيد من إرباك الأجهزة الأمنية الأمريكية وغير الأمريكية ؛ بحثاً عن الجهات التي تقف وراءه ، ويؤخر إجراءات رد الفعل الذي سيظل قائماً على التوقعات والاستنتاجات .

٩ - إنَّ الجهة المستهدفة من الهجوم ، وهي الولايات المتحدة الأمريكية ، يشترك معها العديد من الدول الكبرى في الدوافع التي قد تقف وراء الهجوم ، مثل : عضوية حلف الناتو ، وتبني سياسات العولمة نفسها ، وسياسات السوق ، والهيمنة على البنك الدولي وصندوق النقد ، وفرض سياساتهما ، وتأييد دولة إسرائيل ،

وحصار العراق، ومحاربة المد الإسلامي؛ وهو ما يجعل تلك الدول تعي بجدية أبعاد ما حدث، وتتوقع حدوث الأمر نفسه لها في أي وقت من الأوقات، وإن كانت الولايات المتحدة، قد فاقت الجميع في حدة السطوة والعنجهية والصلف.

١٠- إنَّ الهجوم استهدف الولايات المتحدة الأمريكية فقط، دون غيرها من الدول، وكان من الممكن توجيه عدة ضربات مماثلة متزامنة في أكثر من دولة في العالم، وهو ما يعني أن الولايات المتحدة مستهدفة لذاتها كرد فعل على سياسات ومواقف وتصرفات معينة فهي المعتدئ عليها، وهي المعنية قبل غيرها بالرد على الهجوم وتحديد الوسائل والإجراءات المناسبة التي تحقق أهدافه، وإن تعارضت مع وجهة نظر حلفائها والمتعاطفين معها.

١١- إنَّ هذا الهجوم يستفز ويستنفر جميع الدول بلا استثناء للوقوف صفاً واحداً للرد على المسؤولين عنه ومواجهة آثاره وتداعياته وبالأخص الدول التي تعاني من مشكلات سياسة داخلية، أو التي تتوقع أن يكون لهذا الهجوم امتدادات أو انعكاسات بشكل أو بآخر داخلها.

١٢- أن هجوماً بهذا الحجم يعتبر درساً بليغاً لطرفي الصراع في الدول التي تعاني من توترات وأزمات سياسية داخلية على أساس ديني أو عرقي أو حزبي؛ فهو درس للأنظمة الحاكمة بضرورة مراجعة سياساتها الداخلية التي تقف وراء أسباب التوتر والصراع.

١٣- إنَّ هذا الهجوم لم يكن الأول الذي تتعرض له مصالح الولايات المتحدة، وإن كان الأعنف حتى الآن، وهذا يعني أن لن يكون الأخير ولا الأشد عنفاً، وأن على الولايات المتحدة أن تتجه للبحث عن الأسباب التي تجعلها هدفاً لمثل هذه الهجمات دون غيرها وتعالجه، خصوصاً أنها فشلت خلال السنوات الخمس الأخيرة في مواجهة هذه الهجمات ومنعها بالطرق والإجراءات الأمنية والدبلوماسية والسياسية والعسكرية.

لماذا لا يكون الفاعل أمريكياً؟

مبدئياً لا أومن أبداً بنظرية المؤامرة وأرى أن الإيمان بالمؤامرة هو محاولة لإضفاء شرعية على الكمل الفكري والحركي، فمبتدأ الإيمان بالمؤامرة هو تبرير الضعف، وإضفاء شرعية على واقع الخذلان، ومنتهاه (أو خبره) هو التسليم بحتمية الخضوع والاستسلام لهذه القوة الجبارة التي تحرك التاريخ، وتدفع بالأحداث في ترتيب وتوقيت غريبين، وكأن أشخاص تلك الأحداث عرائس مشدودة بخيوط متينة الإحكام في أيدي مدبري المؤامرة.

ولعل الحالة النموذجية التي ينطبق عليها هذا الكلام هو الإيمان بمؤامرة صهيونية عالمية.

وجاءت (أحداث ١١ سبتمبر) وتفجيرات نيويورك وواشنطن سبتمبر (أيلول الأسود الأمريكي) أحداثاً كاشفة - وليست منشأة - على عمق الإيمان بنظرية المؤامرة وسيادة التفكير التأمري على شعوب المعمورة وليس فقط على شعوب العالمين العربي . والإسلامي (وإن أخذوا بحظ وافر منه لحالة العجز المسيطرة عليهما).

أقول: كانت (أحداث ١١ سبتمبر) أحداثاً كاشفة وليست منشأة عن عمق التفكير التأمري على شعوب المعمورة، واستدعت كل أمة شيطانها تحمله مسؤولية تفجيرات نيويورك وواشنطن؛ فكثير من العرب والمسلمين نادوا بمؤامرة يهودية وراء التفجيرات، وانتشرت كثير من الإشاعات التي تكرر هذا الفهم وتثبتته في أذهان العامة وكثير من الخاصة. ولعل أهم إشاعة في هذا الميدان هي إشاعة الأربعة آلاف يهودي الذين يعملون في مركز التجارة العالمي، وتغيبوا يوم التفجيرات (١١ سبتمبر). وإن كرر هذا الفهم والتصور أن اليهود هم المستفيدون من الكارثة - لا أحبد استخدام مصطلح اليهود على إطلاقه؛ لأنه يجعل يهود العالم كأنهم يشكلون كتلة واحدة متميزة لها نفس الأهداف والسمات، بل هم كما علمنا أستاذنا د. عبد الوهاب المسيري جماعات يهودية - فاليهود هم شيطان العرب والمسلمين.

تساؤلات في الإعلام العالمي

• من الفاعل الحقيقي وراء التفجيرات؟

استقراءات وتحليلات، بل وتخمينات . . . ما زالت تصيح بها وسائل الإعلام العالمية؛ بحثاً عن الفاعل الحقيقي وراء التفجيرات، كان من بينها هذه التساؤلات:

هل صحيح أن الذين قاموا بالعمليات الانتحارية هم مجموعة من الضباط القدماء ممن شاركوا في حرب فيتنام بالتعاون مع الموساد؟

تشارلز برلينجيم: طيار الرحلة رقم ٧٧ التابعة لشركة أميركان إيرلاينز التي اصطدمت طائرتها بمبنى البنتاجون، وقد عمل هذا الطيار سابقاً في القوة الجوية الأمريكية، وشارك في حرب فيتنام، وعمل لعدة سنوات في البنتاجون.

جيون داهل: طيار الرحلة رقم ٩٣ لشركة يونيتد إيرلاينز، والتي سقطت طائرتها في ولاية بنسلفانيا، وهو ضابط سابق في سلاح الجو الأمريكي، لم يشارك في حرب فيتنام لكن شقيقه كينت قتل عام ١٩٧١م، في حرب فيتنام عن عمر ناهز العشرين عاماً.

جواجوتاوسكي: طيار الرحلة رقم ١١ لشركة أميركان إيرلاينز التي ارتطمت طائرتها بمبنى مركز التجارة العالمي في نيويورك، وهو ضابط سابق أيضاً في سلاح الجو الأمريكي وشارك في حرب فيتنام.

فيكتور ساراسيني: طيار الرحلة رقم ١٧٥ التابعة لشركة يونيتد إيرلاينز التي ارتطمت طائرتها الثانية بالبرج الثاني، وهو ضابط سابق في سلاح الجو الأمريكي وشارك في حرب فيتنام.

تضاربت التقارير حول الركاب، فتقرير شركتي الطيران لم يظهر أي اسم لراكب عربي ضمن قائمة أسماء الركاب، وذكرت صحيفة كيهان الإيرانية أنه بعد ذلك بثلاثة أيام نشرت الشرطة الفيدرالية الأمريكية أسماء ١٩ راكباً من أصول عربية قالت

إنهم مختطفو الطائرات الأربع ، كما ذكرت أرقام مقاعدهم في هذه الطائرات ، ويبدو من خلال هذه الشواهد كما أشارت إلى ذلك صحيفة نيويورك تايمز أن موضوع الاختطاف لم يكن سوى سيناريو غير حقيقي يهدف إلى إخفاء حقيقة كون الحادث قضية داخلية .

هل صحيح أن جميع مديري الأمن بالمطارات التي اختطفت منها الطائرات كانوا في إجازة يومها؟

وبشأن الطائرة التي سقطت فوق البتاجون ذكر صحفيون أنه لا يوجد أي أثر لحطام طائرة في الموقع ، وشككوا في كون الانفجار ناجماً عن ارتطام طائرة ، خاصة وأن شبكات التلفزة الأمريكية لم توفر أي صورة لحطام الطائرة ، وكذلك الحال بالنسبة للطائرة الرابعة التي سقطت (أو أسقطت في بنسلفانيا) . لذلك تزداد شكوك الرأي العام الأمريكي يوماً بعد آخر .

مرة أخرى هل صحيح أن آلاف الإسرائيليين تغيبوا عن مركز التجارة يوم الهجوم ، ونيويورك التي تضم ملايين اليهود والإسرائيليين ولا يكاد تخلو منهم المناصب القيادية والمالية والتجارية والقضاء (حتى عمدة المدينة) ولم يقتل منهم إلا أربعة أشخاص كما أن عدد المفقودين قليل . ولقد أبدت مصادر دبلوماسية عربية شكوكاً عميقة بشأن دور إسرائيلي في الأحداث ، وكشفت عن أن أربعة آلاف إسرائيلي يعملون في مركز التجارة لم يلتحق أي منهم بمقر عمله في يوم الهجوم بناء على إيعاز من الحكومة الإسرائيلية . أضف إلى ذلك أن مدير مركز التجارة (اليهودي) أو أياً من معاونيه الرئيسيين لم يكونوا بالمبنى ساعة الهجوم ولم يكن ثمة مبرر لكونوا جميعاً خارجة .

من جانبها لم تندب الحكومة الإسرائيلية سفيرها لدى أمريكا كما فعلت دول أخرى لمتابعة فرق الإنقاذ تحسباً لوجود أي قتلى أو مفقودين ، ولم يبد رئيس الوزراء الصهيوني شارون (في ذلك الوقت) أي اهتمام خاص .

هل صحيح أن شارون أرسل خطاب التعزية قبل أن يعلم الرئيس الأمريكي بالخبر؟

هل قبضت الحكومة الأمريكية على ٥ إسرائيليين - يحملون جنسيات أوروبية أخرى للاشتباه بوجود صلة لهم بالحادث والموساد كانوا يعملون لدى يهودي آخر في شركة شحن بتصاريح مزورة؟

ولقد كان التحقيق قاسياً ومطولاً، حتى إنهم تعرضوا للتعذيب؛ لأجل الإدلاء بأي معلومات مفيدة.

• تاريخ مليء بالعمليات الإرهابية على أيدي أمريكيان بينهم يهود:

منذ نهايات القرن التاسع عشر وقعت الولايات المتحدة تحت موجة من الأعمال الإرهابية الخطيرة طالت رؤساء الدولة وشخصيات على قدر كبير من الأهمية كما طالت مؤسسات سيادية أمريكية، وكان مرتكبو هذه الحوادث أمريكيين، كما شارك فيها يهود ينتمون إلى جماعات وميليشيات عنصرية متطرفة داخل الولايات المتحدة.

فاغتيال الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن عام ١٨٦٥ م، ثم اغتيال الرئيس جون كيندي عام ١٩٦٣ م وزعيم جماعة «أمة الإسلام» مالكوم إكس ١٩٦٥ م وداعية الحقوق المدنية الأمريكي الأسود مارتن لوتر كينج ١٩٦٨ م، كان على أيدي أمريكيين في الداخل، وإن كان سرحان بشارة العربي قد اتهم بقتل كيندي، إلا أن الترحيحات تشير إلى أن القاتل هو لي هارفي أزوالد الذي اشتهر بالنزعة النازية.

وإذا وقفنا أمام الفترة منذ أواخر الثمانينيات من القرن العشرين حتى انفجار مبنى أو كلاهما سيتي الشهير نجد أن إحصائيات مكتب التحقيق الفيدرالي تثبت وقوع ٣٢ هجوماً مسلحاً بين عامي ١٩٨٩ و ١٩٩٣ م استهدفت عدداً من المباني الحكومية. وقد ارتكب متطرفون أمريكيون ٢٨ هجوماً من هذه الهجمات ضد مؤسسات تربوية وتعليمية.

وفي إحصائية أمنية بلغت قيمة خسائر الولايات المتحدة من العمليات الإرهابية

عام ١٩٩٣م وحده ٥٢٦ مليوناً و ٤٠٠ ألف دولار وسقط فيها ١٤٤٥ بين قتيل وجريح .

ومن بين ١٦٩ عملاً إرهابياً أحصتها «إف بي . أي» منذ عام ١٩٨٢م وحتى الربع الأول من عام ١٩٩٥م ثبت ارتكاب متطرفين يهود ١٦ هجوماً إرهابياً استخدمت فيها الأسلحة النارية والمتفجرات الموقوتة ، بينما نفذت عناصر عربية وشرقية ثلاث هجمات مسلحة فقط ، وارتكبت جماعات يمينية متطرفة ١٢٩ عملاً إرهابياً مقارنة بـ ٢١ حادثاً ارتكبتها جماعات يسارية .

وقد كان انفجار أو كلاهما سيأتي في ١٩ أبريل ١٩٩٥م واحداً من أسوأ الأعمال الإرهابية التي تعرضت لها الولايات المتحدة على يد تيموثي ماكفي المتمي لـ «ميليشيا ميشيغان» العنصرية المتطرفة موقعاً ١٨٦ قتيلاً و ٤٠٠ جريح .

ألا يستدعي هذا التاريخ الطويل من الجرائم الإرهابية على أيدٍ أمريكية إلى التريث قليلاً قبل إعلان التحديد الدقيق لمرتكبي جرائم نيويورك وواشنطن الأخيرة رأى المتهمين العرب .

• رأي المتهمين العرب؛

إذن، فما رد المتهمين العرب في هذه الأحداث؟

أهم جماعة من أصحاب العقول الفارغة أم من محبي الشهرة؟

ننظر إليهم وهم يتخبطون في أقوالهم ، يقرّوا بالحقيقة أولاً ويستنكرون العمل ثم يشجعون العمل الإرهابي الذي لا دخل لهم فيه ، ويقفزون إلى الشهرة ولو على حساب الأمة كلها ، وهذا ما وضحه الإعلام الأمريكي والعالمي ، وبنى عليه الوهم الكبير ليحقق أغراضه ويستفيد من ذلك إلى أقصى حد وإليك البيانات الواردة من هؤلاء في هذا الشأن .

• طالبان تدين الهجوم على الولايات المتحدة وتنفي تورط بن لادن؛

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية الأفغانية أن نظام طالبان الحاكم في أفغانستان

أدان بشدة الهجمات الإرهابية الجارية في الولايات المتحدة، وقال إنها من تدبير «قوة كبيرة للغاية»، ونقلت الوكالة عن الملا عبد الحلي مطمئن كبير المتحدثين باسم طالبان قوله في قندهار بجنوب غربي أفغانستان: «إننا ندين الإرهاب بشدة لأننا نحن أنفسنا من ضحاياه»، وأردف قائلاً: «ما يحدث في الولايات المتحدة، لا يبدو أنه من فعل أناس ضعفاء، بل يبدو مؤامرة من تدبير أقوياء يتمتعون بنفوذ كبير جداً».

وقال مطمئناً: «في رأينا، أنه إما أن يكون أمراً داخلياً يخص الولايات المتحدة، أو أن أحداً يحاول استعراض عضلاته ضدها».

ورداً على سؤال عما إذا كان المنشق السعودي «أسامة بن لادن» ضيف طالبان المتهم على نطاق واسع بتدبير هجمات عالمية ضد الولايات المتحدة، هو المسؤول عن الهجمات الحالية، قال مطمئناً: «في رأينا، أن ما حدث ليس بعمل بسيط. ولا يمكن أن يكون من تدبير أسامة بن لادن أو أي فرد آخر».

وأردف قائلاً: «إنها خطة مُعدة جيداً من قبل قوة كبيرة للغاية».

وأدان الملا عبد السلام ضعيف سفير حركة طالبان لدى باكستان في مؤتمر صحفي في إسلام آباد، بشدة «الهجمات الإرهابية المستمرة» في الولايات المتحدة، ودعا إلى إجراء تحقيقات بشأنها.

ونقلت الوكالة الأفغانية ومقرها باكستان عن ضعيف قوله: «يجب إجراء تحقيق كامل، ويجب أن يمثل المجرمون أمام المحكمة»، وأضاف قائلاً: «إنه عمل إرهابي ندينه بشدة»، واستبعد ضعيف تورط بن لادن في الهجمات الأخيرة قائلاً: «ليس ثمة فرصة لتورطه؛ لأن أنشطته مراقبة بصرامة».

وقال: «إن طالبان لا تتوقع هجوماً أمريكياً على أفغانستان عقب هذه الهجمات». وأضاف: «لا نتوقع رداً طائشاً من الولايات المتحدة قبل أن تتكمل التحقيقات».

بيان الملا محمد عمر
بسم الله الرحمن الرحيم
بيان من أمير المؤمنين

حول العدوان الأمريكي المحتمل ضد أفغانستان

رغم وضوح وصراحة موقف الإمارة الإسلامية في أفغانستان بشأن التفجيرات التي حدثت مؤخراً في أمريكا، فإن بعض الجهات الأمريكية لازالت تصر على اتهام بن لادن بتلك التفجيرات، مع أن هذه التفجيرات لا يمكن لأسامة القيام بها، ولا يملك الوسائل اللازمة لتدريب طيارين وتدريب تفجيرات بهذا الحجم من الشرق في الغرب وقد بدأت أمريكا تحشد دول العالم لمشاركتها في العدوان ضد أفغانستان.

ونحن بهذه المناسبة نؤكد لكل الدول وخاصة الدول الإسلامية المجاورة، أن سماحها باستخدام أرضها وأجوائها من قبل القوات الأمريكية تترتب عليه عدة أخطار:

إن هذه القوات إذا ما دخلت أراضي هذه الدول فسوف تبقى إلى أجل غير مسمى، ولن تستطيع حكومات تلك الدول إخراجها بعد ذلك، والشواهد على ذلك موجودة. وسوف تكون هذه القوات مصدراً لعدم الاستقرار في المنطقة.

إن سماح أي دولة للقوات الأمريكية بالانطلاق أو العبور منها يعتبر إعلان حرب على أفغانستان وعدواناً على استقلالها وسيادتها.

وعند ذلك سوف يضطر المجاهدون لضرب قوات العدوان في أرض تلك الدول. وتلك الدول هي التي تتحمل المسؤولية وحدها.

ملا محمد عمر مجاهد

١٤٢٢/٦ هـ الموافق: ٢٠٠١/٩/١٥ م

بيان صحفي

من الشيخ أسامة بن لادن حول التفجيرات في أمريكا نفي بن لادن لمسؤوليته عن الهجمات

بعد التفجيرات الأخيرة التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية توجّهت بعض أصابع الاتهام الأمريكية إلينا واتهمتنا بالوقوف وراءها .
وقد عودتنا الولايات المتحدة على مثل هذه الاتهامات في كل مناسبة يقوم فيها أعداؤها الكثر بتسديد ضربة إليها .
وبهذه المناسبة فإنني أؤكد أنني لم أقم بهذا العمل الذي يبدو أن أصحابه قاموا به بدوافع ذاتية عندهم .
أما أنا فإنني أعيش في إمارة أفغانستان الإسلامية وقد بايعت أمير المؤمنين على السمع والطاعة في جميع الأمور ، وهو لا يأذن بالقيام بمثل هذه الأعمال من أفغانستان .

أسامة بن لادن

الأحد ٢٧/٦/١٤٢٢ هـ الموافق ١٦/٩/٢٠٠١ م

البيان الذي استندت عليه أمريكا من بن لادن للهجوم على أفغانستان والعالم العربي والإسلامي .

بن لادن يشيد بالهجمات

ضد الولايات المتحدة ويقسم لا أمن لأمريكا ومن يعيشون فيها

أعلن الإسلامي أسامة بن لادن أن «كوكبة من كواكب الإسلام طليعة من طلائع الإسلام دمروا أميركا» ، في رسالة بثتها محطة الجزيرة القطرية .
وأشاد بن لادن باعتداءات ١١ سبتمبر (أيلول) في الولايات المتحدة التي أسفرت عن مقتل أو فقدان آلاف الأشخاص .

وقال إن هذه الاعتداءات في نيويورك وواشنطن «دمرت أعظم مبانيها» ، مضيفاً أن الولايات المتحدة بعد الهجمات «امتألت رعباً» وذلك في رسالة مجلة

بثتها المحطة بعد بدء الغارات الأمريكية .

وفي الرسالة نفسها، قال المتحدث باسم القاعدة سليمان أبو غيث : «إنَّ مجموعة بن لادن مستعدة للمواجهة مع الولايات المتحدة» .

وبدا الرجلان جالسين على الأرض يتحدثان إلى مذياع أمام ما يبدو وكأنه كهف في الجبل وإلى جانبهما رشاش وظهر مسؤولون آخرون في القاعدة وبينهم أيمن الظواهري .

وقالت الجزيرة إنه من الواضح أن شريط الفيديو سجل أثناء ساعات النهار على أن يرسل لها عندما تشن أمريكا الضربة المتوقعة ضد أفغانستان .

وشارك بن لادن والظواهري وأبو غيث في الإشادة بالهجوم الذي وقع على الولايات المتحدة في الحادي عشر من الشهر الماضي، وحثوا المسلمين في جميع أنحاء العالم على مناصرتهم ضد الدول الغربية التي وصفوها «بالكفار» . ووصف بن لادن الرئيس الأمريكي جورج بوش بأنه «رأس الكفر العالمي» .

وقال بن لادن : «إن رياح التغيير، تهب على شبه الجزيرة العربية»، وأضاف في ختام كلمته : «أما أمريكا، فأقول لها ولشعبها كلمات معدودة : أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا أعمدة، لن تحلم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا بالأمن قبل أن نعيشه واقعاً في فلسطين وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد» .

وبعد أن ترك للقارئ الكريم تقدير الأمور ووزن هذا الهراء، ومعرفة مقدار حب أصحابه للشهرة الكاذبة أو العبط الذي لا عبط بعده .

• علماء الإسلام يدينون التفجيرات؛

هذا وقد أدان جمهور علماء قادة الحركات الإسلامية في العالم، الاعتداءات التي استهدفت مراكز حيوية في الولايات المتحدة، وأعربوا عن عميق أسفهم وحزنهم، واستنكروا بكل حزم وشدة هذه الحوادث التي تتعارض مع القيم الإسلامية والإنسانية انطلاقاً من حكم الإسلام الذي يحرم العدوان على الأبرياء، واستشهد البيان بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَزِرْ وَزِرَةً وِزْرَ أُخْرَى﴾ [التوبة: ١٥] .

وسحب البيان في الوقت نفسه استهداف الإعلام الأمريكي للإسلام وأهله من دون انتظار عما يسفر عنه التحقيق من معرفة للجنة .

وقال البيان : «إنَّ اقتلاع الإرهاب لا يكون إلَّا بمعالجة أسبابه وبمنع الظلم وإقامة العدالة ، ولهذا يتحمل الظالمون والباغون على الأمم والشعوب مسؤولية مباشرة في ذلك . ووقع على البيان ٤٦ شخصية إسلامية ينتمون إلى ٢٢ دولة عربية وإسلامية وغربية في مقدمتهم الشيخ مصطفى مشهور المرشد العام للإخوان المسلمين ، والشيخ يوسف القرضاوي ، والقاضي حمين أحمد أمير الجماعة الإسلامية في باكستان ، ومطيع الرحمن نظامي أمير الجماعة الإسلامية في بنجلاديش ، والشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس ، والشيخ عبد الله الأحمر ، والشيخ فيصل مولوي ، والشيخ عبد المجيد زنيات ، والشيخ محفوظ نحناح . وآخرون .

• استنكار الحكومات الإسلامية:

استنكرت الحكومات الإسلامية هذا العمل بما فيههم حكومة طالبان في أفغانستان وشجبت بكل قوة وجرمت فاعليه وأعلنت استعدادها لمساعدة أمريكا في القبض على الفاعلين وتقديهم للعدالة ، وتوالت الاستنكارات من الهيئات الحكومية والشعبية بدون استثناء .

ولكن هل حال ذلك كله دون تنفيذ المخطط ، وهل أعارت أمريكا وإداراتها ذلك الشجب والاستنكار والاستعداد للمساعدة أي اهتمام ؟

• الاعتداء على المسلمين داخل الولايات المتحدة:

أكثر من ٢٠٠ اعتداء تعرض لها مسلمون وعرب داخل الولايات المتحدة وخارجها ، في المساجد ، والمدارس والشوارع ، ومحطات البنزين حتى اضطر كثير من المسلمين إلى لزوم بيوتهم خوفاً من موجات الغضب التي تجتاح الشارع الأمريكي ، وأصبح ظهور وجه بلامح عربية أو بشكل إسلامي كافياً لتحريك العدوان سباً أو ضرباً أو محاولة للقتل ! كل ذلك حدث ولم تعلن السلطات الأمريكية بعد رسمياً الجهة المسؤولة عما جرى . فماذا لو أعلنت واتهمت بالفعل !

ماذا يمكن أن نتصور أن يقع للمسلمين والعرب هناك!

كنا نتمنى أن يكون التعامل مع تداعيات الحدث على نفس مستوى المنظومة الحضارية التي تباهي بها الولايات المتحدة العالم وتحاول أن تقود من خلالها نظامها العالمي، ومن أبسط مقتضيات هذه المنظومة الحضارية ألا يؤخذ فرد بجريرة الآخر! لكن هذا هو واقع الحال. والواقع الأشد إيلاماً، هو أن المسلمين والعرب هناك سيقعون تحت ضغوط أشد مرارة.

كنت أظن أن العقلية المجتمعية الأمريكية قد تغيرت ووعت الدرس في التفاعل مع الأحداث بعد حادث أو كلاهما الشهير (١٩/٤/١٩٩٥م) عندما شن الشارع الأمريكي عدواناً على المسلمين على اعتبار أنهم وراء الحادث، ثم ثبت أن متطرفاً أمريكياً مسيحياً (تيموثي ماكفي المسمى إلى مليشيا «ميشيجان» المتطرفة) هو الذي دبر الحادث، يومها لزم الجميع الصمت وهذا الشارع دون اعتذار لمن سارعوا بالعدوان عليهم من المسلمين ودون تشنيع على ديانة المجرم الحقيقي أو عرقه أو لونه!

• الآلة الإعلامية والتحريض على المسلمين:

وهذا يقودنا إلى التذكير بأن الآلة الإعلامية الغربية نجحت طوال ما يزيد على عقد من حملتها المحمومة على الإسلام والصحة الإسلامية في المزاوجة بين «الإرهاب» و«الإسلام»، وأصبح راسخاً في العقل الباطن لدى المواطن الغربي، أن ذكر أي من الكلمتين، يستدعي حتماً الأخرى إلى الذاكرة، وللأسف الشديد فقد أسهمت أنظمة عربية وإسلامية في تلك الحملة.

• مصمموا أزياء الإرهاب إرهابيون:

ومنذ انطلقت الحملة العالمية لوصم الإسلام والمسلمين بالإرهاب لم نعثر حتى اليوم على تعريف محدد لهذا «الإرهاب» الذي يقصدونه، فقط ظللنا طوال السنوات الماضية نفاجاً من الإعلام الغربي بأن «فلاناً» إرهابي أو أن «دولة» ما تمارس «الإرهاب» وتكون هذه الاتهامات متواكبة مع خلافات حادة مع السياسات الغربية، حتى فوجئنا منذ سنوات قليلة بإعلان الولايات المتحدة لما يسمى بالمنظمات الإرهابية

ومعظمها منظمات إسلامية إن لم تكن كلها ومن بينها «حزب الله» و«حماس» وحركة الجهاد الإسلامي، وهي منظمات خرجت إلى النور لأداء دور واحد هو تحرير بلادها من الاستعمار الصهيوني ومع ذلك فهي في عرف السياسة الغربية إرهابية!

ثم أعلنت الولايات المتحدة بعد ذلك قائمة بالدول التي تؤوي الإرهاب أو تمارسه وكلها دول عربية إسلامية من بينها السودان وإيران.

ومن يستعرض قائمة المنظمات أو الدول الإرهابية في عرف الغرب سيجد أن المقياس هو الخلاف الحادث مع السياسة الغربية، وتهديد المصالح والمشاريع الغربية. إذن الذي يمتلك إطلاق الاتهام بالإرهاب الغرب وحده، وليس لأي طرف آخر القدرة على فعل ذلك، وقد شاهدنا في مؤتمر ديربان الأخير كيف أن وفود العالم العربي والإسلامي فشلت النص في البيان الختامي للمؤتمر على أن الكيان الصهيوني يقوم بممارسات عنصرية وليست إرهابية!! وشاهدنا كيف هددت الولايات المتحدة ومعها المجموعة الأوروبية بالانسحاب من المؤتمر إذا حدث ذلك، كما شاهدنا كيف أربح الغرب الدول الإفريقية بعقوبات اقتصادية والحرمان من المساعدات إذا انسأقت وراء ذلك!

ومن هنا فإن إعلان الرئيس الأمريكي بوش الابن إصراره على القضاء على الإرهاب في أي مكان واقتلعه من جذوره، ثم تأييد الكونجرس له بالإجماع وتخصيص ٤٠ مليار دولار (وهو ضعف المبلغ الذي طلبه بوش) لهذه المهمة يضعنا أمام مشروع معقد ومتعدد المراحل سيتم تنفيذه وفق استراتيجية مدروسة بقيادة الولايات المتحدة، وهو ما عبر عنه الرئيس الأمريكي صراحة أمام مجلس الأمن القومي الأمريكي (المبت ١٥ / ٩ / ٢٠٠١م): «ولن اكتفى بعمل رمزي سيكون رداً كاسحاً ومتواصلاً وفعالاً وطويلاً».

• الاستعداد للكارثة:

لنقترب قليلاً من الصورة وفق ما يلي:

أولاً: إنَّ دائرة الاتهام بالإرهاب آخذة في الاتساع بصورة دراماتيكية ولم تعد تضم أفغانستان فقط ، وإنما بدأت الأصابع تتجه نحو حزب الله اللبناني من خلال إشارة بعض الصحف الأمريكية (الجمعة ١٤ / ٩) إلى أن حزب الله ساعد بن لادن في تفجير المدمرة كول في ميناء عدن اليمني .

ولا نتبعد أن تتسع الدائرة أكبر لتشمل منظمات ودولاً أخرى تعدها الولايات المتحدة إرهابية . وتجد الفرصة مواتية للقضاء عليها مثل العراق ، ودول محور الشر المزعوم .

ثانياً: إنَّ حالة الاستنفار الواسعة للقوات الأمريكية المنتشرة في أرجاء العالم واستدعاء ٥٠ ألفاً من قوات الاحتياط ورصد هذه المخصصات المالية الضخمة (٤٠ مليار دولار ينبئ أن أفغانستان ليست المقصودة وحدها ، فليس فيها شيء يضرب بعد أن أكلت الحرب كل شيء وإنما ستطول الضربة أطرافاً أخرى ، كما ينبئ أن الحملة لن تقتصر على ضربة أو ضربات خاطفة وإنما ستطول ووفق خطط مدروسة لاكتساح كل مناطق الخطر على المصالح والأمن الغربي في العالم ، ومعظم هذه المناطق إسلامية ! .

والسؤال الأهم . . ماذا لو نفذت الولايات المتحدة ضربتها الأولى ضد ما تعتبرها مواقع للإرهاب أو من تعتبرهم إرهابيين ثم ظهر فجأة «تيموثي ماكفي» جديد ليفصح عن أن مرتكبي حوادث نيويورك وواشنطن من الجماعات والمليشيات الأمريكية المتطرفة ، كما حدث في أوكلاهوما ، كيف ستجد الولايات المتحدة نفسها؟! .

التحذير صدر من أكثر من عاصمة ، وكان أبرزه ما جاء على لسان الرئيس المصري لـ (سي إن إن) : «يجب أن تتذكروا حادث أوكلاهوما الذي كان عملاً إرهابياً وترددت إشاعات حينها بأن عرباً وراء ارتكابه ، ولكن ثبت أنه لم يكن هناك عرب» .

نجدة أفغانستان واجبة

والتحالف مع الولايات المتحدة لضرب قطر إسلامي... حرام

أجمعت كوكبة من الدعاة والعلماء وقادة الفكر والرأي والحركات الإسلامية في الدول العربية والإسلامية والعالم أجمع على تحريم تعاون أي دولة إسلامية مع أي دولة أخرى لضرب دولة مسلمة مشددين على أن التحالف إنما يكون «على البر والتقوى»، وليس على الإثم والعدوان وأنه لا يجوز تحالف أي بلد مسلم ضد بلد مسلم آخر، مشيرين بوضوح إلى أفغانستان.

فقد أفتى العلامة الدكتور يوسف القرضاوي بتحريم تعاون الدول الإسلامية مع دولة أخرى لضرب دولة مسلمة.

ودعا القرضاوي المسلمين إلى عدم التحالف ضد بلد مسلم، في إشارة إلى أفغانستان، وشدد على أهمية أن يتحالف المسلمون. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

كما دعا القرضاوي الدول الإسلامية إلى نجدة أفغانستان؛ «لأنها بلد ضعيف ويعاني شعبها الأمرين» جراء الحصار المفروض عليها من قبل الولايات المتحدة وتساءل: كيف يمكن أن يعاقب شعب عن ذنب لم يرتكبه؟

وأضاف: «إن ضرب أفغانستان لن يحل المشكلة وسيخلق جواً من الكراهية للولايات المتحدة».

• تحريم التحالف مع المعتدي لضرب المسلمين؛

ومن جهته أكد الدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر أن «التحالف مع أمريكا أو غيرها للإضرار بالمسلمين لا يجوز بحال من الأحوال»، مشدداً على أن «تقديم دولة تسهيلات لدولة غير مسلمة لضرب دولة مسلمة أمر خطير، ويجب على الدول الإسلامية أن تتعاون على البر والتقوى وأن يتكاتف العامة والخاصة والحكام حتى يرفعوا الظلم عن المظلومين وتظهر العدالة».

وأضاف «يجب علينا جميعاً كأمة إسلامية أن نتكاتف ونقف ضد الظلم مهما كان، وأن نوضح بكل الوسائل الإعلامية أن الإسلام هو دين الأمن والسلام، وأن البشر جميعاً متساوون؛ لقول رسول الله: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»^(١)، وذلك بأن يؤخذ على يد الظالم، مشيراً إلى أن «على العالم الإسلامي أن يقف حتى تأخذ العدالة مجراها»، وطالب مفتي مصر باكستان وكل الدول الإسلامية بعدم فتح الحدود أو تسهيل مهمة أمريكا لضرب أفغانستان، «لأن ذلك يخالف الشريعة الإسلامية، ولا يجوز من الناحية الشرعية».

وفي سياق متصل قال الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر: «إن الإسلام مع المظلوم، ويقف ضد العدوان، وضد الظلم وضد الإرهاب، وإذا ما تم الاعتداء على أفغانستان وحكومة طالبان، فإن عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم فهذه أمور تقرأها جميع العقول والقوانين».

وحذر شيخ الأزهر الولايات المتحدة من أخذ الأبرياء بذنب مرتكبي الحادث إن ثبت ذلك ودعاها ألا تأخذ خطوة انتقامية إلا بأدلة دامغة، وقال: «لا يصح عقلاً ولا شرعاً أن يوجه الاتهام إلى طائفة من دون أن يكون هناك دليل على إدانتها؛ لأن هذا حرام حرام».

• اتهام أفغانستان:

كانت تقريرياً جداول الاتهامات جاهزة ضد المسلمين عامة وأفغانستان خاصة، حتى قبل بدء التحقيق، واتخذت الإجراءات الفورية للانتقام السريع، واتهم بن لادن الذي يسكن الصحراء القاحلة وليس عنده حتى وسيلة اتصال غير الدواب بين الجبال الوعرة وغير الكهوف والخيام، وهذا شيء عجيب أن يكون رجل بهذا الشكل يستطيع تحريك العالم وضرب أمريكا في أعماقها بتكنولوجيا وتنظيم وترتيب تعجز عنه الدول الراقية والكبيرة في كل شيء، لكن هذه هي الإرادة الأمريكية. وتوالت الأحداث على هذا المنوال.

(١) البخاري في المظالم والغصب (٢٢٦٤). وأحمد في باقي مسند المكثرين (١١٥١١)، من حديث أنس رضي الله عنه.

• بدء الاحتلال الأمريكي للأمة:

بدأ الاحتلال الأمريكي للعالم الإسلامي بأفغانستان وقد أسلفنا الذي ادعته أمريكا واختراعها للسبب الرئيس للهجوم على أفغانستان وطردها بحكومتها بالقوة وتنصيب حكومة تعمل بإمرتها وتسير حسب توجهاتها، كما استطاعت أمريكا أن تجمع حوالي ٥٠٠ شخص من هنا ومن هناك وتدعي اتهامهم وتدخلهم سجون جواثيمالا، وتحت ظروف قاسية وغير إنسانية، بدون ذنب أو جريمة، وبدون تحقيق أو إدانة أو حتى محاكمة ولو ظالمة، وذلك تحت سمع وبصر العالم وحقوق الإنسان المزعومة، وكانت بذلك هي حزام العصر المزعومة التي قال فيها أحد شعراء الجاهلية:

إذا قالت حزام فصدقوها فإن القول ما قالت حزام

وكل هؤلاء المجونين من المسلمين، طبعاً؛ لأنهم لا حرمة لهم ولا كرامة وليست لهم شعوب أو حكومات تسأل أو تدافع، أو حتى تنبث ببنت شفة.

والعوامل المساعدة على الاحتلال:

أول هذه العوامل: هي حكام أفغانستان الذين فرضوا أنفسهم عليهم فرضاً، وفعلوا من الأشياء والأعمال ما كان مساراً للتندر والتأخر، وانفتوا إلى القشور وإلى العادات الموروثة والأضغان والأحقاد والجهالات البائدة وجعلوها ديناً وإسلاماً، واشتغلوا بالحروب الأهلية مدة حكمهم وتركوا الناس نهياً للجوع والفقر والجهل ورجعوا بالناس إلى عهد البداوة في عصر الحضارة والمعلومات والتكنولوجيا والاختراعات، فكانوا بحق رغم ما يقال عن إخلاصهم سبة في جبين الأمة ولعنة على أنفسهم وشعبهم.

ثانياً هذه العوامل: قسموا الناس شيعاً وأحزاباً وأعراقاً فأضعفوا قوتهم وأوهنوا جمعهم وحقد كل على الآخر، ولم تنفع في ذلك وساطة أو تدخلات لرأب هذا الصدع. الذي أذهب البقية الباقية من مال أو إمكانات، كما اتهم الفصائل بعضها بعضاً بالعمالات لدول أخرى تمد كل فصيل بالسلاح والعتاد وتوخي إليهم زخرف الإسناد غروراً، ولهذا في مجمله كان صحيحاً.

ثالثها: دخلت الولايات المتحدة الأمريكية بحراب فصيل وجنده لتضرب حكومة طالبان بأيدٍ أفغانية، وكان فرح هذا الفصيل العميل بالأمريكان فرحاً كبيراً لأنه كان يتمنى ذلك ويسعى إليه، واستطاعة أمريكا أن تفعل بواسطتهم ما تريد وتأتي برجالها وتركل الآخرين وتقصصهم فيما بعد، وبهذا تكون قد قضت على الجميع وطاب لها المقام، وهذا ما حصل في الأندلس، وما كان في هدم الخلافة حيث استعان الغرب بالشريف حسين والجيش العربي الكبير على حرب الخلافة وإسقاطها، وبعد ذلك طرد الشريف حسين وضاعت الوعود الغربية واحتلت البلاد والديار، ولا عزاء للمغفلين.

رابعاً: التطلع إلى الحكم والكراسي، وتناسي مصالح الأمة والشعب، واتخاذ الدكتاتورية أسلوب حكم وحكم الناس بالحديد والنار حتى لغيت عزيمة الشعوب ونخوتها، وفقد حميتها للدفاع عن البلاد والكرامة تحت ظل هؤلاء الظلمة الباغين، الذين أثخنوا في القتل والتنكيل لمعارضيه حتى جاء في ساعة الكوارث ولات ساعة مندم.

خامساً: مساعدة جيران أفغانستان، خنوعاً أو رهباً ورغباً للغزاة رغم أنهم أصحاب دين واحد ولغة واحدة وجوار، وأصهار... إلخ، ورغباً عن توجهات الشعوب التي تقبل التضحية، فهذه باكستان، تمكت وتدخل الجيوش الغازية وتساعد مساعدات لوجستية، وكذلك الدول التي تجاور أفغانستان، وأما الدول التي لا تجاورها سواء كانت إسلامية، أو عربية إسلامية، فكانت تستنكر على استحياء، وتعمل لغة الكلام ظاهراً، ولا تمنع باطناً أي شيء.

سادساً: تنكر العالم لطالبان ومجاراتهم لأمريكا ومن لف لفها، واستعداد الجميع أن يشارك في الهجوم وقد كان.

سابعاً: لم تستطع الشعوب الإسلامية المغلوبة على أمرها والمحكومة بسلطات لا تستطيع الخروج على أمريكا أن تفعل شيء أو تهدد المصالح الأمريكية أو حتى تحرك سلطاتها لعمل أي شيء، واكتفت بالشعارات والإضرابات والاحتجاجات التي قمعت بشدة بواسطة حكوماتها.

ثامناً: قام علماء الأمة بالشجب والإدانة وتحريم مساعدة الغازي وتبيين خطر ذلك على الأمة، ولكنها صرخة في واد، لا تسمن ولا تغني من جوع، لأنهم في وسط سلطات لا تعيرهم اهتماماً، أو تجعل لهم مكاناً.

تاسعاً: مؤتمرات القمة الإسلامية، قد أخرست وكأن الأمر لا يعنيه، وغاية الأمر إخراج بيان لا يساوي الخبر الذي سودت به الصحيفة حيث وجهت قطر التي ترأس في ذلك الوقت منظمة المؤتمر الإسلامي نداء بعد دخول الجيوش إلى أفغانستان وقرب انتهاء المعركة وتنام الاحتلال، تقول: نداء إلى الأطراف المتنازعة في أفغانستان لحماية المدنيين، وتشكيل حكومة تحكم البلاد، ودولة قطر تدعو إلى ضبط النفس والعمل على حقن الدماء لحماية أرواح المدنيين.

وكان ذلك في ٣١ نوفمبر بعد دخول القوات الأمريكية إلى العاصمة كابول. فكان بحق هذا البيان فصل الخطاب، أي والله، أي والله.

عاشراً: استعمال القوات الغازية الإثخان في القتل للمدنيين وضرب البنية التحتية والترويع الكبير بقاذفات القنابل التي أحالت الأوضاع في المدن والقرى إلى جحيم من النيران لا قبل لإنسان به على الإطلاق في بلد يعيش في القرن الماضي.

وأخيراً، تفرغت أمريكا إلى المهام التي جاءت من أجلها في المنطقة لتظهر النوايا الحقيقية ويصحو النائمون وينتبه الغافلون، ولكن أنى لهم ذلك وهم في سكرتهم يعمهون.

وهكذا تعيش الشعوب في دوامة الاحتلال، وتعاني أفغانستان من دوامات لا يعلم مداها إلا الله.

لأنها لم تتعلم الدرس من احتلال الروس وعانت في سبيل إخراجهم ما عانت وفقدت الألوف المؤلفة وأرهقت العالم الإسلامي معها، ولكنها ظلت غبية شأن غيرها من الشعوب اللاهية، وها هي اليوم تعاني احتلالاً آخر لا يعلم إلا الله كم من الوقت سيتمر، وكم من الأرواح سيحصد، وكم من الأموال سيأخذ، ولكن قدر الشعوب الغافية، والجهالات السادرة، والعقول الفارغة، والحقد الأعمى الذي يورث الليل الطويل، والعذاب الأليم. نسأل الله أن يقشع الغمة وينصر الأمة آمين.

الاحتلال الأمريكي لأفغانستان

دخلت أمريكا إلى أفغانستان دخول الفاتحين المنتصرين ، وما وقف أمامها شيء وما وجدت أو استفادت كذلك شيء ، وإذا أردنا أن نعرف تلك الحقيقة . نقول كيف ما يلي : انهارت أفغانستان بهذه السرعة :

جاء انهيار أفغانستان نتيجة لعدة عوامل قوية منها :

- ١- الجهل بأمور الحياة والنظرة الضيقة التي سدت منافذ التقدم الفكري والعقلي ، فكتمت أنفاس الناس وحبست حرياتهم واخترعت لهم أساليب للكيّد ، واستغلت سذاجة الناس وميلهم إلى دينهم واخترعت لهم طرقاً شاقة لا يستطيعون فيه فهم الدين الصحيح ، أو قراءة القرآن ومدارس السنة على الوجه الأمثل ، فكان كمن شرب الدواء بدون استشارة الطبيب ، وبدون نظر إلى العلة أو تشخيصها . فتسبب هذا في انحراف مزق الأمة وشتت شملها وأضعف قوتها ، ونخر داخلها وهدم قوتها وبدد سعادتها .
- ٢- تنازع أمراء الحرب على كعكة عفنة - حتى أدى بهم هذا التنازع إلى مصادقة الأعداء ، وتقوية شأن المغيرين على إخوانهم ، بل حاربوا معهم في الصف الأول ، واجتهدوا في تكوين الجيوش الجرارة لحرب إخوانهم .
- ٣- الحرب التي تجرعتها الأمم كانت بسبب الأطماع فيلزم الأمم التي هي محط الأطماع أن تتوحد تلتفت إلى قوتها ووحدتها حتى تستطيع الدفاع عن نفسها وعن سيادتها .
- ٤- السلطات الخائنة التي ترضى لنفسه أن تحكم تحت الاحتلال وتكون سنداً للمستعمر ، وقد وجدت أفغانستان أمثال «كرزاي» الذي تمتعمر الأمة بأمثاله ، وكذلك في فلسطين حيث اليهود الذين يكونون السلطة بأفراد وجماعات تأتمر بأوامرهم وتسمع وتطيع قولهم .

• دخول أفغانستان:

بدأ دخول القوات الأجنبية والأمريكية إقامة مذابح في الأهالي بقصف الطائرات وإلقاء الصواريخ وضرب المدفعية. ففي ١٠ نوفمبر لقي ٣٠٠ قروي مصرعهم في قصف أمريكي على قرى تابعة لولاية قندهار أعلنت قوات التحالف الشمالي أنها تستعد لشن هجوم على العاصمة الأفغانية كابول. وكانت ذلك طليعة القوات الأجنبية التي احتلت البلاد.

١٣ نوفمبر:

دخلت قوات تحالف الشمال المناوئ لحركة طالبان العاصمة الأفغانية صباح اليوم.

تحت وطأة القصف بالقنابل الأمريكية الثقيلة لأيام المواقع طالبان على طول خط المواجهة مع قوات التحالف المناوئ شمالي كابول تكدست مجموعة من رجال القبائل الباكستانيين في حافلة للعودة إلى الوطن. وقال أفراد المجموعة إنهم دخلوا أفغانستان قبل عشرة أيام تقريباً بعد أن سمحت طالبان بدخول رجال قبائل الباشتون من المناطق الباكستانية الحدودية.

أفاد شهود عيان بأن قوات التحالف الشمالي أقامت نقاط التفيش في شوارع العاصمة الأفغانية، في حين قامت عناصر من القوات التي دخلت العاصمة بتقييم المدينة إلى مناطق سيطرة على أساس عرقي.

وأفادت الأنباء بأن الفصائل العرقية التي دخلت المدينة بدأت تقسيم كابول إلى مناطق نفوذ. وتحدثت روايات سكان المدينة عن أن المقاتلين التابعين للرئيس المخلوع «برهان الدين رباني» سيطروا على وسط كابول، في حين سقطت الأحياء الجنوبية الغربية في أيدي مقاتلي حزب الوحدة الشيعي.

ذكرت الأنباء أن بعض المقاتلين الباكستانيين وقعوا في أسر قوات التحالف قبل أن يتمكنوا من مغادرة مدينة كابول، وتعرضوا لمعاملة سيئة حسب شهود عيان.

أعربت المفوضة العامة للأمم المتحدة لحقوق الإنسان «ماري روبنسون» عن قلقها على حياة المدنيين الأفغان في المدن التي سقطت في أيدي قوات التحالف الشمالي المناوئ لحركة طالبان، وحذرت في الوقت نفسه من تبني الدول لقوانين قاسية في إطار حربها على ما يُسمى بالإرهاب.

وتقول المسؤولة الدولية: «إن تاريخ بعض القادة العسكريين في التحالف الشمالي سجل سيئ في انتهاك حقوق الإنسان وسوء معاملة المدنيين».

دعا وزير خارجية تحالف الشمال عبد الله عبد الله الفصائل الأفغانية لحوار حول شكل الحكومة الأفغانية القادمة، لكنه قال: «إن هذا الحوار لن يشمل حركة طالبان»، وقال عبد الله في مؤتمر صحفي عقده في العاصمة الأفغانية التي دخلتها قوات التحالف: «إن قواته لم تكن تنوي دخول كابول، غير أن انسحاب قوات طالبان المفاجئ من المدينة فرض على قواته الدخول لحفظ الأمن فيها».

وجهت قطر، التي ترأس حالياً منظمة المؤتمر الإسلامي، نداءً إلى الأطراف المتنازعة في أفغانستان؛ لحماية المدنيين، وتشكيل حكومة كفيلة بتمثيل جميع الفصائل.

وصرح مسؤول في وزارة الخارجية القطرية أن دولة قطر طالبت جميع الأطراف الأفغانية المتحاربة بضبط النفس، والعمل على حقن الدماء لحماية أرواح المدنيين، وعدم التعرض لممتلكاتهم، وأضاف أن قطر شددت على ضرورة احترام مبادئ القانون الدولي الإنساني المتعلقة بحماية المدنيين في وقت الحرب، خاصة اتفاقيات جنيف.

هذا وقد استولت الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة التحالف الأفغاني الذي استعملته الأمم المتحدة على أفغانستان، وفرت طالبان بعد أن تخلى عنها من كان معها إلى الجبال.

وتم احتلال البلاد وتحت مسميات محاربة الإرهاب وغيرها من المسميات وظلت

قوات الشمال البلهاء تواصل مطاردة الأهالي والمدافعين عن المدن ضد المستعمرين والدول الإسلامية تتفرج بل وتذيع أخبار الانتصارات المدوية للمستعمر على الأفغانيين ببلاهة ووقاحة ، وظلت الجيوش الغازية تقتل في الشعب وترهب ، وبعد أن تمكنت من البلاد تخلصت من تحالف الشمال وطردت من ساعدوها وجاءت بفرد لا حول له ولا قوة وحمته ونصبته جلاداً وحارساً تضرب باسمه كل تجمع وتحاسب الشعب على وطنيته .

وظلت البلاد تعاني من هذا الظلم والاحتلال حتى اليوم ولا عزاء لأحد ، ولا رقيب أو حبيب ، ووللى من ساعدوا المستعمر وبقي المستعمر رابضاً على جثث الضحايا ، ولكن حينما نريد أن نحلل هذه الوقائع وهذا الهوان الذي أدى إلى الاستعمار فإننا نتساءل : هل هذا من الأخطاء القديمة زمن الملك الأفغاني التي أدت إلى الثورة الشيوعية عليه ثم ما تبعها من حوادث أم هو من اختلاف القوى التي حاربت السوفييت وانتصرت عليهم وكان ينتظر أن تقوم دولة حديثة تلتفت إلى مصالح البلاد ، أم من تدخل البلاد المجاورة تلك لا تريد استقرار البلاد وتسر لتفتتها أم أن ذلك كان بسبب تعنت حركة طالبان وضيق أفقها وجمعها للعناصر التي على شاكلتها ، وخشية الدول من أن تكون للإرهاب كما يدعون قواعد ينطلقون منها إلى سائر الأمم .

أم أنه بكل ذلك مجتمع وعده أدى في النهاية إلى هذه الكارثة التي ستظل إلى أن يتغير الحال وتفقه الدروس والعبر ، وينشأ جيل على مبادئ صحيحة لا يقصد إلا مصلحة بلده وشعبه ، ويلتفت إلى الأولويات لا إلى الخلافات ، ويجمع ولا يفرق ، ويصلح ولا يفسد ، حتى يفرح المؤمنون بنصر الله ، والمعلوم أن خروج المستعمر بعد استقراره في البلاد ، وبعد أن درب الكوادر التي تعيش في فتاته وتثري بأمواله وأموال الشعب بدون وجه حق ، لا يأتي بيوم أو شهر أو حتى سنة وإنما هو موقوت بزوال أسباب وجوده ، وبشدة الجهاد وفعالية المجاهدين وبفقه الدروس والعبر من هذا التاريخ المخزي .

وأظن أن بعض القوى المجاهدة قد بدأت بالتصدي للمستعمر ومحاولة إخراجهم، ولكن هل تستطيع تخرج هي من الجهل والحق والكراهية لخصومها، وتخرج كذلك من الأوهام إلى الواقع ومن الأحلام إلى الحقائق ومن الفساد إلى الطهر، هذا وما زال الغيب مجهول يحمل الكثير.

المبحث السادس الفلبين

تتكون الفلبين من عدة جزر أمام سواحل جنوب شرق آسيا، وأقرب جيرانها: ماليزيا، وإندونيسيا جنوباً، وتايوان شمالاً. وتبلغ مساحتها ٣٠٠,٠٠٠ كم^٢. ويبلغ عدد سكانها قبل عام ٢٠٠٠م، حوالي ٦٥,٩٧١,٠٠٠ نسمة، والدخل القومي الإجمالي ٤٠ مليار دولار، ومتوسط دخل الفرد (عام ١٩٨٨م) ٦٢٠ دولاراً، العملة المتداولة: «بيزو».

• دخول الإسلام إلى الفلبين:

لم يدخل الإسلام الفلبين عن طريق الغزو والحرب، ولكنه دخلها سلماً وبرضا أهلها واختيارهم، هذا ما يعترف به جميع المؤرخين، حتى الإسبان منهم والهولنديين، ولكنهم اختلفوا في العامل الأساسي والوسيلة التي دخل بها الإسلام إلى هذه المنطقة:

أ- فمن قائل: بأن التجار هم سبب دخول هؤلاء الناس خلال القرن التاسع عشر الميلادي أثناء تجارتهم في هذه البلاد، إما بأنفسهم أو بما كان التجار يأتون به من الدعاة معهم وعلى نفقتهم لشرح الإسلام للناس. كما كان لحسن أخلاق التجار ومعاملاتهم الحسنة دخل كبير في تأييد القول بالعمل دخول الناس عن حب في الإسلام، وساعد على ذلك مصاهرة أهل تلك البلاد والزواج منهم، ودخول حكام الولايات في الإسلام.

ب- ومن قائل بأن السبب الأكبر: كان هجرة العلماء إلى تلك البلاد، ويؤكد صحة ذلك أنه مع سقوط الخلافة العباسية سنة ١٢٥٨م هاجر كثير من العلماء، واتجه بعضهم إلى أرخبيل الشرق الأقصى، حيث كان قد سبقهم إليه إخوانهم التجار، وكانت الهجرة لها أسبابها الكثيرة؛ إما هرباً من بعض الحكام، أو للخلافات السياسية التي أعقبت تلك الفترة وغيرها. هذا وقد أرجع البعض انتشار الإسلام

في تلك البلاد للحركة الصوفية وللدعاة المتجولين القادمين من أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي، وكانوا دعاة زهد وورع وتقوى.

• أحوال المسلمين في تلك البلاد:

أسلم أهل هذه البلاد، وكانت لهم كل الأرض، فزحزحوا عن أكثرها، وقبعوا بالجنوب من تلك الجزر الغنية الواقعة في الجنوب الشرقي من آسيا بين المحيط الهادي وبحر جنوب الصين، ولكن الحكومة الفلبينية الآن قتلتهم قتلاً شرساً مريعاً لإخراجهم مما بقي من أرضهم واستئصال شأفتهم بعنصرية صليبية حاكمة، تعاقب على قيادتها قادة تساندهم الصليبية العالمية والاستعمار الجديد، منهم: فرديناند ماركوس، وأكينو.

• اسم الفلبين:

اسم الفلبين يدلُّ على تاريخها الذي يعتبر فريداً من نوعه، فقد أطلق عليها هذا الاسم روي لوبيز أحد قادة الحملات الاستعمارية الإسبانية، فنسبها بذلك إلى فيليب أمير النمسا آنذاك، والذي أصبح من بعد ملكاً لإسبانيا باسم فيليب الثاني. وكان قد سبقه إلى المنطقة بأكثر من سبعين عاماً فرديناند ماجلان الذي عُرف بأنه رحالة برتغالي، ولكنه عند وصوله إلى المنطقة عام ١٥٢١م وسماها سانت لازار، كانت ممارساته تؤكد أن همه لم يكن هم رحالة جغرافي متكشف، فقد كانت لا تختلف عن الممارسات العدوانية لكولومبوس ضد الهنود الحمر في أمريكا، توطئة للحملات الاستعمارية التالية. وكان من وراء تمويل حملة ماجلان - مثل حملة كولومبوس - ملك إسبانيا، بعد كارثة المسلمين في الأندلس، فبدأ ماجلان بالاعتداء على أهل البلاد الأصليين، ومعظمهم من المسلمين.

فقد انتشر الإسلام عبر التجارة والدعوة، وقد نشب قتال بين المعتدين وأهل البلاد بقيادة عدد من أمرائهم، من أبرزهم: لابو لابو في جزيرة سيبو، الذي رفض التسليم لماجلان وأعوانه، وأسفر القتال بين الفريقين عن مقتل ماجلان ومعظم أعوانه، لتبدأ الحملات العسكرية الإسبانية الست، بعد أكثر من أربعين عاماً، كان

مصير أربع منها الإخفاق الذريع والهزائم المتوالية، قبل التمكن من السيطرة على أجزاء من جزر الشمال، ثم إسقاط الولاية الإسلامية التي كانت قائمة في مانيلا المحرقة من اسم «أمان الله» وحيث تقوم مانيلا الآن، وسرعان ما بدأ تنفيذ الصيغة الاستعمارية الصليبية الكاثوليكية كصورة طبق الأصل لما شهدته فلسطين والأندلس من قبل، بل وأطلق الإسبان على المسلمين في الفلبين اسم مورو، مثلما كانوا يسمون المسلمين في الأندلس.

بدأ ذلك العهد الاستعماري، عدواناً عسكرياً، واستغلاً اقتصادياً، وتنصيراً بالقوة، وتشريداً لمن يرفض التنصير إلى الجنوب، ثم الملاحقة بالحملات العسكرية في مينداناو وسولو وغيرهما من الجزر... التي كان يمكن أن ينقرض وجود المسلمين فيها أيضاً، لولا عجز الإسبان عن القضاء عليهم وعلى ثوراتهم المتتابة من بعد.

آنذاك، قبل ثلاثة قرون، وبحملات التنصير الاستعمارية تلك، بدأت كتابة الفصول الأولى من مأساة الفلبين، التي نعيش الآن واحداً من مشاهدها، تتركز الأنظار فيه على عملية الاختطاف الإرهابية لسياح أوروبيين دون العودة إلى جذور المشكلة ولا السؤال عما تعرّض له المسلمون من قبل.

لم يقتصر الاضطهاد الاستعماري على المسلمين، فبعد فترة من الزمن، بدأت ثورات غيرهم من سكان الفلبين الأصليين وحتى من المستوطنين الجدد ضد الاستعمار الإسباني، وكان من أشهر زعمائهم: خوزيه ريسال، الطبيب والشاعر والقائد العسكري، الذي أعدمه الإسبان عام ١٨٩٦م، ورغم ذلك نجحت ثورته في إعلان الاستقلال عن إسبانيا يوم ١٢/٦/١٨٩٨م.

• اشترتها أمريكا بثمن بخس:

في تلك الفترة، كان الإرث الاستعماري قد بدأ ينتقل من الأوروبيين إلى الأمريكيين، الذين خاضوا ضد الإسبان معارك الصراع على السيطرة والنفوذ في أمريكا الوسطى وجنوبها وفي البحر الكاريبي، وامتد صراعهم هذا إلى

المتعمرات الإسبانية في الفلبين، بعد أن أنهكت الثورات الوطنية الدولة الإسبانية، ف وقعت يوم ١٠/١٢/١٨٩٨ م على صفقة تجارية مع الأمريكيين، تضمنت بيع الفلبين بمبلغ عشرين مليون دولار، فيما عرف بمعاهدة باريس التي شملت كوبا وبورتوريكو بتلك الصفقة!

وخلال شهور معدودة، قضت الدولة الاستعمارية الجديدة على الاستقلال والدولة التي أعلنها الثوار، ومارست ما مارسه الإسبان عدواناً واستغلالاً وتنصيراً... بإتقان أكبر وبطش أشد، كذلك فكما صنعت فرنسا في الجزائر اعتبرت واشنطن الفلبين ولاية أمريكية، ولا تزال آثار البطش الأمريكي قائمة إلى اليوم، وقد وضع الجانب التعليمي تحت إشراف الإرساليات الكنسية، ودعم تملك الجزء الأعظم من الأراضي الزراعية في الجزر ذات الغالبية المسلمة، لا سيما مينداناو، للإقطاعيين من الكاثوليك، وهم دون الـ ٨٪ من سكان مينداناو، وأقل من ذلك في سواها من الجزر الجنوبية، ويسري هذا الأسلوب من الاستغلال على الثروات المعدنية أيضاً، عن طريق الشركات الأمريكية مباشرة أو عبر شركات تتعاون معها بملكية النصارى من أهل الفلبين في الشمال، ومع أن نسبة الفقيرين عامة السكان تزيد على ٤٠٪ فهي أكثر من ضعف ذلك في مناطق المسلمين، وتعدادهم أكثر من عشرة ملايين، وإن كانت المصادر الغربية تقول - منذ عشرين عاماً وحتى الآن - إنهم في حدود خمسة ملايين، وكأنهم لا يتكاثرون إطلاقاً في إطار ازدياد عدد سكان الفلبين خلال الفترة نفسها من أربعين إلى خمسة وستين مليون نسمة!

في ظل الاستعمار الأمريكي، لا سيما في الثلاثينيات الميلادية الماضية، كانت واشنطن هي التي تزرع جذور الإرهاب في المنطقة، فقراً وقهراً واضطهاداً دينياً وسياسياً واقتصادياً، وهذا ما أوصل هذه الأيام إلى عمليات من قبيل اختطاف الرهائن الغربيين، الذين أصبحوا ضحية قضية لا علاقة لهم بها.

في عام ١٩٣٤ م وبعد ما عرف بالأزمة الاقتصادية الدولية الكبرى، وظهور بوادر الحرب العالمية الثانية، حصلت الفلبين على حكم ذاتي يقي على السيادة

الأمريكية فيها، حتى إذا سيطر اليابانيون عليها عام ١٩٤١ م وأقاموا حكومة شكلية بعد عامين، ثم أخرجوا منها عام ١٩٤٥ م وعاد الأمريكيون، أصبح متحيزاً من الناحية السياسية تجاهل حق الفلبين في الاستقلال، فلجأت واشنطن إلى أسلوبها الاستعماري الثاني، فكانت معاهدة الاستقلال يوم ٤ / ٧ / ١٩٤٦ م مقترنة بسلطة من الاتفاقات لتثبيت أقدام الاستعمار الجديد كما عرفت معظم البلدان النامية بعد الحرب العالمية الثانية، وحصل الأمريكيون على سائر ما أرادوه من امتيازات سياسية، واقتصادية، وعسكرية. لهذا فضلاً عن تبعية الحكومات الفلبينية لهم، وأولاهها في عهد مانويل روكساس، الذي كان في مقدمة تصريحاته كرئيس للدولة المستقلة، كيل المديح للولايات المتحدة الأمريكية الدولة الديمقراطية النموذجية.

أمّا الفلبين فلم تعرف الديمقراطية ولا الاستقلال الحقيقي عن النفوذ الأمريكي طوال خمسين عاماً تالية.

• المسلمون يعاملون غيرهم بالاحسن:

رغم التاريخ الطويل للاستعمار الإسباني والأمريكي، ورغم ما حفل به من اضطهاد شبيه بما وجده المسلمون في الأندلس وفلسطين على وجه التخصيص، لم يُعرف عن المسلمين في الفلبين، ولم يتهمهم أعداؤهم في الداخل أو في الخارج، بأنهم استخدموا أساليب إرهابية مماثلة، في معاملة أعدائهم من الأجانب أو المتعاونين معهم من داخل البلد ضد فريق من أهل بلدهم على غير دينهم، وهذا لزمّن طويل، وجيلاً بعد جيل، مما يعود إلى تكوين شخصية المسلم فيما يعرف بأرخييل الملايو الذي يضم إلى جانب الفلبين: ماليزيا، وإندونيسيا.

وأبرز خصائص هذه الشخصية: التحلي بالصبر وروح التسامح. وهذا بعض ما يدفع بالمقابل دفعا إلى التساؤل عن حجم ما تعرضوا إليه من اضطهاد بأشكال ودرجات إضافية من بعد، حتى بدؤوا يلجؤون في وقت متأخر إلى استخدام العنف في السعي للحصول على حقوقهم.

• جبهات التحرير الإسلامية:

* الثورة على ماركوس:

لم تندلع ثورة المسلمين في جنوب الفلبين إلا بعد أن استلم فرناند ماركوس السلطة بستة أعوام، فحتى بداية رئاسته عام ١٩٦٥م، كان المسلمون لا يحصلون على سائر حقوقهم، ولكن كان في إمكانهم التعبير عن المطالبة بها على الأقل، عبر مشاركتهم المحدودة في أجهزة الحكم، أو عبر الجمعيات والأحزاب التي يشكلونها، وكان منها جبهة تحرير مورو الوطنية التي أسسها نور ميسواري عام ١٩٦٩م، وكانت بمثابة رد فعل على تشكيل عصابات الفئران والأخطبوط الكاثوليكية، والتي لم تنقطع اعتداءاتها الوحشية على السكان المسلمين في الجنوب، بدعم من جانب ماركوس، بالسلاح والتدريب، وأحياناً عبر تدخل الشرطة ثم القوات العسكرية في فترة لاحقة. حتى إذا وصل ماركوس بأسلوب التصعيد إلى الذروة، وأعلن الأحكام العرفية في جزر الجنوب الإسلامية، آنذاك فقط، في عام ١٩٧١م، اندلعت ثورة المسلمين في الجنوب.

لم يكن ماركوس حاكماً مستبداً على الصعيد الداخلي فحسب، بل كان مرتكزاً في منظومة الهيمنة الأمريكية بكاملها فيما يسمى الشرق الأقصى، وإن مسؤولية تصعيد اضطهاد المسلمين في عهده، وإشعال فتيل الحرب، هي مسؤولية أمريكية مباشرة، فما كان ماركوس يعقد أمراً، أو يتخذ إجراءً واحداً بهذا الحجم، دون الموافقة الأمريكية المسبقة.

رغم ذلك، بقيت ثورة المسلمين في جنوب الفلبين تترفع عن ممارسات مماثلة لما كانوا يتلقونها، حرقاً للقرى وتهجيراً للسكان، واعتقالات جماعية، ومصادرة للممتلكات، بل كان المقاتلون الثائرون يركزون طاقاتهم على مواجهة الجيش الفلبيني في أراضيهم، وهذا من أسباب تزايد الضغوط عالمياً على ماركوس في السبعينيات الميلادية، حتى اضطر إلى عقد معاهدة عام ١٩٧٦م في طرابلس الغرب بليبيا، وفيها تم الاتفاق على حصول ثلاث عشرة مقاطعة في الجنوب على الاستقلال الذاتي لصالح المسلمين فيها، وبعد أربعة شهور فقط، نكث ماركوس بوعده وبتوقيعه،

وجدد القتال رغم عدم وقوع ما يبرر ذلك ، وهو ما لم يتهم به المسلمون في المنطقة أصلاً.

ولئن وجدت حركات التحرير نفسها قد اتهمت بتعدد زعمائها ونزاعاتهم وتطرف بعضهم، فهذا ما لا يسري على المسلمين في جنوب الفلبين بالذات، فقد ظهرت جبهة أخرى جديدة عام ١٩٧٨م، وحملت اسم جبهة تحرير موور الإسلامية بزعامة سلامات هاشم، ويقدر عدد عناصرها بعشرات الألوف، وكان ظهورها بعد عامين من النكوص عن الاستقلال الذاتي وعن وقف العمليات العسكرية الحكومية، وبعد إخفاق محاولات الجبهة الوطنية بزعامة ميسواري في تحقيق أي إنجاز جديد خلال هذين العامين، ثم كان الانشقاق الثاني في عام ١٩٩١م عندما ظهرت جبهة التحرير الإسلامية بزعامة أبو سيف، والتي تحمل المسؤولية عن عمليات احتجاز الرهائن في الوقت الحاضر، فكان ذلك بعد مرور خمسة عشر عاماً على اتفاقية الحكم الذاتي من جهة، وبعد أن ظهرت اتفاقية جديدة، هبطت بعدد المقاطعات التي تحصل على الحكم الذاتي من ١٣ إلى ٤ فقط.

وكما تخلّت الدول الإسلامية عن المسلمين في جنوب الفلبين في السبعينيات، وهم يتعرضون لأشد درجات الاضطهاد في عهد ماركوس، فقد كان الدور الذي قامت به في التسعينيات الميلادية، هو تمرير الاتفاقية التي أخرجت جبهة موور الوطنية من ساحة القتال، دون الحصول على مقابل ولا السعي في وقت لاحق للحصول على ضمانات كافية لتنفيذ البنود المتعلقة حتى بالحكم الذاتي الجزئي في أربع مقاطعات فقط بعد أن كانت ثلاث عشرة مقاطعة، ناهيك عن الجوانب الاقتصادية والتعليمية والإدارية وغيرها.

• في قضية الرهائن الأخيرة:

إنّ التعامل مع مأساة الرهائن الغربيين (ويوجد في جنوب الفلبين عشرات سواهم من الوطنيين الرهائن، ولكن لا يجدون اهتماماً دولياً مماثلاً)، يجب أن يقوم على أربعة مرتكزات لا ينفصل أحدها عن الآخر:

١ - عمليات العنف التي تصيب فريقاً من الأبرياء من خارج الساحة كلية، مرفوضة بسائر أشكالها، ولا مجال في إدانة العنف لاستثناء حالة من الحالات استناداً إلى أسباب أو تبريرات ما .

٢ - إنَّ من يدين شكلاً دون آخر من أشكال العنف، يفقد مصداقيته، ولا قيمة لمواقفه وإن وضعها في قالب دفاع عن حقوق وحرريات وقيم وأخلاق، وهذا يسري أول ما يسري على واجب إدانة الإرهاب الذي يحمل عناوين رسمية، وتمارسه حكومات وجيوش بإمكانات ضخمة، ضد السكان أو فريق من السكان في أي بلد من البلدان .

٣ - إنَّ الذين يتحركون في ساحة الإرهاب في أيرلندا الشمالية مثلاً، بأسلوب البحث عن حلول سياسية، وعبر النظر في جذور المشكلة، ولا يصنعون لذلك في مثل مأساة الأحداث الراهنة في جنوب الفلبين، إنَّما يساهمون بذلك في ترسيخ أسباب انتشار مزيد من الإرهاب بدلاً من مكافحته من جذوره على المستوى العالمي، سيان ما زعموه لأنفسهم من احتكار موقف الصدارة في مكافحة الإرهاب الدولي .

٤ - إنَّ مبدأ العدوان بالمثل، كما يقرره الإسلام ويقر به حق المقاومة المشروع، يختلف المقاييس المنطقية، مبدأ يقرر في الوقت نفسه أن يكون الرد (على من اعتدى عليكم)، ولا يندرج تحت وصف (من اعتدى عليكم) القيام بعمليات مسلحة ضد من لا علاقة لهم بساحة العدوان القائم، أمَّا الذين يلجؤون إلى إدانة الإسلام عبر إدانة عملية استخدمت اسمه، فهذا افتراء مقصود يضللون به العامة، وهم بذلك يحملون قسطاً كبيراً من المسؤولية عن نشر مزيد من أسباب الردود الانفعالية على استفزازاتهم وافتراءاتهم وازدواجية معاييرهم^(١) .

• صمم العالم المتعمد:

خلال نصف قرن من جهاد المسلمين، يسقط في ساحة الشهداء ٦٠ ألفاً من

(١) مجلة المجتمع، العدد (١٤٠٢) .

المسلمين، رغم صمود شباب الإسلام وتضحياتهم، ومع نقص السلاح والعتاد لا يفتر المسلمون عن الدفاع عن بلادهم وسط زخم الاستعمار والصليبية الحاقدة، والوحشية المنقطعة النظير، حيث كان الهجوم على المساجد مستمراً. ففي قرية تانيلي ببلدة كارمن مقاطعة كوتاباتو قتل في مجدها ٦١ وجرح ٧٢ وكان الصليبيون ينطلقون في عصابات الأخطبوط، والفئران الكاثوليكية، لصيد المسلمين ويضعون تسعيرة لأوصال المسلمين:

أذن المسلم ١٠٠ بيزوس، أنف المسلم ١٠٠ بيزوس، أصبع المسلم ٥٠ بيزوساً، كف المسلم ٢٥٠ بيزوساً، عين المسلم ١٠٠٠ بيزوس.

وفي ٢١ يولية سنة ١٩٧١م يقف محافظ مانيلا في مؤتمر مديري الجامعات ليقول:

«إنها مناسبة أو مصادفة أن يتوافق انعقاد مؤتمرهم مع الذكرى الأربعمئة على تنصير مانيلا بعد أن اجتاحت الإسبان آخر سلاطين المسلمين في إمارة (تونسدد) التي كان يحكمها راجا سليمان وإمارة ياسيج التي كان يحكمها راجا كندولا».

هل رأيت كيف فعل الضعف والوهن بالمسلمين، وكيف صار أمرهم إلى هوان، فإذا قام المسلمون يدافعون عن أنفسهم اليوم ضد الظلم، هل يسمع العالم؟ بل ليته لا يصفا بالإرهاب!!!

• الجبهة الإسلامية والتفوق العسكري:

تعتبر الجبهة الإسلامية حركة هامة في ميزان الصراع في الفلبين لدرجة كبيرة، ويرتبط مستقبل المسلمين هناك بمواقفها ووضعها، فقواتها تقدر بحوالي ٨٠-١٢٠ مقاتل، ويدعمها ٣٠٠ ألف آخرون من غير المتظمين بشكل دائم... وقد أنفق الجيش في المواجهة معها منذ فبراير ١٩٩٩م إلى يناير ٢٠٠٠م (٢١، ٤) مليار بيسو.

وقائدها الشيخ أو «الأستاذ سلامات هاشم - كما يسمونه...» وُلِدَ لأب مزارع في إقليم كوتاباتو، الذي يُسمَّى اليوم باسم إقليم ماغوانداناو، قبل ٥٧ عاماً، وتخرج في الأزهر الشريف، من كلية أصول الدين، وحصل على الماجستير في

الفلسفة، وحضر رسالة الدكتوراة عن انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا، لكنه فقد بحثه عندما احترق بيته في باغروان بهجوم الجيش أواخر عام ١٩٧٣م. وقد قضى ٢١ عاماً خارج بلاده، معظمها في أرض الكنانة، كما بقي في ليبيا وباكستان والسعودية. وبعد سنوات من العمل والنشاط الطلابي أينما حلّ في دراسته بين الطلبة الفليين والآسيويين، كانت نتيجهها مجتمعة، تأثره بفكر الصحوة الإسلامية في البلاد العربية وباكستان.

وكان قد بدأ التحرك مع أخيه نور ميسواري لتأسيس الجبهة الوطنية في أواخر الستينيات لمواجهة الحملة البشعة آنذاك ضد المسلمين في الفلبين، إلى أن وقعت اتفاقية طرابلس المذكورة آنفاً بين ميسواري والحكومة في ديسمبر ١٩٧٦م، حيث اعتبر سلامات هاشم والجناح الإسلامي، وخاصة القادة الميدانيين، الاتفاقية «خدعة وخينة»، وانفجر الخلاف بينهما، ودعا القادة الميدانيون ميسواري آنذاك إلى التنازل عن قيادة الجبهة التي أصرّ في البداية عليها، وأن يترك المجال لسلامات هاشم، لكنه رفض التنازل.

وفي عام ١٩٧٨م، وللخروج من هذه الأزمة في القيادة والمنهج، انطلقت جبهة تحرير مورو الإسلامية، وكان هدفها هو الاستقلال وليس الحكم الذاتي كما هو موقف ميسواري. ولم يكن سلامات وحده، فقد كان معه ٩٠ من قيادات الجبهة الآن، ومئات من الشباب الذين زاد عددهم ليصل إلى مئات الألوف.

ولم تتوقف الجبهة منذ تأسيسها عن الجهاد، ولكنها - في نفس الوقت - لم تتخلّ عن التفاوض. وقد تفاوضت مع الحكومة منذ أيامها الأولى، ولكن بدون نتيجة؛ لرفض الحكومة الاستجابة لمطالبها، فمِنذ أن انشق سلامات هاشم عن الجبهة الوطنية عام ١٩٧٨م، وخلال عيشه في المنفى في القاهرة وغيرها، بدأت الفلبين بإرسال وفد تفاوضي للقاء به أو بمن معه. وفي عام ١٩٨٦م أعلنت الجبهة الإسلامية استعدادها للحوار مع الحكومة إلى جانب ميسواري في إطار لجنة موحدة بعد جهود المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي. كما حصلت لقاءات أخرى لم تطل

كغيرها، وبدون نتيجة في عام ١٩٩٢م، وفي عام ١٩٩٦م. وعادت المفاوضات منذ يناير ١٩٩٧م، إلى أن وقعت هدنة في ١٨/٧/١٩٩٧م، وتم تشكيل لجنة تنسيق من الطرفين ومن رجال الدين والعلماء لمراقبة ساحة القتال، لكنها احترقت من الجانبين مئات المرات، وتبادل الطرفان الاتهام بانتهاك الاتفاقية، ولم يكتب لها النجاح.

وفي فبراير عام ١٩٩٩م أعلنت الجبهة مرة أخرى عزمها على الاستقلال، وثار ساحة القتال، وكادت أن تكون النتيجة لصالح الجبهة، ثم حصلت اتصالات في الشهور التي تلتها، وطالبت الحكومة بقاء بين الرئيس الفلبيني وسلامات هاشم، ووافق سلامات في حديثه مع مستشار الرئيس (استيرادا) على بدء المحادثات واللقاء بـ (استيرادا)، لكن اللقاء تعثر. فالرئيس (استيرادا) عندما ترشح للرئاسة تحالف مع سياسيين متشددين يرفضون الحل السلمي الذي يخدم مسلمي الجنوب ويمنحهم أساسيات مطالبهم.

● لماذا التفاوض؟

من الأسئلة التي طالما يطرحها المراقبون حول موقف الجبهة الإسلامية: لماذا إذن المفاوضات طالما أن هدف الجبهة هو الاستقلال؟

ويحدد سلامات هاشم وجهة نظر الجبهة حول هذا الأمر بالقول: «إنَّ الهدف أولاً هو إثبات حُسن النوايا وأن المسلمين لا يغلقون باباً أمام حل سياسي يُنهِي الصراع».

ولكن الدرس الذي تعلمته الجبهة الإسلامية من مفاوضات ميسواري هو اعتبار المفاوضات والاستمرار في الإعداد العسكري والتنظيم في المناطق المحررة جنباً إلى جنب مع طُرق باب التفاوض وإسناد الحوار السياسي لخبراء الجبهة من السياسيين وعدم انشغال القيادة العليا بها.

وأما هدف المفاوضات الثاني: فهو إقناع الحكومة الفلبنية بضرورة الحل السلمي لمشكلة المسلمين، وذلك باستفتاء الشعب الموروي، وتخيره بين ثلاثة أمور:

١ - الحكم الذاتي الحقيقي والشامل لكل أراضي المسلمين وأقاليمهم الـ ١٣ وليس الـ ٤ التي يحكمها ميسواري فقط .

٢ - الفيدرالية مع الفليين ، وهو حل أفضل - بلا شك - من مجرد حكم ذاتي ضيق الصلاحيات ، وهو كذلك ما تفضله الجبهة لو استحال الاستقلال .

٣ - الاستقلال الكامل ، وذلك من خلال استفتاء شعبي في المناطق ذات الأغلبية المسلمة في الأقاليم ، والجزر الخمسة الرئيسة ، وهي : ماغويندانا ، وبازيلان ، ولاناو ديل سور ، وصولو ، وطاوي - طاوي ، وبعض المديريات المبعثرة خارج هذه المناطق .

هذا بالرغم من أن جميع أراضي مينداناو والجزر المجاورة أراض إسلامية تاريخياً ، لكن الهجرات النصرانية من الشمال أدت إلى تغير التركيبة السكانية في بعض المناطق ، مما قد يؤثر على نتيجة الاستفتاء ، ولذلك لا تطالب الجبهة تنظيم الاستفتاء فيها ، كما لا تقاتل حالياً لاستعادتها . وتطالب الجبهة بأن يشرف على الاستفتاء المطلوب من قبل طرف ثالث كالأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي وبعض الدول الإسلامية ؛ وذلك حتى تتلافى تجربة الاستفتاءين السابقين اللذين لم تلتزم الحكومة بنتائجهما .

وبالرغم من تزايد شعبية مطلب الاستقلال بين مسلمي الجنوب ، فإنّ سلامات يقول :

«لورفض الشعب الاستقلال ، فتنازل عن هذا المطلب ونرضى بالحكم الذاتي ، فنحن من هذا الشعب وهم منا ، ولا نقاتل إلا من أجل -حياته» .

وتتهم الجبهة الإسلامية الحكومة بأنها لا تسعى بشكل جدي لحل الصراع إلا بهدف تخليص الحكومة المركزية من توابعها الاقتصادية ، وليس بهدف إصلاح أحوال مسلمي الجنوب ، ويمكن فهم هذا الاتهام من خلال مواقف الحكومة التي تعودت على إملاء حلولها وتوصيفها لطبيعة الصراع ، وهو بالطبع ، اغتصاب حرية

وحق تقرير المصير لكل شعب احتلت أراضيها وحكم من قبل الغير دون رضاه .
ولذلك تسعى الجبهة للانفصال عن الفلبين ، وتتفاوض معها ليس من قبيل الاعتراف
بسيادتها ، ولكن من قبيل التفاوض مع دول أجنبية .

وفي آخر حوارات سلامات هاشم مع صحيفة فلبينية ، أشار إلى عدة قضايا ،
منها : أن الجبهة تعتمد كثيراً على دعم سكان مورو . وأكد أن الجيش الفلبيني يريد
استمرار المعارك لأهداف سياسية داخلية ، أهمها : تحطيم الرئيس استرادا .
ويقول سلامات هاشم :

«إن الوقت قد حان لأن نحاول جبهته إقناع منظمة المؤتمر الإسلامي بأنها أخطأت
عندما أقنعت ميسواري بتحديد المفاوضات ضمن الدستور الفلبيني ، وذلك بعد أن
أثبت الواقع فشل تنفيذ اتفاقية طرابلس وتنفيذ ما جاء في اتفاقية الحكم الذاتي التي لو
نجحت لاقتنع الشعب الموروي بحل ميسواري ولما بقي لنا تأييد ، لكن ذلك لم
يحصل» .

ولذلك تدعو الجبهة إلى اتفاق - إن تم ! - يضمن مستقبلاً آمناً ومحتقراً لسكان
مينداناو والأجيال القادمة قائم على حقهم في تقرير المصير ، خاصة مع فشل تجربة
تطبيق اتفاقية طرابلس في عهد الرئيس السابق راموس لبعض الوقت ، واعتقاد غالبية
مسلمي الجنوب ، أن تجربة ميسواري ، ودور مجله المسمي بـ «مجلس الفلبين
للسلام والتنمية» ، الذي يواجه صعاب شديدة «فاشلة ولم تحل معضلة مسلمي
الجنوب» .

• ثروات المسلمين لغيرهم!

ومما زاد الأمر سوءاً ، أن مناطق المسلمين أراض أودع الله - تعالى - فيها خيرات
كثيرة ، لكنها تُستغل لصالح رفاة غيرهم ، ويتركون يعانون من الفقر والجهل وعدم
الاستقرار في حياتهم . فالفلبين قطعت شوطاً لا بأس به من الناحية التنموية في
محافظة الشمال ، لكن مناطق المسلمين الجنوبية ، ظلت في آخر جدول أعمال
الحكومات ، إلا من إنفاق ٤٠ مليون بيسو يومياً لتمويل الصراع مع المسلمين ! ومع

أنَّ هناك مشاريع صناعية وتعدينية قد يراها الزائر للجنوب ، فإنَّها ليست إلا لاستخراج خيراتها ودعم ميزانية الحكومة المركزية بها من تصدر - لصالح ميزان المدفوعات الفلبيني - للذرة والذهب والأخشاب والبُن وجوز الهند والأسماك والمطاط والموز واللحوم والأرز والفحم .

ومن الأمثلة على ذلك : ما يحصل في مدينة بريرة التي يفتقد أهلها لمعظم مرافق الحياة الخدمية ، مع أنَّ المليارات تُدرُّ على التجار من مانيلا من بيع الأخشاب التي حولها ، كما أنَّ ٢٥٪ من إنتاج البلاد من الأرز ، و ٧٠٪ من الذرة يخرج من مينداناو .

وكانت آخر الاكتشافات المعدنية ما أعلن عنه الرئيس الفلبيني يوم ٥ / ٥ / ٢٠٠٠م عن اكتشاف أكبر حقول النفط والغاز في الفيليبين بالقرب من جزيرة بالاوان الجنوبية ، والتي تحوي ٨٠٪ مليون برميل من المخزون ، وسيبدأ إنتاج ٢٥ ألف برميل يومياً منها العام القادم و ٥٠ ألف برميل يومياً عام ٢٠٠٣م ؛ مما يساعد الفلبين في تخفيض حجم استيرادها للنفط بنسبة ١٥٪ يومياً ، وللشركات الأمريكية حصة ٤٥٪ من ذلك ، دون أن يحصل مسلمو تلك الجزيرة على شيء . وتقول الدراسات : إنَّ هناك ٢٠٠ مليون برميل من المخزون النفطي في المنطقة نفسها .

وبشكل عام ، يُعدُّ مستوى النمو الاقتصادي في مينداناو الأسوأ بين جزر الفلبين ، ففيها اليوم أفقر ١٥ مقاطعة في الفلبين ، وأعلى نسبة أمية (٧٥٪) ، وأقل متوسط للأعمار بسبب الحروب وتدني الخدمات الصحية (٥٧٪) . وبهذا يمكن فهم تزايد غضب السكان على الحكومة من النافذة الاقتصادية أيضاً ، فبعض الذين انضموا للمقاومة المسلحة - على قُلَّتْهم - لم يكن لديهم الوعي الديني لقتالهم الحكومة ، ولكنه الغضب على الأوضاع المعيشية المزرية التي يعانونها .

• عرض الحكومة الأخير:

خلال المفاوضات الأخيرة (وهي ما عرفت بالجولة الرابعة لما أسمىناه بال مسار الثاني) في ٣٠ / ٥ / ٢٠٠٠م ، رفض الرئيس استرادا مقترح هدنة لمدة ٤٠ يوماً ، وهو

ما يؤكد عزم الجيش على تحقيق تقدّم عسكري قبل كل شيء بالرغم من دعوة سياسيين فلينيين عديدين لذلك ، ومنهم الرئيسة الفلبينية السابقة .

الحكومة من جانبها ، ومع رفضها المعروف لانفصال الجنوب ، كانت صيغتها شبه النهائية للحل ، ما قاله الرئيس استرادا على شكل تهديد ، حيث عرض اتفاقاً يضم أربع نقاط «قابلة للنقاش» ، ولكن تبدو الحكومة مصرّة عليها بشكل حكم ذاتي أو حتى نظام فيدرالي لكن النقاط الأربعة المقصودة ستكون ك شروط حكومية ، وهو ما قد يفشل المفاوضات بالكامل ، وتنتظر الحكومة رد الجبهة قبل التقاء الطرفين مرة أخرى يوم ٦/٢٨ . والشروط الحكومية هي :

- لزوم اعتراف الجبهة الإسلامية بمبدأ «بند واحد ودستور واحد» ، وهو بمعنى آخر : الاعتراف بشرعية الحكم الفلبيني لمناطق المسلمين ، وهذا قد يوقع الجبهة الإسلامية في نفس الفخ الذي وقعت فيه الجبهة الوطنية سابقاً . فالاعتراف بالدستور الفلبيني يضيّق سبل الحلّ ، وهو ما لم تفرضه إندونيسيا مثلاً في تعاملها مع تيمور الشرقية .

- الاعتراف بحق الدولة في الحفاظ على «وحدة البلاد الجغرافية كبلد واحد وتثبيت النظام والقانون» ، وهو ما يعني إيقاف الجبهة لكل العمليات العسكرية ضد الحكومة ، واعتبار ذلك عملاً إجرامياً تحاكم عليه الجبهة أو أفراد منها ، وقد بدأت الحكومة رفع قضايا ضد قادة الجبهة بالفعل .

- تُقبّل الخطط التنموية والاقتصادية الحكومية لتطبق في مناطق المسلمين ، وهذا كذلك شرط ذو أبعاد وتأثيرات سياسية أكثر من كونه شرطاً اقتصادياً ، وتحاول الحكومة استخدام سلاح التنمية لثني المسلمين عن مطالبهم الاستقلالية !

- التزام الحكومة بتطبيق اتفاقية الحكم الذاتي للجبهة الوطنية ، وهو ما يعني عدم التعامل مع الجبهة الإسلامية كبديل ، ولكن كطرف آخر في منطقة أخرى ، وهو ما يؤدي إلى تعميق انقسام المسلمين إلى شبه دويلتين ! أو من ناحية أخرى ، توسيع حكم ميسواري الذاتي على أساس قانون البرلمان رقم ٧٨٨٣ ، والذي بموجبه تسلم ميسواري حكم ٤ أقاليم عام ١٩٩٦ م ، إلى ١٤ إقليماً و ١٠ مدن في مينداناو

وبالاولان، كما تقول مصادر في القصر الرئاسي، وهو ما قد يعني أنها محولة ليس لتأسيس دويلتين للمسلمين ولكن لاحتواء الجبهة الإسلامية في ظل الجبهة الوطنية مع أن الثانية أضعف منها.

وقد حذر الرئيس استرادا الجبهة من أن هذه المفاوضات هي «آخر الفرص وأفضلها»، رافضاً كل المحاولات لتأسيس دولة مستقلة في الجنوب، قائلاً: «إما مقترح يونيو أو الحرب!». وتريد مانيللا التوصل، ولو لحل شكلي قبل اجتماع وزراء خارجية الدول الإسلامية في كوالالمبور في نهاية شهر يونيو الجاري من عام ٢٠٠٠م.

وقد قال أحد المتحدثين باسم الجبهة في ٢/٦/٢٠٠٠م رداً على طرح الحكومة لتصوراتها السابقة: «إنَّ الجبهة الإسلامية لن توافق بالتأكيد على عرض الحكومة، لهذا ليس هزلاً ولا يمكن حل صراع طويل يأملاء حلولهم وتعيين نتيجة معينة للمفاوضات، فنحن نريد التفاوض حول حل معين وإلا لانفجر الخلاف من جديد، وبعد كل هذا الزمن الطويل، لم يعطونا إلا هذا العرض».

• خيار الفيدرالية:

دعا رئيس مجلس الشيوخ الفلبيني إلى دراسة مقترح الحكم الذاتي الموسع الذي تقدّمت به الجبهة الإسلامية كأحد الحلول، حيث أهملته الحكومة على حد قوله، لمجرد كونه مقدماً من قبل الجبهة، وأما خيار الفيدرالية فهناك من المسؤولين الحكوميين من يرى أنه أفضل من الحكم الذاتي تأسيساً بالنموذج الأمريكي للحكم.

كما كرر تأييد فكرة الفيدرالية يوم ٣٠/٥/٢٠٠٠م السيناتور أكويلينو بيميتل كحل وسط، ووصفها بأنها «تستجيب لمطالب سكان ميناناو، وتمنع انقسام الفلبين، وتؤسس سلاماً عادلاً ودائماً في الجنوب».

وأعلن السيناتور بيميتل مقترحاً كاملاً؛ لتحويل الفلبين إلى دولة فيدرالية لحل مشكلة الجنوب وتخليص الفلبين مما تكلفه حربها بدون الاضطرار إلى مواجهة خيارات أصعب قد يكون الانفصال نهايتها، وهو ما ترفضه حكومة مانيللا تماماً، فقد اقترح بيميتل أن تقسم الفلبين إلى ١١ ولاية، وأن تكون لكل منطقة استقلالية في

توزيع ثرواتها لإخراج الفلبين من تهمة تحيزها في التوزع ضد مناطق المسلمين . وعلى أساس مقترحه تقسم جزيرة لوزون إلى ٤ أقسام . وفيساس إلى ٣ أقسام ، ومينداناو إلى ٣ أيضاً ، وستكون العاصمة منطقة خاصة مثل واشنطن أو كانبيرا الاسترالية أو كوالالمبور الماليزية .

ولتطبيق ذلك ، لا بد من تعديل دستور الفلبين لعام ١٩٨٧م ، بعد إقناع الشعب الفلبيني وأعضاء البرلمان بأهمية ذلك ، ومصادقتهما على التعديلات والمقترح الذي قد لا يأخذ حيز التنفيذ الفعلي بعد أداء التجهيزات الأولية خلال عام أو عامين . ودعا إلى دراسة نماذج تقليدية من الأنظمة الفيدرالية مثل ألمانيا وسويسرا ، وقد أيد ٤٦ عضواً من الكونجرس مقترح الدولة الفيدرالية وخاصة الأعضاء الممثلين لجزر الجنوب التي تشهد سخونة الصراع . وقد أقر مجلس الشيوخ تحديد جلسة لمناقشة المشروع الفيدرالي في الأسبوع الثالث من شهر يونيو الجاري^(١) .

• العودة إلى حرب السبعينيات:

تطورت الأحداث بشكل سريع منذ شهرين وخاصة منذ نهاية شهر أبريل الماضي في ساحة القتال بين الجبهة الإسلامية والحكومة ، لكن أزمة الرهائن حققت نتيجة سلبية من بدايتها بإبعاد الأنظار عن الأحداث التي تقرر مصير المسلمين في جنوب الفلبين التي لم تهدأ حتى كتابة هذه المطور ، فقد اختلفت عن المعارك الماضية في حجم الضحايا الذي يوضح اتساع دائرة أرض المعركة وتكثيف الهجوم على مناطق المسلمين التي يتركز فيها تأييد الجبهة الإسلامية وفي أهدافها أيضاً . وكانت الجبهة الإسلامية ، ورداً على هجمات الجيش في مناطق المسلمين ، سيطرت على مديرية تلايان في إقليم ماغينداناو قبل أربعة أشهر ونصف . وفي شهر مارس الماضي سيطرت الجبهة كذلك على مدينة كاوساغان في إقليم لاناو دي نورتي ، بعد أن هجم الجيش مرة أخرى على معسكرات عديدة ، ومنها معسكر بلال ، خاصة عندما كان آخر تحركات الجبهة رفض التراجع عن السيطرة على جزء من طريق راموس -

(١) رسالة الإخوان المسلمين ، العدد (١٩٢) ، الجمعة ، ٢١ ربيع الأول / ١٤٢١ هـ - ٢٣ / ٦ / ٢٠٠٠ م .

ماركيسو السريع الذي يبعد بضع كيلو مترات عن معسكر أبو بكر، ويبلغ طوله ١٨٤ كم. وكانت الجبهة قد حافظت على نقاط تفتيش لها؛ لحماية معسكرها الرئيس. والجدير بالذكر، أن المعسكر قد أُسس عام ١٩٨٤م، بينما عبّدت الحكومة الشارع الرئيس عام ١٩٩٥م، ووافقت الجبهة على رصف الطريق لخدمة السكان، شريطة أن لا يقترب الجيش من المعسكر، لكن الحكومة اليوم تطلب من الجبهة أن تنح من الطريق إلى معسكرها، مما اعتبرته الجبهة تحدياً لها وإضعافاً لخطوطها الأمامية، ووقع الاختلاف عندما طالبت الجبهة من الحكومة الاعتراف بـ ٤٦ معسكراً لها تخطط حولها حدود رسمية وهو ما لم تصادق عليه الحكومة وترفضه.

وفي يوم ٢٧/٤/٢٠٠٠م اتفقت الجبهة والجيش على آلية مشتركة لنقاط التفتيش، ولكن في اليوم التالي بدأت القوات التابعة للبحرية الاقتراب من معسكر أبو بكر تحت غطاء وجود اتفاقية، فوجهوا بإطلاق نار من حرس المعسكر، الأمر الذي كان ينتظره جنرالات الجيش لإعلان الهجوم الكبير على قوات الجبهة المسيطرة على الطريق السريع، وذلك في يوم ٢٩/٤/٢٠٠٠م الذي بدأت فيه الحرب الشرسة تدور رحاها وإلى اليوم.

الهجوم من جانب الجيش الذي لم تشهد المنطقة بهذا الشكل منذ عقود، دفع الجبهة إلى تجميع قواتها والرد بهجوم عليه كانت حصيلة مئات القتلى والجرح من الطرفين، عدا المهجرين من المدنيين، وعدم عقد المفاوضات التي كانت منتظرة خلال شهر مايو الماضي.

وكان الجيش الفلبيني قد صمم بعد أن مال الرئيس الفلبيني لرأي المتشددين من السياسيين حوله، على الاستمرار في المعارك؛ لإضعاف شوكة الجبهة، ورفض الهدنة التي أعلنتها الجبهة يوم ٥/٥، قائلاً في خطابه الرئاسي:

«إنني أعرض السلام لمن يريدون السلام، وأعد من يريد الحرب بالهزيمة».

وفجّرت في الساعات نفسها عدة عبوات ناسفة في مناطق يسكنها المسلمون، وزادت حملة العداء ضدهم حتى حصلت حادثة اختطاف لمجموعة من سكان مدينة

دافاو المسلمين دون أن يذكر أحد عنهم شيئاً. وطالبت بعض الجماعات المسيحية بتفريغ مينداناو من المسلمين في ١١ / ٥، ونسي هؤلاء أنهم هم المهاجرون إلى مينداناو وأن المسلمين هم أهل الأرض الأصليون! هذا في الوقت الذي اتجه كثير من السكان لشراء السلاح ووضعوه في منازلهم حتى نفدت مخازن بائعي الأسلحة. وفي يوم ١٣ / ٥ أعلن الجيش أنه بحاجة إلى ٣٠ ألف مقاتل من القوات الشعبية.

وفي ١٢ / ٥ أُجريت مفاوضات سرية بين الجبهة وأحد أطراف الحكومة خارجة عن إطار المفاوضات الرئيسية، لكنها لم تخرج بأي نتيجة، عندما رفض الرئيس مقترح الجبهة بهدنة مؤقتة للتمهيد للحوار في نفس اليوم الذي صرّح فيه أحد قادة الجيش بأنهم «يواجهون مقاومة مستميتة من قبل شباب الجبهة».

وبعد ذلك بيوم، اتهمت إحدى المنظمات النصرانية الرئيس استرادا باتباع سياسة «حرب القتل الجماعي لملمي مورو بإعلانه الحرب الشاملة على الجبهة الإسلامية».

وبعد سلسلة معارك، انحبت الجبهة الإسلامية من طريق راموس السريع يوم ١٦ / ٥، ودعت الحكومة إلى تقبل هذا التنازل العسكري، وإيقاف قصف مناطق المسلمين، وذلك رداً على قول قيادات الجيش إن هدفهم من الهجمات الأخيرة هو السيطرة على الطريق السريع وتم نداء لجنة تقصي الحقائق المستقلة، ولكن ذلك لم يوقف هجمات الجيش.

وفي ١٨ / ٥ حدثت عدة تفجيرات في مدن جنوبية كزامبوانغا، وكان معظم الضحايا من المسلمين، وقصفت منطقة معسكر أبو بكر بالرغم من رجوع الجبهة عدة كيلو مترات من الطريق السريع، وطالبهم وزير الدفاع ميركادو بتحليم أسلحتهم!

ورفضت الحكومة التفاوض يوم ٢٠ / ٥، ولكنها قدّمت اقتراحاً يوم ٣٠ / ٥ وعقد اجتماع بالفعل في ذلك اليوم حيث عرضت الحكومة شروطها الأربعة، والتي رفضتها الجبهة في وقت سابق.

وكان الجيش قد أعلن في ٢٤ / ٥ أنه بصدد بناء معسكر كبير لهم بالقرب من

طرق راموس السريع ومعسكر أبو بكر، وأن هدفه لم يعد الطريق، ولكن معسكر أبو بكر المعقل الرئيس للجبهة. وتزامن ذلك مع تصريح الرئيس الفلبيني، بأنه «يشك في نوايا الجبهة».

وبعد يومين بالتحديد، بدأت هجمات الجيش على ٣ معسكرات وهي: معسكر المدينة، ومعسكر جبل النور، ومدينة ميكا التابعة للجبهة، وكلها قريبة من معسكر بشرى، تمهيداً للسيطرة على الأخير الذي يضم ٢٠٠٠ من مقاتلي الجبهة على الأقل.

وكانت آخر مواجهة للجيش قبل بدء المفاوضات بساعات هي الهجوم على معسكر بشرى بهدف إضعاف القدرة التدريبية للحركة، حسبما أعلن ذلك أحد القادة العسكريين.

وبعد خمسة أيام من المعارك، سيطر الجيش على مبان تجارية بالقرب من المعسكر، وقد حاولت قيادات الجيش رفع معنويات جنودهم بنشر خبر سيطرتهم على المعسكر، وصورة مدبلجة لجنود فوق المسجد قيل: إنه مسجد المعسكر، وهو ما لم يثبت حتى الآن.

• لماذا الحرب الأخيرة؟

يمكن تعيين بعض أهم أهداف الجيش من إثارة الصراع الأخير وملاحظات أخرى حول تحركات جنوده والوضع الآخر في الجنوب الفلبيني المسلم في النقاط الآتية:

١ - لقد واجه المقاتلون والسكان على حد سواء ما اعتبر «أشرس حرب منذ أيام السبعينيات». وباعتراف الجيش كان عدد ضحايا المعارك الأخيرة الأعلى منذ حوالي ٢٠ عاماً. وأبسط دليل على ذلك: ما أكدته نائبة الرئيس الفلبيني أن عدد الذين أُجِّلُوا من منازلهم أو هربوا منها بسبب المعارك الأخيرة قد وصل إلى ٣٢٠ ألف شخص حتى منتصف شهر مايو. وهناك إحصائية أخرى أحدث منها تشير إلى أن العدد يصل ما بين نصف مليون لاجئ إلى ٦٠٠ ألف. ولم يجد عشرات الألوف

مأوى لهم حيث لجأ ٢٣٠ ألفاً من ٤٥ ألف عائلة إلى مأوي حكومية وأهلية في مينداناو الوسطى والجنوبية والغربية، ومنطقة الحكم الذاتي للجهة الوطنية، ويشكو الأطباء في هذه المناطق - وكذا العديد من مراكز الخدمة - من تأخر صرف ميزانياتهم.

وقد أكدت التقارير الطبية انتشار الأمراض المختلفة بينهم بنسبة واحد من كل خمسة لاجئين. فمعسكرات الجبهة مختلطة بمناطق سكانية ريفية، ولذلك فهم يعانون من حرق منازلهم وما يعتمدون عليه في معيشتهم من تجارة أو زراعة أو صناعة، كما تدمر في كل موجة معارك المزيد من المرافق والخدمات والبنية التحتية، وهو ما لا يعانيه سكان فيزياس ولوزون في شمال البلاد.

ومن مظاهر التحيز ومحاولة إذلال اللاجئين المسلمين: جمعت المنظمات الإغاثية الفلبينية أطناً من اللحوم المعلبة لترسل إلى اللاجئين، وبعد تجميعها في مخزن المجلس الوطني للكوارث في العاصمة الفلبينية، كشفت الصحابة عن كون اللحوم المتبرع بها من لحم الخنزير! وهو ما يعني حسب «اقتراح» أحد المسؤولين توزعها على الأسر النصرانية وترك الأسر المسلمة بدون مأكّل حتى تجمع لهم «أطعمة تناسب مع دينهم وثقافتهم»!

أمّا مساعدات الدول الإسلامية، فقد غابت عن هذه الأعداد الضخمة من اللاجئين!

٢ - هناك أطراف قوية في الجيش تحاول أن تحول الصراع إلى حرب شاملة ضد الجبهة للقضاء عليها بدلاً من الاستمرار في حرب استنزاف حسبما يروونه ممكناً، وهذا ما أكدّه الكثيرون، ومنهم القس إيسيو ميركادو - وهو أحد الوسطاء في الحوار - الذي يقول: «إنني أخشى أن يجبر ذلك الجبهة على نداء جميع المسلمين إلى الجهاد».

وهو ما قد يثير اهتماماً خاصة من الدول المجاورة. فهناك من الجيش من لا يرى غير الحرب حلاً لقضية الجنوب. وبعد إقناع الرئيس بإعلان أن يوم ٣٠/٥ هو آخر موعد للمفاوضات يلي ذلك حرب واسعة سيعلمها في الجنوب، حشد الجيش نصف

قواته في الجنوب، وقد رفض الجنرالات إعلان العدد الحقيقي لجنودهم هناك، لكن أحد الإحصاءات المجمعة في سبتمبر تشير إلى وجود ٨٠ ألفاً من الجيش والجيش الشعبي والشرطة. وقد أنفق منذ ٢٨ أبريل الماضي في قصف مناطق الجنوب ما يزيد على ٣,٧ مليون بيسو، وذلك خلال أقل من ٣ أسابيع، هذا بدون أن يحجب قصف الطائرات للمدن الآمنة التي تكلف الميزانية مليون بيسو في طلعة واحدة.

٣ - بعض المحللين يعتقدون بدور المتشددين المحيطين بالرئيس استرادا، الذين يميلون للحل العسكري والقبضة الحديدية في التعامل مع مسلمي الجنوب، ولذلك تعوق هذه الأطراف مساعي الحوار السلمي. فالمواطن الفلبيني قد يستغرب هدف التفجيرات التي وقعت وسط العاصمة وفي مدن جنوبية أخرى في الوقت الذي قبلت فيه الجبهة، واتفقت مع الجيش على موعد هام للتفاوض، وبالطبع فالجيش يتهم مرة الجبهة الإسلامية ومرة جماعة (أبو سيف)، ولكن بعض المسؤولين اتهموا بعض أجنحة الجيش غير المقربة من الرئيس التي تسعى إلى إضعاف ثقته بمن يعتمد عليهم من الجنرالات، ومن هؤلاء: الجنرال «بينهم» من حركة إصلاح الجيش المسؤولة عن إخراج دكتاتور الفلبين السابق ماركوس وسبعة محاولات انقلاب فاشلة ضد الرئيسة أكوين التي خلفته، بل إن البعض قال للصحافة الفلبينية: إن أفراداً من الشرطة مسؤولون عن ذلك، لكن وزارة الدفاع ومخابرات البحرية والشرطة، ظلت تؤكد على أن الجبهة الإسلامية وراء الحادث؛ معتمدين جزئياً في اتهامهم على تهديد الجبهة بنقل الصراع إلى قلب شوارع مانيلا، لو هُوجم معسكر أبو بكر الرئيس للجبهة، وأن قيادتها قد أرسلت ٣ مجموعات خاصة إلى العاصمة لتخطيط لأعمال عسكرية في مدن الشمال.

وقد اعتقلت الشرطة ٢٦ مسلماً في العاصمة بهذه التهمة، سيقدمون للمحاكمة ومازالت السلطات تبحث عن ٣ عناصر قيادية أخرى، لكن الأدلة المقدمة ضدهم مازالت ضعيفة، واستغل الإعلام العادي للمسلمين الأمر، وشن حملة شديدة زادت من انتهاك حقوقهم الإنسانية. وقال الجبهة في ردّها لها: إن المحكمة تحاول إصاق تهمة التفجير برئيسها سلامات هاشم ونائبه الحاج مراد، ووصفها

سلامات هاشم بأنها «مناورة أخرى لإضعاف عزمي على تأسيس دولة إسلامية في جنوب الفلبين»، وقال الحاج مراد من جانبه: «إننا لا نهاجم المناطق المأهولة بالسكان في ردنا على هجمات الحكومة علينا، ومحاكمتنا بهذه الصورة لن تجلب سوى عرقة مساعي السلام، لكننا مازلنا منفتحين لأي جهود حوارية».

وقد طالب السيناتور تيوفوستر غوينغونا يوم ٥ / ٢٩ بالتحقيق مع مسؤولي الحكومة وضباط الجيش الذين يعرقلون المساعي السلمية ويشيرون المعارك كلما اقترب موعد المفاوضات، ودعا إلى تحمل الجيش المسؤولية عن سقوط المئات من ضحايا المدنيين في المناطق التي يهاجمها الجيش. وقال: «لا يمكن أن ننكر ببساطة وجود فساد إداري ومالي في أجهزة الجيش من قبل أطراف تحاول الاستفادة من جهود تحديث معدات الجيش».

٤ - يحاول الجيش الاستفادة من أزمة الرهائن ومن تصرفات جماعة أبو سياف في تعميم الهجوم على الجميع، وإقناع الرأي العام المحلي، وإسكات الرأي العام العالمي، وإبعاد أنظار الرأي العام الإسلامي عن ساحة المواجهة الحقيقية، هذا بالرغم من التباعد الجغرافي والفكري والتاريخي بين أبو سياف والجمعة، وكذا في الأساليب والتنظيم بشهادة العدو والصدیق، فجماعة أبو سياف مازالت محل جدل في الأوساط الإسلامية في الفلبين، ويبدو أن جذب الأنظار المحلية والإسلامية باستعطاف البعض من خارج الفلبين، والدولية بخطف الرهائن الأجانب، وبأسلوب العمليات المثيرة هو أحد أهم تكتيكات الجماعة التي من عملياتهم مناورة وحرب دعاية بالفعل. لكن المؤسف أنها دعاية سلبية تتغلها وسائل الإعلام المحلية والعالمية ضمن الحملة الواسعة ضد الإسلام ووصم أهله بصفات الإرهاب والتطرف، وخاصة قضية اختطاف الأطفال وقتل القس بأسلوب تضاربت الروايات حوله، والذي أثار أعلام الصحفيين النصاري ورجال الكنيسة في الجنوب. وفي هذه المرة ليس في الغرب من العالم ولكن في قلب جنوب شرق آسيا، مما يشوه تصور الآسيويين لحقيقة الإسلام، وكما يقول القس ميركادو: «معظم الناس في الفلبين من النصاري لا يعرف الفرق بين أبي سياف والجمعة الإسلامية، ولذلك

تستعطف الحكومة تأييدهم بهذا الشكل لإعلان الحرب الواسعة ضد ما يسمى بـ«الإرهاب الإسلامي»، كما أن أحد أهداف الحكومة من ربط جماعة أبو سياف بالجهة الإسلامية هو جذب التعاطف الأمريكي ودعم واشنطن المالي للحملة ضد مسلمي الجنوب بعله «الإرهاب».

٥ - ساد الهدوء النسبي - ما عدا أسابيع متفرقة - العلاقة بين الجهة والجيش خلال السنوات الثلاث الأخيرة، وبدأ الجيش يخشى من تنامي قوة الجهة التي استغلت هذا الهدوء النسبي لحد كبير، بشهادة الجيش، في التدريب، والتربية والتوسع، كما عملت الجهة على تقوية حلقة معسكراتها وقراها السكنية التي تجمع المقاتلين وعوائلهم لتهيئة الجو الإسلامي والاجتماعي المناسب لمواجهة الحكومة والتعاون في العيش الصعب، ولذلك تأتي تحركات الجيش التي أدت إلى عرقلة المفاوضات لإضعاف الجهة الإسلامية بشكل عام، وقد أقر بذلك الكولونيل جينيروسو سنغا يوم ١٨/٥/٢٠٠٠م بأن الجيش كان يدير منذ خمسة أشهر وفق خطة للإعداد للحرب الأخيرة وتحقيق عدد من الانتصارات على الجهة مع نهاية شهر مايو، وذلك من خلال ٣ نقاط ذكرها، وهي: إخراج الجهة من المعسكرات الجديدة التي أسستها، ومن القرى والمدن الصغيرة التي توسعت فيها، ومن سيطرتها على طريق راموس السريع وإضعاف التأييد السكاني لها، وذلك بتدمير ممتلكات مؤيديها من السكان التي تعتمد عليهم الجهة وتدمير الأنشطة الزراعية والتجارية للجهة والسكان في مناطقها.

والمعروف أن الجهة لم تعتمد على الحوار كأسلوب للحل بشكل رئيس كجهة ميسواري، ولم تقبل بالمفاوضات إلا بعد أن كانت قد ثبتت قدميها في أرض المجتمع الموروي، فهم يحاولون إجبار مفاوضي الجهة على التنازل في غرف المفاوضات بعد محاولة دحرهم في أرض المعركة، وهو منطق عسكري واضح ومعروف في كل الحروب. وهدف آخر أعلنه مسؤول في الجيش يوم ٣٠/٥/٢٠٠٠م هو أنهم يريدون حصر الجهة الإسلامية جغرافياً بمناطق معينة لحصر مطالبهم الاستقلالية أو مطالبهم بحكم ذاتي أو علاقة فيدرالية بين مانايلا وأقاليم المسلمين.

٦ - الجيش يحاول أن يرفع الميزانية المخصصة له بهذه الحرب ، ولو نجح الحل السلمي ، فلن يستطيع إقناع الكونغرس بضرورة ذلك . فمثلاً : طالب الكولونيل رافايل روميرو المتحدث باسم الجيش الفلبيني يوم الجمعة (١٢ / ٥ / ٢٠٠٠م) ، خلال حديثه إلى مجلس الممثلين ، بدعم ميزانية الفرق العسكرية التي تقوم بهجمات ضد مقاتلي مسلمي الجنوب ، وقال : إنهم بحاجة إلى ١,٥ مليار بيسو .

وقال : إن معظم المبلغ سيستخدم في حشد ٣٠ ألفاً من الجيش الشعبي إلى مناطق الجنوب في مينداناو وتجهيزهم عسكرياً ، وكان رئيس الكونغرس فيلار مانوال قد طرح قبله بـ ٣ أيام مشروع زيادة النفقات العسكرية في الجنوب ، معللاً ذلك بأزمي رهائن جماعة أبو سياف والمعارك الدائرة بين جبهة تحرير مورو الإسلامية والجيش الحكومي في عدة أقاليم في جزيرة مينداناو ، كما أشار إلى تفجيرات في مدن مسلمة ، واتهم بها الجبهة ، مع أن الضحايا كانوا من المسلمين .

وقال فيلار - الذي حاول إقناع الأعضاء بأي صورة - : «إنَّ معظم أعضاء الكونغرس من مؤيدي المشروع» . لكنه قال : «إنَّ صرف المبلغ قد لا يكون وحده ولكن ضمن ميزانية الجيش الجديدة ، لكن سيريفو ابوستال حذر زملاءه من أعضاء الكونغرس المعارضين من تأييد مشروع ميزانية الجيش الجديدة قبل التحقق ميدانياً مما يحدث في مينداناو ، وأيده عضو آخر أكد أن الاقتصاد الفلبيني في خطر بسبب الحرب في الجنوب . وقدر أبو ليناريو لوزادا المصاريف اليومية للجيش في الجنوب ما بين ٥٠ - ١٠٠ مليون بيسو ، وأشار إلى أن الحكومة تخفض من الميزانية الخدمات الاجتماعية وتوقف بناء المدارس والمصحات ، لتدعيم الجيش في الوقت الذي تعاني ميزانية الدولة من عجز يقدر بـ ٩٠ مليار بيسو .

وقال مسؤول عسكري آخر : إنَّ المبلغ المطلوب هو جزء من الميزانية العسكرية للعام القادم ، والتي سترفع إلى ٤ مليار بيسو ، بالإضافة إلى تقديره ما أنفق في الفترة الماضية التي لم يحددها بما يقارب مليار بيسو ، ولعل ذلك منذ أن أعلن الرئيس الفلبيني الحرب الشاملة على الجبهة الإسلامية منذ أسابيع ، وقال : إنَّه قد يرفع الدعم المادي لأكثر من ذلك ، حيث لم يعلن عن كل ما قيل في جلسة الكونغرس المخصصة لميزانية حرب الجنوب .

وتقول تقارير اقتصادية مستقلة: إنَّ التوجه العسكري في الإنفاق حالياً يتجه نحو العودة إلى أكثر مما كان عليه في السبعينيات، وكانت الحكومة تنفق آنذاك مليون بيسو يومياً في حربها للجهة الإسلامية.

• الجهاد غير المحسوب:

هل الجهاد الأهوج وغير المحسوب مضر للقضية الفلسطينية أو نافع؟ وهل هو حقيقةً نابعٌ من غيرة إسلامية؟ أو هو ردود أفعال على أحسن تقدير؟ أو أنه آلة لأصابع خفية من هنا وهناك، ويقصد منه تلوّث الجهاد الحق وإجهاضه وضربه في الصميم، وإضافته إلى قائمة الإرهاب ووصم المسلمين والإسلام بالشرّ، وجعله العدو الأول للبشرية؟

وهل قيام جماعة في الفلبين في سنة ٢٠٠٠م تسمي نفسها «جماعة أبو سيف» بخطف رهائن أجانب وسياح مدنيين من بلدان أوروبية مختلفة يخدم القضية؟ وحتى الساعة، ما تزال أزمة الأسرى الـ ٢٨ في حادثة الخطف الشهيرة في جزيرة باسيلان لمدرسين وطلبة إحدى المدارس الحكومية بدون حل، والتي يقود عملية الخطف فيها قذافي جنجلاني أخو المتوفى عبد الرزاق جنجلاني «أبو سيف» حيث تمكنت الحكومة من السيطرة على معسكر عبد الرزاق التابع لحركة أبو سيف ومطاردة أعضائه في غابات جزيرة باسيلان، لكن دون الوصول لحل يذكر حتى الساعة.

وتذكر التقارير السرية أن الرئيس الفلبيني كان غير مقتنع بالحل العسكري وخشي تعاطف منظمة المؤتمر الإسلامي والدول الإسلامية مع الجهة الإسلامية، لكن عندما فلت الزمام من يده في أزمة الرهائن المحليين والأجانب، اقتنع بربط الجماعتين (جهة مورو الإسلامية وجماعة أبو سيف) ببعضها البعض؛ محاولاً كسب الرأي العام الفلبيني والعالمي لمؤازرته.

بينما يقود القائد روبات عملية خطف السياح الـ ٢١ من جزيرة سيدان الماليزية والذي تؤكد مصادرنا أن أيدٍ خفية وراء العملية، والذي يدفعنا لهذا النوع من

التحليل ، هو أن تكلفة عملية الخطف قرابة المليون ييسو ، ويستبعد أن يكون لدى جماعة هذا المال ، لقد أساءت بالفعل جماعة أبو سيف للقضية سواء كان ذلك عمداً أو عن غير عمدٍ، فإنَّ ما قامت به ، كان عملاً أهوج وغير محسوب ، فرجحت اهتماماً طارئاً على مفسدة دائمة ، فكل من يرتبط بذاكرته خطف أطفال ونساء مسلمين ونصارى والسير بهم أياماً وليالي ، يدرك مدى ضعف فهمهم للإسلام!

• حضور السفير الليبي السابق للفلبين:

تؤكد مصادرنا أن عدداً من قادة جماعة أبو سيف بمن فيهم المتوفى أبو سيف ، كانوا على ارتباط بالسفارة الليبية ويستلمون رواتب منها ، وبمن فيهم قذافي جنجلاني ، ونضيف أن حكومة ليبيا لم تستطع استيعاب الجبهة الإسلامية مثلما فعلت مع الجبهة الوطنية (ميسواري) فلجأت لخيار آخر هو : جماعة أبو سيف .

• أبعاد عملية خطف الرهائن الـ ٢١:

من المعروف للعديد من المتابعين والمحللين أن الأسلحة التي تدخل لجبهة تحرير مورو الإسلامية تدخل عبر الباب الخلفي ، ماليزيا وإندونيسيا ، ويهم الحكومة الفلبينية أن تسد هذا المنفذ الخلفي ، وتعمل على تعطيل حركة تسليح الجبهة الإسلامية ، لا سيما مع تواتر قدوم صفقة صوراخ للجبهة الإسلامية ، والذي تعطل قدومها بسبب عملية الاختطاف شهوراً ، مضافاً إليه تنبيه ماليزيا بأن أبوابها مشرعة وأن أمنها مهدد!!

كما طالبت بتنحية وزير الدفاع (مركادو) ورئيس أركان الجيش (ريس) ووزير الأمن القومي (أغير) منددة بأن ما يحدث في مينداناو هو مغامرة عسكرية لا أكثر ولا أقل .

وقد بلغ عدد المهجرين بسبب تلك العملية حتى نهاية شهر مايو الماضي ، ٢٠٠ ألف مهجر .

• تبادل الاتهامات:

صرحت جماعة أبو سيف : بأن سلامات هاشم - زعيم جبهة مورو الإسلامية -

رجل متردد ولا يحسن اتخاذ القرارات، فهو مع مفاوضات السلام ومع الحل العسكري؛ لإنقاذ البلاد من الحكم الفلييني الجائر.

ودورها علقت الجبهة الإسلامية عبر ممثلها في مدينة زامبوانجا (شريف ذو العبيد) بأن جماعة أبو سيف خرجت عن تعاليم الإسلام، وأنها أساءت للإسلام أكثر مما أفادته بأعمالها الأخيرة.

• هل تنجو جماعة أبو سيف من قبضة المحافظ أكبر؟

من المعروف للجميع بأن عبد الوهاب أكبر - خريج سوريا - هو الرجل الثاني في جماعة أبو سيف، وأنه كان مطلوباً للعدالة حتى وقت قريب، ثم تغيرت الأحداث، وانتقل الرجل لجماعة التبليغ حتى تولّى إدارتها في باسيلان، فهو خطيب مفوه، كما يشهد له أهل التبليغ، ثم رشح نفسه لمنصب المحافظ، وفاز مثلاً لحزب الرئيس (استيرادا) الحزب الحاكم للبلاد!

هذه المفارقات كلها، تؤكد أن الرجل يغير ألوانه كما يريد، وأنه بإعطائه أوامر لقتل قادة أبو سيف مقابل ٣٠ ألف ييسو لرأس الواحد منهم، فإن الرجل لن يصبر وأنه سيعمل المستحيل للتمتع بمحافضة آمنة، فهو الذي يقود عمليات البحث وضرب المعسكرات التابعة لأبي سيف بنفسه، فأصبح حبيب الأوس عدو اليوم، فهل كسبت جماعة أبو سيف عدواً جديداً؟!

• من يقود معركة القضاء على المسلمين في مينداناو؟

وزير الدفاع (أورلي مركادو) ذلك الصحفي الناشئ ومذيع التلفاز المحترف الذي سافر للولايات المتحدة ليؤكد لها أن حكومة الرئيس (استرادا) ستعمل على حماية المصالح الأمريكية ولن تتعارض معها، والتي تربطه صداقه قوية بوليام كوهين وزير الدفاع الأمريكي والتي يعبر عنها بقوله: «طلبت منه في لقائنا الأخير معلومات للقضاء على الانفصاليين المسلمين بجنوب الفلبين»، فكانت إجابته مشجعة بآلا يلتفت لآثار المعارك الأولى وسيتمكن من القضاء على الانفصاليين»^(١).

في مقابلة له مؤخراً: قدر أعداد قوات الجبهة الإسلامية بـ ١٥,٠٠٠ مقاتل مسلح وأنهم أشبه بالسرطان إن لم تعمل على إزالته وهو صغير، فسيصبحوا تامل أخرى!! إشارة إلى ما يحدث في سيريلانكا.

وأخيراً، فهل ستظل جماعات المغامرين تتصرف بغير بصيرة ولا تتعلم أو تفقه الدروس والعبر، وهي بعملها هذا تضر نفسها وجهادها وإسلامها وتعطي عدوها الفرصة لضربها وتلويث سمعتها، ولا تلبث أن تكون في ذمة التاريخ، ويتحمل المخلصون وزر ذلك كله وتعطل مسيرة الكفاح، ويزداد العبء، وتضعف مقاومة الأمة المسلمة، وربما يعتري بعضها اليأس والعياذ بالله.

وفي نظرنا، أن هذا الحماس لا بد وأن يأتي عليه يوم يوضع في موضعه الصحيح إن شاء الله، ويفرح المؤمنون بنصر الله.

المبحث السابع كشمير المسلمة

■ جغرافية كشمير:

الموقع:

تقع ولاية كشمير المسلمة في منطقة استراتيجية كبرى، حيث تقع في الشمال الشرقي من باكستان وكأنها طفلة بين ذراعي أمها، ويجاورها الاستعمار الهندي من الجنوب الشرقي والصين الشيوعية من الشمال الشرقي، والاتحاد السوفييتي من الشمال الغربي، وجمهورية باكستان من الجنوب الغربي^(١).

المساحة:

تبلغ مساحة كشمير (٨٦٠,٠٠٠) ميل مربع، وتحتل الهند ٦٣٪ من مساحتها.

عدد السكان:

يزيد عدد سكان كشمير على اثني عشر مليون نسمة ٨٥٪ منهم مسلمون. وأهلها من عرق غير العرق الهندي؛ إذ إنهم بيض البشرة، طول القد، ولغتهم لا تشبه لغة الهنود، كما يمتاز سكان هذه الولاية بالذكاء والفطنة والجد والاجتهاد. فكثير من القادة البارزين في شبه القارة الهندية ينتمون أصلاً إلى هذه الولاية، ومنهم المفكر الإسلامي الكبير: محمد إقبال^(٢).

طبيعتها الخلابة:

تعد كشمير من أجمل مناطق العالم حيث جباها خالقها جمالاً في الطبيعة، حيث الحدايق الغناء والبساتين الجميلة ذات الأشجار الباسقة المتعانقة. ومما يزيد جمالاً وبهاءً: وجود وادي جامو وكشمير إضافةً إلى الأنهار الكبيرة

(١) كشمير تناديكم فهل من مجيب؟ بروفيسور أليف الدين الترايبي.

(٢) كشمير تناديكم، مأساة كشمير المسلمة، د. إحسان حقي، ص ١٨.

كنهر السند وجيلم وجناب التي تنساب إلى باكستان وترويهما .
وتمتاز كشمير بطيب المناخ ، ومن أجل ذلك كله سميت (جنة الله في أرضه)^(١) .
إلا أن هذه الجنة ، قد عيثت بها فساداً من قبل الهندوس ، فأحرقوا فيها الأخضر
واليابس .

موقعها الاستراتيجي :

تقع كشمير في موقع استراتيجي أكسبها أهمية كبرى ، حيث يقع فيها جبل
«سياشين غليشر» الذي يحتل موقعاً استراتيجياً هاماً ؛ الأمر الذي جعل الاستعمار
الهندوسي يسيطر عليه عام (١٩٨٥ م) . ولكن الجيش الباكستاني تمكن - بفضل الله -
من الوقوف في وجهه .

كما يمرّ بكشمير «الطريق الحديدي» الوحيد بين باكستان وبين الصين الشيوعية .
وتنبع من كشمير الأنهار التي تعتمد عليها الزراعة والصناعة في باكستان .
وتعد كشمير بلداً زراعياً بالدرجة الأولى ، حيث يزرع بها أنواعٌ متعددة من
الزروع كالأرز والقمح والذرة والزعفران ، كما تزرع جبالها وأوديتها بالمعادن ؛
كالحديد والكروم والفحم والذهب والرصاص ، إلا أن معظمها لم يستثمر بسبب
أوضاع البلاد^(٢) .

■ العهد الإسلامي في كشمير :

بدأ العهد الإسلامي في كشمير في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي حيث أسلم
ملكها البوذي (رينجن شا) وسمى نفسه (صدر الدين) ، وأسلم معه الكثير من
رجالته وسكان المنطقة .

واستمر الحكم الإسلامي فيها إلى عام (١٨١٩ م) حيث استولى عليها السيخ .
وفي عام (١٨٤٦ م) سيطر الاستعمار البريطاني على الولاية ، ثم باعها المستعمر
لطائفة (الدوجره) الهندوسية . وذلك مقابل مبلغ ضئيل قدره سبعة ملايين ونصف
مليون روبية ؛ أي : قد بيع النفر الواحد بسبع روبيات . وهذه الصفقة لبيع الولاية لم

(١) كشمير تنادىكم ، مأساة كشمير المسلمة ، د . إحسان حقي .

(٢) باكستان ، محمود شاكر ، ص ٦٣ - ٦٥ .

تكن لها أي مكان من النواحي الدستورية أو الأخلاقية^(١).

■ النزاع حول كشمير:

من المعلوم أن تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين مستقلتين هما: باكستان الإسلامية والهند العلمانية، كان طبقاً لخطة التقسيم القاضية بأن جميع المناطق التي يشكل فيها المسلمون الأغلبية، تكون لباكستان، وأن جميع المناطق التي يشكل فيها الهندوس الأغلبية تكون للهند.

فعلى ضوء هذه الاتفاقية، كان من المفترض انضمام كشمير إلى جمهورية باكستان الإسلامية.

إلا أن الاستعمار الهندوسي الذي وافق على هذه الاتفاقية لتقسيم البلاد حسب الظاهر، لم يوافق عليها في الباطن. وقد صرح بهذا مؤسس الاستعمار الهندوسي المعاصر (جواهر لال نهرو) خلال حديثه مع دبلوماسي بريطاني عام (١٩٤٦م)، حيث قال:

«نحن سنقوم بالموافقة على مطالبة السيد/ محمد علي جناح لإقامة دولة باكستان المستقلة، ولكن سنقوم فيما بعد بإيجاد السبل التي ستجعل قادة هذه الدولة يأتون إلينا ويطالبون بالانضمام للهند»^(٢).

■ بداية الاحتلال الهندوسي لكشمير:

ذكرنا فيما سبق، أنه بناءً على اتفاقية التقسيم، كان من المفترض أن تنضم ولاية كشمير إلى باكستان، باعتبار أنها ولاية ذات أغلبية مسلمة. إلا أن هذا لم يحصل. فما الذي حدث؟

لقد كان يحكم ولاية كشمير المهراجا^(٣) غلاب سنج، رغم أنه هندوسي والولاية غالبيتها من المسلمين.

(١) كشمير تناديك، بروفيسور أليف الدين الترابي، المركز الإعلامي لكشمير المسلمة، ص ٦، ٧.

(٢) كشمير تناديك فهل من محبب؟ أليف الدين الترابي.

(٣) المهراجا: لقب هندوكي يطلق على الحاكم، كما يقال: فرعون لمن يحكم مصر، أو قيصر لمن يحكم الروم.

وقد اتخذ هذا الحاكم إجراءات معينة كشفت عن حقيقة نواياه بعدم رغبته للانضمام إلى باكستان. ولا غرابة في ذلك، فكيف ينضم تحت حكم جمهورية إسلامية وهو كافر وكان يريد الاستقلال بنفسه بحيث لا ينضم إلى إحدى الدولتين. وعندما أدرك المسلمون في ولاية جامو وكشمير عن حقيقة نوايا حاكم البلاد بعدم رغبته في الانضمام إلى باكستان بناءً على اتفاقية تقسيم شبه القارة الهندية. في هذه الأوضاع القاسية، نشأت حركة التحرير لولاية جامو وكشمير بقيادة مؤتمر مسلمي ولاية جامو وكشمير، وكانت تستهدف من أول يوم إنقاذ هذه الولاية المسلمة من براثن الملك الهندوسي (هري سنغ)، وانضمامها إلى باكستان الإسلامية. وذلك في ١٩ يوليو عام (١٩٤٧م).

كما قرّر الشباب في تلك الولاية، القيام بالجهاد لتحرير بلادهم، وحصل لهم ما أرادوا بفضل الله تعالى، ثم بفضل جهودهم وجهادهم حيث حرروا جزءاً غير قليل من الولاية، فتأسست الحكومة الحرة لولاية جامو وكشمير في ٢٤ من أكتوبر عام (١٩٤٧م) (١).

■ تقرير مصير الشعب الكشميري:

شرعت الحكومة الهندية في تدمير البلاد واستخدمت أشكال الاضطهاد، من تعذيب نفسي وبدني، واستغلال اقتصادي، ومنع من أبسط الحقوق الإنسانية. ومع بداية عام (١٩٩٠م) اتخذت الحكومة الهندية إجراءات مشددة لإنهاء جهاد الشعب الكشميري، حيث استخدمت الأسلحة الفتاكة بكل أنواعها دون أدنى شفقة أو رحمة، وقتلت آلاف الأبرياء، وقامت قواتها باغتصاب العديد من النساء وأحرقت مئات المساكن والممتلكات واعتقلت آلاف الشباب، وهدمت المساجد، وفرضت حالات الطوارئ طوال الليل والنهار، حيث تستمر أحياناً لمدة أسبوعين، حتى إنّ الأمهات لا يستطعن الخروج من أجل الحصول على حليب أطفالهن؛ مما أدّى إلى وفاة مئات الأطفال.



(١) كشمير تناديكم فهل من مجيب؟ بروفييسور أليف الدين الترابي.

فصول من المعاناة

لقد تعرّض الشعب الكشميري المسلم ، لأسوأ أنواع التعذيب والاضطهاد على أيدي الهندوس الحاقدين ؛ انتقاماً من دين الله .

قال تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [البروج: ٨ ، ٩] .

وإنّ اللسان ليعجز عن الوصف والبيان لصور المأساة والمعاناة ، وإنّ القلم لو استطاع أن ينزف بدل الحبر دماً لما تأخر !

وسنعرض فيما يلي فصولاً من المآسي المحزنة التي تقطع نياط القلب وتذيب شغافه إن كان في القلب إسلام وإيمان .

وقد حدّثنا البروفيسور أليف الدين التراي شخصياً عن صور محزنة مماثلة للصور التي نعرضها .

• صور التعذيب العامة:

وقفنا على وثيقة بعنوان:

«نظرة خاطفة من داخل مراكز التعذيب التي أقامتها التحقيقات الهندية ، وحالة أوضاع التعذيب التي يتعرض لها المأسورون الكشميريون الذين وقعوا في قبضة السلطات الهندية» .

وقد كانت الوثيقة باللغة الإنجليزية وترجمت إلى العربية . وإليك أخي المسلم بعض ما في هذه الوثيقة :

أولاً: لقد سعت الحكومة الهندية إلى عزل منطقة الجامو وكشمير عن بقية العالم ومنعت الصحافة العالمية من دخولها كما لم تسمح لمنظمة العفو الدولية أو الصليب الأحمر بإرسال مندوبيها لتقصي الحقائق والممارسات الوحشية التي يرتكبها الجيش

الهندي ضد المسلمين في كشمير .

ثانياً: تقدم قوات الجيش وزبانيته بأبشع جرائم القتل الجماعي وإبادة الأبرياء من شعب كشمير ما تقوم بأبشع صور التعذيب كقطع الأطراف والحرق بالنار والحديد .
واليك بعض الممارسات الوحشية والتعذيبية:

أ - يجري اغتصاب النساء أمام عوائلهم ، كما يجري الاغتصاب الجماعي لهن .

ب - يجري كسر عظام الشباب والأطفال ، أمام عوائلهم .

ج - يتعرض المعتقلون في مراكز الاعتقال والاستجواب ، إلى الضرب ، والتعذيب ، والصدمات الكهربائية ، ومس الأجساد العارية والأماكن الحساسة بالحديد الساخن .

د - إزالة الأظفار ، ورش الحامض فوق الجسد العاري ، وغمس الأذرع والسيقان في الماء الساخن الذي بلغ درجة الغليان .

موجز عن العمليات الإجرامية الوحشية
للجيش الهندوسي الغاشم في ولاية جامو وكشمير المسلمة
منذ يناير ١٩٩٠م حتى أبريل عام ١٩٩١م فقط

- عدد الشهداء من مسلمي كشمير رجالاً ونساءً وأطفالاً على أيدي الجنود الهندوس ٢١,٤٩٠ شهيداً.
- عدد الجرحى من الرجال والنساء والأطفال ٢٠,٠٠٠ جريح.
- عدد الطلاب الذين قد حُرِّقوا أحياءً في مدينة كبواره في ١ أكتوبر (١٩٩٠م) ٢٠٠ طالب.
- عدد المسجونين من الشباب المسلم في زنانات التعذيب ١٧,٠٠٠ شاب.
- عدد المسجونين من الرجال والنساء والأطفال في السجون ومراكز التفشي ٥٠,٠٠٠ سجين.
- عدد المسلمين الذين قد حُرِّقوا أحياءً في بيوتهم ٤١٨ مسلماً.
- عدد المهاجرين الذين هاجروا إلى كشمير الحرة ٢٠,٠٠٠ مهاجر.
- عدد الموظفين المسلمين الذين قد عزلوا عن وظائفهم بلغ الآلاف.
- عدد النساء المملات اللات قد هتكت أعراضهن جماعياً بلغ الآلاف.
- عدد المملات الشابات اللاتي استشهدن بسبب هتك أعراضهن جماعياً ١٠٤ امرأة مسلمة.
- عدد النساء الحوامل اللاتي قد وضعن قبل الموعد بسبب هتك أعراضهن جماعياً ٥٣ امرأة مسلمة.
- عدد النساء الحوامل اللاتي متن خلال عملية الولادة بسبب عدم العناية والعلاج ٢٠٤ امرأة مسلمة.
- عدد الأطفال الذين قد ماتوا بسبب عدم التغذية والعلاج ٢٢٥ طفلاً.

- عدد البيوت والدكاكين التي قد حُرقت بالبنتزين والبارود في مساكن المسلمين ٢٠,٠٠ بيت ودكان.
- عدد المستشفيات والمدارس والكلليات التي قد حُرقت بالبنتزين والبارود ٥٠٠.
- عدد الأنعام التي قد حُرقت حيّة ألف نعم.
- قيمة الحبوب الغذائية التي قد حُرقت ألف مليون دولار.
- قيمة البساتين والغابات التي قد حُرقت ألف بليون دولار.
- هذا، وتذكر منظمة العفو الدولية كثيراً من الجرائم التي لا تُصدّق فتقول: في أبريل ١٩٩١م بلغ وزير الداخلية في ولاية جامو وكشمير أن عدد الأشخاص الذين اختطفوا في الولاية بلغ ٤٥٤ ولا يعرف مصيرهم حتى الآن.
- وقد أبلغت المنظمة أن السنة التي تليها اختفى مئات من الأشخاص وخصوصاً من الشباب، وأن مئات آخرين قد أُعدموا خارج نطاق القضاء، وأُحرقت جثثهم بصورة بشعة.
- وذكرت منظمة العفو الدولية: أن المنظمات الإرهابية الهندوسية تقوم بقتل المئات وبمساعدة الشرطة وقوات الأمن، كما أُخبرت عن احتجاز ألوف من المعتقلين السياسيين دون تهمة أو محاكمة، وتفشى استخدام التعذيب وسوء المعاملة في شتى أرجاء جامو وكشمير، وكان من ضمن ضروب التعذيب: الاغتصاب. وقد أدّى التعذيب إلى وقوع ٤٠٠ حالة وفاة في الحجز، وورد أن كثيراً من الأشخاص قد أُعدموا خارج نطاق القضاء على أيدي قوات الشرطة.
- ثم قالت: ومنذ أن خضعت جامو وكشمير للحكم الهندي، لم تنفذ فيها أي إصلاحات قانونية لحماية المعتقلين من الأحكام العربية التي تعانيها البلاد.
- هذا وغيره من أنواع القهر والإبادة، يجري ويزداد عاماً بعد عام، حتى صار القتل في هذه الأيام يعدون بالآلاف^(١)!

(١) انظر: تقرير منظمة العفو الدولية، تقرير عام ١٩٩١م إلى ١٩٩٩م.

• وفي عام ١٩٩٩م أُجريت مذابح جمعية على غرار ما فعله اليهود بفلسطين وحُوصِرَ المجاهدون، ومنعت عن الناس المؤن والزخائر، وهجم الجيش الهندي بعدته وعتاده على المجاهدين وعلى الكشميريين العزل وتخلّت عنهم باكستان بقيادة نواز شريف الذي خُلِعَ بعد ذلك على يد برويز قائد جيشه .

هَذَا ، وما زالت القضية بدون حل ، إلى أن يقيض الله لها الرجال المؤمنين .

• ضياع الهوية:

وأماً عن الغزو الفكري لكشمير:

فقد وصل المتعمر الهندوسي إلى قناعة تامة بعد جهاد عام (١٩٦٥م) بأنّه مهما بُذِلَ من جهود ، لا يمكن له أن يستمر في سيطرته الغاشمة على الولاية إلّا إذا تمكّن من القضاء على روح الإسلام في روح أبنائه ، وتحويل الشخصية الإسلامية إلى شخصية هندوسية .

ولتحقيق هذا الهدف الشنيع ، قرّر المحتل الغاشم أن يبعث وفداً سياسياً إلى الأندلس ليدرس المخططات التي استخدمها الاحتلال المسيحي للقضاء على الإسلام والمسلمين في الأندلس ، وهذا الوفد كان يترأسه خبير سياسي كبير من الهندوس اسمه (دي ، بي ، دهر) ، وبعد عودته من الأندلس ، قدّم الوفد تقريراً مفصلاً عن المخططات التي قد استخدمها الاحتلال المسيحي للقضاء التام على الإسلام والمسلمين ، ثم عيّن هذا الخبير السياسي سفيراً للهند في الاتحاد السوفيتي ، فتقدّم بتقرير آخر عن المخططات التي اختارها الاحتلال السوفيتي للقضاء على الإسلام والمسلمين في الولايات الإسلامية في آسيا الوسطى .

وعلى ضوء هذين التقريرين ، قام الاستعمار الهندوسي باختيار استراتيجية للقضاء على الإسلام والحضارة الإسلامية في الولاية .

ومن أهم الأساليب التي اختارها الاستعمار الهندوسي حسب هذه الاستراتيجية الجديدة لذلك الهدف الشنيع ، ما يأتي :

١ - تغيير المنهج التعليمي ووضع منهج هندوسي يشمل على المعتقدات الهندوسية

الوثنية من ناحية، وفلسفة وحدة الأديان من ناحية ثانية . وأخيراً تدريس الفلسفات الغربية .

٢ - تحويل المعاهد التعليمية إلى أوكار لنشر الإباحية والفساد الخلقي .

٣ - تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس ؛ لإيجاد جيل مسلم بالاسم هندوسياً عقيدةً وفكراً .

٤ - إباحة الخمر وترويجها على حساب الدولة في أنحاء الولاية .

٥ - تجريد اللغة الأردية والكشميرية من الألفاظ العربية للقضاء على الصلة بين الجيل الناشئ وكتاب الله .

٦ - بث الخلافات الطائفية بين المسلمين .

٧ - استخدام وسائل الإعلام المختلفة لنشر الإباحية والفاحشة والأفكار الهندوسية .

٨ - ترويج حركة تحديد النسل بين المسلمين ؛ لتحويل الأغلبية الإسلامية إلى أغلبية هندوسية .

٩ - طمس معالم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في الولاية ؛ وذلك لتغيير شخصية الولاية الإسلامية .

١٠ - إنشاء قيادة مصطنعة عميلة تكون وسيلة لتنفيذ هذه المخططات الاستعمارية الخبيثة في الولاية . وللقضاء على الجهود في سبيل الدعوة والجهاد لتحرير الولاية^(١) .

• الجهاد سبيل العزة؛

الجهاد في سبيل الله، هو سبيل العزة والكرامة، فبه تعلو راية الإسلام، وتُحطَّم الأصنام، ويدحر البغي والطغيان، وبه تُصانُ الأعراض والأموال والأنفس والديار . وما ترك قومُ الجهاد في سبيل الله إلَّا ذُلُّوا، وكم من ذُلٍّ مرَّ بأمة الإسلام ؛ بسبب ترك هذه الفريضة .

وإنَّ الهدف الأسمى من الجهاد في سبيل الله ، هو تعييد الناس لله رب العالمين

وحده لا شريك له ، وكيف تتحقق العبودية والمسلم يُصد عن الإسلام ليفتتن عن دين الله .

لذا قال سبحانه وتعالى العليم الخبير : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣] .

ويقول جل وعلا : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٣٩] .

ويقول سبحانه : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

ويقول جل وعلا : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] .

والمعنى : فلولاً دفع الله الناس بعضهم ببعض لاستولى الكفار على المسلمين فخرّبوا معابدهم وفتنّوهم عن دينهم . فدلّ هذا على أن الجهاد مشروع لأجل دفع الصائل والمؤذي ومقصود لغيره^(١) .

ومن منطلق الآيات السابقة التي تبين أهمية الجهاد في الإسلام ، أدرك إخواننا الكشميريون أن لا عزة لهم ولا كرامة ، إلا بالجهاد في سبيل الله ورفع رايته ؛ إذ لا خلاص لهم ولا فكاك من شرّ الهندوس المستطير إلا به . فمضوا على بركة الله في سبيل الجهاد يحدوهم الأمل بخلاص ديارهم ورد حقهم الملب من الهندوس الغاصبين الذين حرقوا بيوتهم وقتلوا ذويهم وهتكوا أعراض نسائهم واستباحوا حرّماتهم .

• بداية الجهاد الكشميري:

منذ أعلن المهراجا هنري سنغ رفضه للانضمام إلى باكستان ، وفقاً لاتفاقية تقسيم الهند عام (١٩٤٧م) ، قام الشباب في ولاية جامو وكشمير بالجهاد الإسلامي

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لابن سعدى (٥/ ٣٠٠) .

الذي يستهدف تخليص بلادهم من براثن الملك الهندوسي . وقد حققوا بعض ما أرادوا حيث حرروا ثلث البلاد تحت عنوان «كشمير الحرة» .

وفي عام (١٩٩٠م) بدأت حركة جهاد منظمة في كشمير وكان لانسحاب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان بعد هزيمة مخجلة على أيدي المجاهدين الأفغان من ناحية ، ولأطفال الحجارة في فلسطين من الناحية الأخرى ، أثر كبير في دفع حركة الجهاد الكشميري . ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك حركات جهادية إسلامية متعددة في كشمير أكبرها «حزب المجاهدين» الذي ينتمي إليه ٧٥٪ من مجموع المجاهدين وهو يمثل الجناح العسكري للحركة الإسلامية في كشمير .

وقد توحدت - بفضل الله تعالى - جميع الحركات الجهادية أخيراً ، تحت اسم : «الاتحاد الإسلامي لمجاهدي كشمير»^(١) .

الإنجازات التي حققها الجهاد الكشميري في مواجهة الغزو العسكري والفكري :

لقد استطاع الجهاد الكشميري أن يحقق كثيراً من الإنجازات المثمرة والله الحمد ، نذكر منها ما يلي :

١ - لقد ترك أكثر من ستين ألفاً من الشباب المسلم عملهم ودراستهم وانضموا في صفوف المجاهدين .

٢ - اتحاد المنظمات الجهادية - كما ذكرنا - تحت اسم «الاتحاد الإسلامي لمجاهدي كشمير» .

٣ - استطاع المجاهدون أن يحققوا كثيراً من الانتصارات خلال عملياتهم الجهادية ضد الهندوس وعملاتهم في الولاية ، ومنها : القضاء على المراكز الاستراتيجية للجيش الاستعماري الغاشم ، وقتل الجنود الهندوس ؛ مما كان له أثر كبير في خفض الروح المعنوية لدى الجنود الهندوس .

٤ - اتحاد المنظمات السياسية والدينية والجهادية باسم «حركة تحرير كشمير» . ولهذا

(١) كشمير تناديكيم ، أليف الدين الترابي ، مجلة الإصلاح ، عدد (١٨٢) .

- الاتحاد قاعدة شعبية قوية، حيث نظمت هذه الحركة مسيرة اشترك فيها أكثر من مليون مسلم من الرجال والنساء والأطفال .
- ٥ - إغلاق مراكز الخمر ودور السينما ومحلات الفيديو والملاهي، فلا يوجد شيء من ذلك مع نهاية عام ١٩٨٩ م .
- ٦ - قررت النساء المسلمات التزامهن بالزي الإسلامي والحجاب الشرعي .
- ٧ - وفي المجال الدولي : تبذل الحركة العالمية لتحرير كشمير المسلمة، جهوداً للحصول على التأييد العالمي لإجبار الهند على إجراء استفتاء الشعب الكشميري لتقرير مصيره .
- ٨ - إنشاء المدارس والمعاهد والكليات الإسلامية النموذجية في أنحاء الولاية ؛ وذلك لمواجهة الغزو الفكري والحضاري الهندوسي .
- ٩ - الاهتمام بنشر الدعوة الإسلامية بكل الوسائل والسبل .
- ١٠ - إنشاء القرى الإسلامية النموذجية ؛ لتكون نموذجاً حياً للمجتمع الإسلامي .

• الاتحاد في مواجهة العدو واجب:

تحاول الجماعة الإسلامية بكشمير توحيد الصفوف ؛ حتى لا تقع فيما وقعت فيه أفغانستان، فعقدت مؤتمراً حاشداً بمدينة إسلام آباد في ٢٠ مارس سنة ١٩٩٢ م، حضره قادة الأحزاب والتنظيمات السياسية والعسكرية داخل كشمير وخارجها، وقد كان من بين الحضور رئيس وزراء كشمير الحرّة، السيد/ إسكندر حياة خان، والجنرال حياة خان رئيس حزب الأمة الإسلامية في كشمير الحرّة، وسردارا إبراهيم رئيس حزب الشعب الباكستاني في كشمير الحرّة .

وهذا - في الحقيقة - يدلُّ على أن كشمير لا تريد أن تكرر المأساة الأفغانية، كما أنّها تريد أن تتعلم الدرس الذي أفشل بهجة النصر الأفغاني وأدخلها في دوامة عدم الاستقرار والضياع، لهذا وقد اتخذ المؤتمر قرارات عدة وتوصل إلى الاتفاق على أشياء مهمّة تلزم للجهاد، وتوصل المؤتمر إلى القرارات التالية :

- ١ - أعرب ممثلو وقادة الأحزاب السياسية والعسكرية في كشمير الحرّة، عن أسفهم

العميق إزاء الممارسات الوحشية التي ترتكبها القوات الهندية تجاه الشعب الكشميري المسلم ، وأشاد المؤتمر بالدور البطولي الذي يقوم به المجاهدون الكشميريون في وطنهم المحتل ، وأكدوا على تضامنهم مع المجاهدين حتى النصر .

٢ - وأكد المؤتمر على أن جامو وكشمير جزء لا يتجزأ من باكستان ، وأن الحالة التي وصل إليها الإقليم المحتل تعود إلى المخالفة الهندية الصريحة لنظرية التقسيم التي تم على أساسها إقامة دولة باكستان ، فقد أعلن الشعب الكشميري الذي يشكل الغالبية العظمى من السكان ، تأييدهم الكامل للانضمام لباكستان .

٣ - يناشد المؤتمر العالم الإسلامي أن يمارس ضغوطاً على الهند لوقف ممارساتها الوحشية تجاه الشعب الكشميري المسلم .

٤ - وأشار المؤتمر إلى أهمية أن تدرك حكومة كشمير الحرة أن دور كشمير الحرة يكمن في أنها المخيم الرئيس لحركة تحرير كشمير ، وأن أي انقسام أو اختلاف قومي داخل هذا المخيم سوف يضر بالقضية .

٥ - ركز المؤتمر على ضرورة التفاهم والتشاور مع مختلف الجماعات العسكرية والسياسية ؛ لتفويت الفرصة على النظام الهندي المحتل الذي يسعى إلى تفريق صفوف المجاهدين الكشميريين .

٦ - وأهاب المؤتمر بالأمم المتحدة أن تقوم بدورها كما ينبغي ، وخاصة أن الشعب الكشميري قد استصدرت له الأمم المتحدة قرارات عديدة منذ ١٩٤٨م لكنها لم تُنفذ إلى اليوم .

٧ - وناشد المؤتمر جبهة تحرير كشمير التي يتزعمها أمان الله خان أن تتخلّى عن سياساتها الرامية إلى عبور خط الهدنة ، حرصاً على المصالح العليا للبلاد .

والبيان يغني عن كل بيان ، فقد ولدت في حمأة القتال جبهات انفصالية لا تريد الهند ولا تريد باكستان ، بل تريد الاستقلال على أساس عرقي ، وهذا ما حذرنا من خطورته باستمرار .

• الجبهة العلمانية:

قامت في كشمير جبهة علمانية تسمى «جبهة تحرير كشمير»، وهذه الجبهة يتزعمها أمان الله خان، وتعمل على إقامة دولة علمانية ليس لها صلة بالإسلام ولا بباكستان، وتعمل على أهداف تتلخص فيما يلي:

١ - إلغاء حق الاستفتاء للشعب الكشميري المسلم؛ لأن النتيجة الحتمية للاستفتاء: الانضمام إلى باكستان، وهم لا يريدون ذلك.

٢ - ضياع المكاسب التي أحرزتها القضية الكشميرية في المجتمع الدولي وهي: حق تقرير المصير.

٣ - الاستقلال بخلق كيان ضعيف وسط عمالقة لا يستطيع أن يعيش، مثل: الهند، والصين، وباكستان.

كما أنه يؤدي إلى إثارة النزعات العرقية في الولاية، فيؤدي إلى اختلافات مدمرة تصب في مصلحة الهند التي تربص بالمسلمين، ويصرح أحد قادتها الجنرال دت سنغ قائلاً: على الهند أن تضع يدها يوماً على العالم الإسلامي.

كما يصرح في البرلمان الهندي: سياسة الهند نحو العرب ليس مبعثها الحب والمودة، بل هي نتيجة لاعتبارات عديدة تهدف إلى خداع العرب وغشهم.

هذا، ولقد أصيب المسلمون بقصر النظر دائماً حتى في ميادين الكفاح ضد عدوهم، تراهم أصحاب أهواء ونزعات، لا ينظرون إلى واقعهم وما حولهم، وتشب بينهم الفتنة كما تشب النار في الهشيم!

• الحلف الدنس:

تتكاتف الهند وإسرائيل ضد العالم الإسلامي اليوم، وتتعاونان في مجالات شتى، منها:

١ - المجال العسكري.

٢ - المجال النووي.

٣ - العلاقات الدبلوماسية.

٤ - المجال الاقتصادي .

٥ - المجال الاجتماعي .

وهذا كله ضد المسلمين !

يقول «موشى ديان» : «إنني أنظر إلى الهند كمواطني الثاني» .

ويقول رئيس اتحاد شباب السيخ : «على شعب إسرائيل أن يعلم أن آلافاً من الهنادكة هم معهم في نضالهم البطولي ضد العرب»^(١) .

• العداوة للإسلام:

يجب على هؤلاء القابعين بغباء في تلك البقعة ، ومنهم باكستان ، وبنجلاديش ، وأفغانستان ، وكشمير ، أن يعلموا أنهم في بحر متلاطم من العداوة المتربصة بهم ، فإذا لم يتحدوا أو يتقاربوا أو تزول بينهم العداوة الهامشية المصطنعة ، ستخطفهم الشياطين والوحوش ، وتوجد في الهند وحدها دانات خرافية كثيرة ، كلها تعادي المسلمين وتربص بهم ، وكما يقول القائل :

كل العداوات قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداتك في الدين

من هذه الديانات : الديانة الهندوسية ، وهي خليط من معتقدات خرافية ، وقد استقروا على تعريف لها مؤخراً ، يقول : «إن كل من يسكن الهند ويعبد البقر فهو هندوكي» .

والغريب أن نرى الرابطة التي تربط الهنادكة هي البقر ، ويدافعون عنها دفاعاً مستميتاً ، ولكن الرابطة التي تربط المسلمين هي الربانية ، ويتخاذلون عن الدفاع عنها !

هذا ، وقد وقع في الآونة الأخيرة صراع بين المسلمين والهندوس على مسجد بابري الذي ادعى الهندوس أنه بني مكان معبد قديم لآلهتهم «راما» وانتصر الهندوس لتلك الإشاعة وهدموا المسجد ، ولم يستطع المسلمون الدفاع عنه .

(١) انظر في ذلك : الحلف الدنس ، محمد ، ص ٢٥ ، ٤٩ ، ٧٩ .

• بروتوكولات سفهاء هندوس:

- على إثر هدم المسجد البابري وتسويته بالأرض ونشوب أعمال العنف بين المسلمين والهندوس، أصدر القائد المحلي لجماعة (R.R.S) الهندوسية منشوراً خطيراً وُزِعَ على الهندوس في الهند والخليج، ويتضمن المنشور التوصيات التالية:
- ١ - اذهبوا إلى المعبد صباحاً ومساءً أينما كنتم.
 - ٢ - شيدوا معبداً في منازلكم، في مواقع أعمالكم، في متاجركم التي تعملون بها ومدينتكم التي تقطنونها.
 - ٣ - حافظوا على معبودكم، ضعوا تمثال الرب «راما» واعبدوه.
 - ٤ - حافظوا على زيكم الموحد، واجعلوه مكوناً من بنطلون كاكي وقميص أبيض مع قبعة سوداء واربطوا الخيط حول معاصمكم أثناء الاجتماعات والتدريبات العسكرية، واجلسوا معتدلين بدون أن يلامس أحدكم الآخر.
 - ٥ - اهتفوا بالشعارات بكل قوة وشجاعة وردّدوا: يعيش الرب راما.
 - ٦ - أقيموا اجتماعات أسبوعية وقدموا تقاريركم إلى القائد المحلي.
 - ٧ - عند القيام بأعمال شغب ضد المسلمين، أقيموها بعيداً عن مساكنكم حتى لا يتم التعرف إليكم.
 - ٨ - لا تحاولوا أبداً القتال من الأمام، قاتلوا دوماً من الخلف.
 - ٩ - اعملوا قدر طاقتكم على إغراق أصدقائكم وزملائكم من المسلمين في إدمان الكحوليات والمخدرات والنساء، لا تعطوهم الفرصة ليفكروا فينا أبداً.
 - ١٠ - كونوا على صلة حميمة بالمسلمين، لتمكنوا من تفريق وحدتهم.
 - ١١ - تحت أي ظرف من الظروف، لا تعطوا الشرطة الفرصة لضبط أسلحتكم.
 - ١٢ - عند العمل لدى أو مع المسلمين، اجعلوا الغش شعاركم.
 - ١٣ - في حالة تدني الرواتب، اقتنصوا الفرصة لحشد الجماهير معكم.
 - ١٤ - عند قيامكم بالتسوق من متاجر المسلمين، حاولوا ألا تدفعوا أرباحاً لهم.
 - ١٥ - خلال التحقيق من قبل البوليس، لا تدلوا أبداً ببيانات متعارضة.
 - ١٦ - أثناء أعمال العنف والشغب، احرسوا معابدكم وهاجموا ودمروا ممتلكات

المسلمين .

١٧ - خلال عملكم في منازل المسلمين ، حاولوا إثارة المسلمات ، وبالتالي اجعلوهن رغبات بكم ؛ الأمر الذي يعطيكم الفرصة لإنجاب طفل هندوسي من أرحام المسلمات .

١٨ - حاولوا إصابة أجنة المسلمات الحوامل بالإعاقة المختلفة .

١٩ - عند توليدكم للنساء المسلمات ، اهتموا في آذان أطفالهن (OO.M) أووم .

هذا غيظ من فيض مما تحمله قلوب الهندوس الحاقدة تجاه المسلمين في عقر دارهم ، بل في الجزيرة العربية والخليج العربي بصفة خاصة .
فها نحن قرأنا هذه الوثيقة ، فما نحن فاعلون ؟

• بأي شيء تعتصم الأمة ؟

لا بد للأمة أن تعتصم بعقيدتها وقوتها الروحية ، والأمة الإسلامية إذا اعتصمت بإيمانها ، فهي معصومة لا يضرها من عاداتها أو خذلها ، ومنصورة ، لا يغلبها من اعتدى عليها أو قاتلها . أمّا إذا فقدت ذلك ، فإنّها غثاء كغثاء السيل . ولهذا يعمل أعداء الإسلام من غرب وشرق على إلهائها وإبعادها عن قوتها ، وتلك هي الكارثة ! يقول أبو الأعلى المودودي :

«إنّ المستعمرين الغربيين لو سلبوا أموالنا سلباً ، ونهبوا ثرواتنا المادية نهباً ، وقتلونا تفتيلاً ، وأبادوا أولادنا عن بكرة أبيهم ، ودمّروا بيوتنا تدميراً ، لما كان هذا الظلم أشنع نوعاً وأشدّ قسوة وأفدح نتيجة من الظلم الذي اقترفوه نحونا ببث سموم حضارتهم المادية ، وثقافتهم الإلحادية ، وأخلاقهم المنهارة في مجتمعنا ، ثم إنّ المستعمرين الغربيين أنشؤوا في الشعوب الإسلامية - طبقاً لخطتهم المرسومة - جيلاً جديداً يجهل الإسلام بمعظم تعاليمه السامية وعقائده الأساسية وشرائعه السمحة وتاريخه المجيد وتقاليده الذهبية من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، قد صبغ من جهة عقلية وأسلوب تفكيره إلى طبائع الأشياء في القوالب الغربية المادية ، ثم بدأت تتولد من هذا الجيل المتفرنج أجيال متعاقبة كان كل لاحق منها أبعد تمسكاً بالإسلام من

سابقه، وأكثر اندفاعاً وراء الحضارة المادية، وأشد شغفاً بالثقافة الغربية، وأخلص إيماناً بفلسفة الغرب للحياة الإنسانية، وقد بلغ هؤلاء من الانهزام الفكري مبلغه، حيث عادوا يعتبرون التحدث بلغتهم القومية وصمة عار في جبينهم بينما يعتبرون التحدث بلغة الفاتحين مفخرة من المفاخر وكأنه جبين أحدهم يندى بسبب كونه فرداً من أفراد الملمين، بينما المتعمرين كانوا معصبين لدينهم الميحي، ومعتزين باعتناقه، وكان كذلك المتفرنجون من الملمين يفتخرون بمروقهم عن الدين واستهتارهم بأحكامه ويكيلون لتقاليدهم الذهبية كل سبة، ويعتبرون كل ذلك وسيلة لازدياد كرامتهم وعلو مكانتهم وارتفاع شأنهم في المجتمع، بينما احتفظ الفاتحون الغربيون بكرامة تقاليدهم البالية المبتذلة، واعتصموا بحبل عقيدتهم الواهية»^(١).

نعم، إن الغزو الفكري والثقافي، أشد وأشنع من الغزو العسكري. لذلك حرص المتعمر حين دخوله البلاد الإسلامية أن يصاحب غزوه العسكري غزو ثقافي فكري، حتى إذا ما خرج من البلاد الإسلامية ترك آثاره وبصماته وأفكاره في البلاد المستعمرة، وهذا ما حصل لكثير من البلاد الإسلامية التي دخلها المتعمر البغيض، وما فتى أعداء الله يسعون إلى تقويض بنيان الإسلام بكل السبل والوسائل.

يقول القسّ «زوير» في كتابه «الغارة على العالم الإسلامي»: «إنّ للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين: مزية هدم، ومزية بناء. أمّا الهدم: فنعني به: انتزاع المسلم من دينه ولو بدفعه إلى الإلحاد. وأمّا البناء: فنعني به: تنصير المسلم، إن أمكن؛ ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه».

ومع الأسف، لقد استطاع المتعمر، أن ينجح في غزوه الفكري في البلاد التي لم يغزها عسكرياً!!!



المبحث السابع طاجيكستان

فتح طاجيكستان وما حولها من بلاد ما وراء النهر، قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٩١، ٩٣ هـ، الموافق ٧٠٩ إلى ٧١١ م.

• وصف الروس حين الغزو،

وأول ما عرف عن الروس في القرن الإسلامي الأول، أنهم كانوا يعيشون شرقي أوروبا على شكل قبائل تنتقل في أرض تزيد مساحتها على مليون كيلو متر مربع وأشهر فروعهم: الروس الكبار. وكانوا يسكنون حول «موسكو»، والروس الصغار، وهم الأوكرانيون، ويقطنون حول مدينة «كييف»، والروس البيض، ويقيمون حول مدينة «منمك»، وعرفت القبائل الروسية بكثرة أعدادها وتكاثرها السريع، وكثيراً ما كان تجار الرقيق يغيرون عليهم ويخطفون أبناءهم ويبيعونهم في أسواق الرقيق، وفي أحيان كثيرة كانت الأسر الروسية القوية تغير على الأسر الضعيفة وتنهب الأولاد والمتاع لتبيعه في الأسواق، وكانت لهم لغة ودين لا يشاركون فيها أحد، وكان معظمهم يسكن مناطق شعبية فقيرة وبيئة قذرة، وقد وصفهم «ابن فضلان» في رسالته وصفاً مطولاً وكان مما قال:

«رأيت الروس، فلم أر أتم أبداناً منهم، شقر حمر يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على إحدى شقيه ويخرج إحدى يديه منه، وهم أقدر خلق الله، لا يمتنعون من غائط ولا يغتسلون من جنابة، كأنهم الحمير الضالة، بيوتهم كبار من الخشب، يجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون، لكل واحد منهم مكان يجلس فيه ومعه جواريه للتجارة، فينكح الرجل جاريته ورفيقه ينظر إليه، وربما اجتمعت جماعتهم على هذه الحالة بعضهم بجوار بعض، وتأتي الجارية في كل يوم بالغداة ومعها قصعة كبيرة فيها ماء فتقدمها إلى مولاه، فيغسل فيها وجهه ويديه وشعر رأسه ثم يتمخط ويصق فيها ولا يدع شيئاً من القدر إلا فعله في ذلك الماء،

فإذا فرغ ، حملت الجارية القصعة إلى الذي يليه فيفعل مثل ما فعل صاحبه ولا تزال ترفعها من واحد إلى واحد حتى تديرها عليهم جميعاً في البيت ، وكل واحد يتمخط ويصق فيها ويغسل وجهه وشعره .

وكانوا يجدون لنصب من الخشب ويعتقدون أنه يرزقهم إن رضي عنهم ويمنعهم إن غضب عليهم ، ولا يزالون يهدون إليه حتى يرضى ، وكانوا يحرقون موتاهم ، وكانت جاريته المحببة تموت معه ، بعد احتفال كبير ، ويواقعها الرجال قبل موتها محبة في الميت ، ويعتقدون أن الحرق يعجل به إلى دخول الجنة ، وللروس رئيس ، ولكن رئيسهم ومليكهم يجلس في قصره بين الجواري الذين يزيدون على الأربعين ، وكان يواقع جواريه بحضرة أصحابه ، ويجلس على سريريه ولا يتنحى عنه ، وإذا أراد أن يتغوط ويقضي حاجته ، قضاها في طست ، وله نواب يسوسون البلاد ويقودون الجيوش في الحروب .

● دخول الروس في النصرانية:

يتم ذلك في ثلاث مناطق ، وهي :

- ١ - منطقة الخرز : ويحكمها اليهود ، ويعيش بينهم مسلمون ونصارى ، ووثنيون ، وكل فرقة أكثر من اليهود عدداً ولكنهم يدينون لليهود الخرز بالطاعة .
- ٢ - منطقة بلغار : ويحكمها مسلمون اعتنقوا الإسلام حديثاً ، وبقي عدد منهم على الديانة الوثنية .

- ٣ - منطقة الروس : وسكانها من الروس ، ولا يزالون جميعهم على الوثنية .

كان الروس الوثنيون مجالاً للصراع ؛ لكسبهم إلى إحدى الديانتين اللتين يدين بهما حكام الخرز وهم اليهود ، وحكام بلغار وهم المسلمون . وكما فشل البلغار في كسب الروس إلى الإسلام ، كذلك فشل اليهود في إدخالهم في دينهم ، كما أن النصرانية من جهات الرومان قد أدلت بدلوها مع ملك الروس «فلاديمير» .

وأمام هذا الصراع جمع «فلاديمير» وجهاء قومه ، واستنصحهم في هذه التيارات الدينية ، فأجابوه :

أيها الأمير، إنَّ كل امرئٍ يمتدح ديانتَه، فإذا أردت أن تختار أحسنا، فابعث برجال عقلاء إلى البلاد المختلفة؛ ليكشفوا لك أي أمة من الأمم تعظّم الله بالطريقة المثلى التي تليق بمقامه الأسمى».

اختار «فلاديمير» لهذا الغرض عشرة رجال اشتهروا بالرأي والحكمة، فوجدوا أن بلاد البلغار لا تزال فيها أماكن حقيرة المظهر، حيث لا يزال الإسلام فيهم حديث العهد، ولم يُطبق النظام الإسلام بعد بصورة كاملة. (والإسلام ليس مجرد عبادة وشعائر تؤدَّى، وإنما هو نظام يشمل جوانب الحياة كلها يبدأ بالنظافة ويصل إلى الحكم)، وكذلك لم يُسرّ رجال الروس في بلاد الخرز، فالمستنقعات والبيئة القذرة وروائح بقايا الأسماك، و... ولكنهم سرّوا بالقسطنطينية، وما بها من فخامة البناء، وعظمة الإشادة في كنيسة «أيا صوفيا»، وملابس رجال الدين الجميلة المتميزة، وروائح البخور المنبعثة من داخل الكنيسة، ولم يعرفوا هذا من قبل؛ إذ لم يرتقوا بعد في سلّم الحضارة، ولم يفهموا معنى العبادة والإخلاص فيها والتوحيد، فنقلوا انطباعهم إلى ملكهم «فلاديمير»، فتحوّل إلى النصرانية على المذهب الأرثوذكسي عقيدة الروس، وبدأت تترسخ في النفوس، على حين بقيت القبائل غير الروسية وثنية تتنقل في شرق مواطن الروس وتخضع للقبائل التي أصبحت نصرانية أرثوذكسية.

● بلاد المسلمين في المنطقة:

انتشر الإسلام في منطقة ما وراء النهر، فيما صار يعرف اليوم بكازاخستان، وعاصمتها «ألما»، وأذربيجان، وعاصمتها «باكو»، وأوزبكستان، وعاصمتها «طشقند»، وتركمانستان، وعاصمتها «عشق آباد»، وجمهورية قرغيزيا، وعاصمتها «فرونزي»، وطاجيكستان، وعاصمتها «دوشنبه»، وقرقيزستان، وعاصمتها «بشكيك». وبلغت نسبة المسلمين في هذه الدار حوالي ٩٠٪، وبعد فترة ظلّت أحوال المسلمين مع أعدائهم بين شد وجذب، وغلبة وضعف، وسلام وصراع، إلى أن جاء عهد الاستعمار الروسي الامبراطوري، وبعده جاء الاستعمار الروسي البلشفي.

تبلغ مساحة جمهورية طاجيكستان ١٤٣,٠٠٠ كم متر مربع ، وهي منطقة جبلية شاهقة الارتفاع باستثناء المنطقة الجنوبية التي تقع جنوب العاصمة «دوشنبه» حيث تكثر الأنهار التي تتجه نحو الجنوب لترفد نهر جيحون . لذا تشكل بعض السهول ، وتمتد الهضاب . كما تتجه أنهار نحو الشمال لترفد نهر سيحون ، وتضم طاجيكستان جزءا من مجرى ذلك النهر ، حيث توجد بعض السهول أيضاً .

تأسست جمهورية طاجيكستان في ١٢ ربيع الأول عام ١٣٤٣ م ، ثم أُضيف إليها إقليم غورنو بادخشان ذو الحكم الذاتي ، ويضم هضبة بامير والتي تدعى سقف العالم ؛ لارتفاعها ، وتوزع الجبال منها ، ويصل ارتفاعها إلى ٧٤٩٥ متراً ، وقد جرى صراع عليه بين الأفغان والمستعمرين الروس ، ثم بين الاستعمار الإنجليزي والروسي .

يبلغ عدد سكان جمهورية طاجيكستان الاتحادية ٦,٨٠٦,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٩٩٩ م ، ويتوزع السكان حسب المجموعات التالية :

- الطاجيك : ويشكلون نسبة ٥٨,٩٠ ٪ من السكان .
- الأوزبك : ويشكلون نسبة ٢٣,٠٠ ٪ من السكان .
- التتار : ويشكلون نسبة ٢,٣٠ ٪ من السكان .
- القيرغيز : ويشكلون نسبة ١,٢٠ ٪ من السكان .
- التركمان : ويشكلون نسبة ٠,٣٠ ٪ من السكان .

والطاجيك يعودون إلى أصل فارسي ، ويتكلمون لغة الطاجيك ، التي تعود أيضاً إلى أصل فارسي ، وكانت تكتب بالحرف العربي حتى عام ١٣٥٨ هـ ، ثم ألزم أهلها على كتابتها بالحرف الكيريلي «الروسي» .

وأما بقية العناصر ، فإنها تعود إلى أصل تركي ، وكذلك لغاتهم ، ويتكلم سكان هضبة البامير لغة إيرانية ، ونسبة المسلمين ٨٨ ٪ من عدد السكان .

طاجيكستان حديثاً ... حكومة ومعارضة

١ - تعد طاجيكستان واحدة من ست جمهوريات إسلامية مستقلة، تقع في منطقة آسيا الوسطى، وهي: كازاخستان، قيرقيزستان، أوزبكستان، تركمانستان، أذربيجان. عاصمتها «دوشنبه»، وعدد سكانها ٦,٥ مليون نسمة يتكلمون الفارسية إلى جانب اللغة الطاجيكية، ونسبة المسلمين ٨٨٪ من عدد السكان.

جدول يبين وضع الجمهوريات الإسلامية المستقلة في آسيا الوسطى^(١)

م	الدولة	العاصمة	المساحة	السكان/م	المسلمون	النسبة	ملاحظات
١	كازخستان	آسانه	١,٠٤٨,٤٣٠	١٨,٥	١١,٠	٦٧	
٢	قيرقيزستان	بشيك	٠,٢٩٨,٥	٥,٢٥	٣,٨	٧٣	
٣	طاجيكستان	دوشنبه	٠,١٤٣,١	٦,٥	٥,٧	٨٨	
٤	أوزبكستان	طشقند	٠,٤٤٧,٤	٢٥,٥	٢٢,٢	٨٧	
٥	تركمانستان	عشق آباد	٠,٤٤٨,١	٤,٥	٣,٩	٨٦	
٦	أذربيجان	باكو	٠,٨٦,٦	٨	٧	٨٧	
	الإجمالي		٤,٠٤١	٦٨,٢٥	٥٣,٧	٧٩	

(١) المصدر: تقرير معلوماتي، بتاريخ ٨/٣/٢٠٠٠م، رقم (١٠) ملف ...

٢- استقلت طاجيكستان عام ١٩٩٠م بعد حكم شيوعي دام ٧٠ عاماً، وذلك في أعقاب ما شهدته الاتحاد السوفيتي (السابق) من تحولات على يدي جورباتشوف أدت إلى انهياره، وكان ذلك متوافقاً مع خروج المعارضة الإسلامية من السرية إلى العلنية «فقد انعقد في دوشنبه عاصمة طاجيكستان المؤتمر العام الأول لحزب النهضة الإسلامية الطاجيكي المستقل، وانتخب رئاسة الحزب من ١٧ عضواً، وقد أقر أيضاً برنامج الحزب ونظامه الداخلي، وتم ذلك برعاية الشيخ عبد الله نوري^(١)».

٣- شهدت لحظة الاستقلال عدة صراعات تحكمت في أشكال ومسارات الأحداث فيما بعد، يمكن أن نوجزها فيما يلي:

أ - عندما وقع في موسكو الانقلاب العسكري الشيوعي الفاشل (أغسطس ١٩٩٠م) ضد جورباتشوف، كانت فرصة اغتنامها الشعب الطاجيكي وأحزابه - وخرجوا ضد الرموز المحليين، واتهموا الحزب الشيوعي في بلادهم بأنه كان يؤيد الانقلابيين «ففي دوشنبه عاصمة طاجيكستان تحرّكت كل الأحزاب السياسية وفي مقدمتها حزب النهضة الإسلامية، وجرت مظاهرات حاشدة تطالب أعضاء البرلمان - الذي كان يواصل أعماله بنواب يمثل الشيوعيون نسبة ٩٠٪ منهم - بإبعاد «محكموف رئيس الحزب الشيوعي من منصب رئاسة الجمهورية - وبعد مناقشات عنيفة، أجبر المتظاهرون أعضاء البرلمان على الاستجابة لمطالبهم^(٢)».

ب - وفي مشهد آخر للصراع السياسي، ساحتته البرلمان ذاته - متزامناً مع ما يحدث خارجه - كان أنصار الحزب الشيوعي السابق (رحمان ناييف) - والذي نجح (محكموف) - قبلاً في إسقاطه بتهم الفساد وسوء الإدارة - يسعون للانتقام ويؤيدون المتظاهرين خارج البرلمان.

ج - واصل البرلمان أعماله - وفي يوم ٩ سبتمبر ١٩٩٠م - تم إعلان استقلال جمهورية

(١) مجلة شمس الإسلام، العدد التجريبي، ١٩٩٣م، ص ٣٣٣، وتجدر الإشارة إلى أن هذا المؤتمر هو أول مؤتمر إسلامي يعقد منذ حوالي ٧٠ عاماً تحضره النساء المسلمات مما يسهم في تغيير الصورة النمطية عنا في هذه المنطقة والتي رأت أجهزة الدعاية الشيوعية إلصاقها بنا خاصة بصدد المرأة.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦٢.

طاجيكستان، وتعيين (أصلانوف) رئيساً مؤقتاً للجمهورية، وحظر الحزب الشيوعي، ولم يعجب ذلك أنصار (نابيف) فقاموا بدعوة النواب إلى عقد دورة غير عادية للبرلمان في ٢٣ سبتمبر ١٩٩١م، وتم فيها التخلص من (أصلانوف) وإلغاء القرار السابق بحظر الحزب، وفي نفس الوقت تم تعيين (نابيف) رئيساً جديداً لطاجيكستان (أي رئيساً للحزب الشيوعي)^(١)، وقد أحدث ذلك ردود أفعال واسعة في صفوف المعارضة وقامت حرب شبه أهلية بين أنصار حزب النهضة والقوى الديمقراطية من جهة، وأنصار الحزب الشيوعي من جهة أخرى الذي استخدم مقومات الدولة في حربه ضد المعارضة وتحت ضغوط هذه الأخيرة قدم نابيف استقالته، وتم في هذه الفترة انتخاب (أكبر شا اسكندروف) رئيساً مؤقتاً للجمهورية، ما لبث أن قدم استقالته هو الآخر في جو من الصراع السياسي، ليتم انتخاب (إمام علي رحمانوف) محافظ كولا ب في غياب القوى المعارضة، رئيساً للبلاد^(٢).

٥ - لجأت قوى المعارضة بقيادة حزب النهضة، إلى المقاومة المسلحة، واتخذت من أراضي أفغانستان المجاورة مقراً لشن الهجوم على مواقع الحكومة الطاجيكية حتى اضطرت الحكومة إلى القبول بالمفاوضات بداية من عام ١٩٩٤م، وقد انتهت المفاوضات إلى عقد اتفاق الصلح بين الحكومة واتحاد قوى المعارضة بقيادة حزب النهضة الإسلامية في موسكو.

٤ - تم التوصل إلى (اتفاقية) بين المعارضة والحكومة الطاجيكية في يونيو ١٩٩٧م بموسكو، والتي أنهت حالة الحرب والتي استمرت خمس سنوات بين الطرفين (وكانت حصيلة القتلى حوالي مائة ألف من المعارضة الإسلامية، وهجرة حوالي مليون ونصف المليون من الطاجيك إلى كل الدول المجاورة لطاجيكستان، وذلك منذ أواخر ١٩٩٢م)^(٣).

(١) المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٢) آسيا الوسطى، المطبوعات الاستعلامية، موسكو - معهد الدراسات السياسية.

(٣) الأوضاع في وسط آسيا، عوامل سياسية داخلية وخارجية - تقرير خاص رقم (١٢) في (١٠/٤/١٩٩٩م)، من أرشيف: أ. أبو هشام عن المنطقة.

وقد تم التفاوض ووقعت الاتفاقية تحت رعاية الأمم المتحدة - وبمساعدة روسية وضمائها بالإضافة إلى إيران، وباكستان ودول وسط آسيا (باستثناء أوزبكستان التي رفضت التوقيع).

٥ - من أهم الملامح الأساسية للاتفاقية، والتي أُسميت بـ «اتفاقية المصالحة الوطنية» التالي:

أ - تشكيل لجنة للمصالحة الوطنية برئاسة الشيخ عبد الله نوري، وأعضاؤها عددهم (٢٦) عضواً - لحركة النهضة (٨)، وللأحزاب الأخرى (٥)، وللحكومة (١٣)، وتكون قراراتها بـ «الإجماع» - مما يشكل صعوبة أمام اتخاذ أي قرارات ولكنه يضمن في ذات الوقت عدم اتخاذ أي قرارات لا توافق القيادة عليها.

ب - كانت أولى اجتماعات اللجنة في موسكو، وأولى قراراتها: إصدار قانون العفو العام - الذي وافق عليه البرلمان الطاجيكي في ١/٨/١٩٩٧م، وصدق عليه رحمانوف - وكبادرة حسن نية - تم الإفراج عن بعض المجاهدين الذين لم يشملهم قانون العفو العام، وكذلك بعض المعتقلين الذين كان النظام يرفض بشدة حتى وقت قريب الإفراج عنهم.

ج - على أن أهم بنود الاتفاقية من الناحية السياسية هي:

- أن تبدأ الحركة في تسليم أسلحتها، في شهر يونيو ١٩٩٧م - ولمدة سنة ونصف - على أن تشارك الحركة في الحكومة المؤقتة بنسبة (٣٠٪) من المناصب الوزارية، والإدارية في السلطة التنفيذية، والقضائية، والتشريعية . . . (على أن يتم توزيع المناصب فعلياً في الاجتماع الثاني للجنة في أغسطس ١٩٩٨م، تعديل الدستور وحذف العلمانية منه . . .).

- تم الاتفاق على تأجيل الانتخابات التي كان من المقرر إجراؤها في نهاية عام ١٩٩٨م إلى بداية ١٩٩٩م، وفي غضون ذلك اتفق على مجموعة من الإجراءات تهيئ الأجواء للانتخابات، ومنها:

- الاتفاق على أن يعود حزب النهضة لممارسة نشاطه السياسي بعد تنفيذ المرحلة الثانية من البروتوكول العسكري (وهي فترة اتفق على أنها قد تستغرق أربعة

أشهر من تاريخ دخول قوات الحركة إلى العاصمة).

• وحتى يتم ذلك، اتفق على أن الحركة ستستعيض عن ذلك بالعمل من خلال الجمعيات والمؤسسات الخيرية التي تسعى إلى تسريعها على وجه السرعة، مع الحرص على إيجاد هامش من الحرية في الفترة الانتقالية، ومحاولة تغيير قانون الانتخابات.

هـ- وكان هناك اعتقاد بأن ثمة ضمانات لتنفيذ هذه الاتفاقية، تتمثل في:

أ- رغبة الأطراف المتصارعة والمتنازعة في المصالحة، وإنهاء حالة القتال.

ب- ضمان الأمم المتحدة، ورعايتها، خاصة في ظل وجود مراقبيها في طاجيكستان.

ج- ضمانات الدول التي وقعت على الاتفاقية - والتي أشرنا إليها سابقاً - والتي طلبت الحركة عقد مؤتمر دوري لوزراء خارجيتها لمتابعة تنفيذ بنود هذه الاتفاقية.

د- الوحدة العسكرية للمجاهدين والتي ستواجد في العاصمة وقوامها (٦٤٠ فرداً) - ولن يتم تفكيكها قبل المرحلة الثالثة للبرتوكول العسكري، بالإضافة إلى قوات المجاهدين الموجودة في المناطق المحررة في جنوب الدولة، إضافة إلى وعي أفراد الحركة أنفسهم بطبيعة القوى والتوازنات في المنطقة البالغة الحساسية^(١).

٦- ومع كل ما سبق: إن تطبيق الاتفاقية قد دخل مرحلة المماطلة والمساومة السياسية. ومن مؤشرات ذلك:

أ- بدأت لجنة المصالحة الوطنية يوم ١٠/١٠/١٩٩٨م في مناقشة البند رقم (١٠٠) من الدستور الطاجيكي)، والذي ينص على: (علمانية الدولة)، وقد أصر الجانب الحكومي على إبقاء كلمة (العلمانية) بينما أصرّت المعارضة على تغييرها

(١) آخر المستجدات في القضية الطاجيكية - محضر اجتماع اللجنة العليا للمتابعة «الاجتماع الثالث» (٥).

٨/١٩٩٧م)، من أرشيف: أ. أبو هشام.

باعتبارها لب الصراع بين الطرفين والذي استمر طوال خمس سنوات ، وتقدمت الأمم المتحدة باقتراح الإبقاء على الكلمة في (متن) الدستور ، ثم شرحها في مذكرته التفسيرية بما لا يمنع نشاط حزب النهضة الإسلامي !

ب - استجابت الحكومة - جزئياً - بالنسبة للمناصب الوزارية ، فقد سلمت للمعارضة مثلاً أربعة مناصب في ٨ / ٤ ، ومنصب آخر في ١٠٨ / ١٩٩٨ م ، إلا أنها لم تسلم وزارة الدفاع أو وزارة الصناعات الخفيفة .

ج - انضمت قوات حركة النهضة للقوات الحكومية ، أي إلى وزارات (الدفاع - الأمن - الداخلية) ، وبلغت القوات المنضمة حتى يوم ١٥ / ٩ / ١٩٩٨ م (٥٢٠٠ فرداً) - في ظل قناعة واتفاق بعدم تملك الأحزاب السياسية المعارضة لأي قوى عسكرية خاصة بها .

وقد كان من أقوى المؤشرات في هذا الصدد ، إصدار المعارضة الإسلامية بقيادة الشيخ نوري مؤسس حركة النهضة الإسلامية في طاجيكستان بياناً شديداً للهجة يعلن فيه توقفها عن الاستمرار في حضور جلسات لجنة المصالحة الوطنية المشرفة على تنفيذ بنود الاتفاقية ؛ وذلك لما يلي :

أ - الاحتجاج على عدم جدية الحكومة في تنفيذ تعهداتها بتهرّبها باستمرار من الالتزام بما وقعت عليه في مواعيده المحددة .

ب - حددت المعارضة في ذلك الوقت - مدة عشرين يوماً - تنفذ فيها الحكومة ما لم تنفذه من بنود الاتفاقية .

ج - أعلنت المعارضة عدم مسؤوليتها إذا ما قامت قواتها المسلحة بأي إجراءات فيما لو لم تنفذ الحكومة تعهداتها في تلك المدة المحددة .

• وقد كان لهذا الإعلان تداعياته لدى كل الأطراف - خاصة أن الشيخ نوري سافر إلى طهران للعلاج قبل إصدار البيان بأسبوع - فالحكومة سارعت بالاتصال بنائب نوري وعرضت تنفيذ بندين ذو طبيعة أمنية شكلية ، وتوجه وزيران ومندوب الأمم المتحدة وكذلك مندوب أحد الدول الراعية للقاء نوري .

وكذا تم رصد تحركات مسؤولين ممثلين للقوى السياسية الفاعلية مثل : السفير

الأمريكي، ووزير الخارجية الإيراني، ومندوب الأمم المتحدة... إلخ^(١).

وما تزال هذه الاتفاقية وبنودها موضع ملاحظة في التطبيق والتنفيذ، والأمر الذي يفسر ذلك - من وجهة نظرنا - هو طبيعة توازن القوى في هذه المنطقة البالغة الحيوية.

٧ - الولايات المتحدة الأمريكية تواجدتها في هذه المنطقة نابع من استراتيجيتها الكونية ورغبتها في الهيمنة على العالم وقيادته، وفي هذا الصدد تقع هذه المنطقة في القلب الاستراتيجي (وحسب رؤية كينجر، فإن على أمريكا أن تمنع روسيا من استعادة نفوذها السابق في دول الاتحاد السوفيتي السابق، والذي حدد إمكانية ذلك في حدود عشر سنوات من انهياره)، وأمريكا تتدخل في المنطقة عبر وجودها في أفغانستان، وأذربيجان - وبصلاقتها العسكرية في قازاخستان وأوزبكستان (أي حاصر فعلي لطاجيكستان فهي على مرمى حجر منها)... وأدواتها في التدخل - دون مواجهة روسيا مباشرة - «طالبان وكريوف - وقد نجحت في استمالة باقي دول وسط آسيا المدفوعة بالرغبة في التخلص من آثار المرحلة الشيوعية، وكذلك اللحاق بالدول المتقدمة الغربية (على الطريقة التركية) بدلاً من الاتجاه جنوباً إلى العالم الإسلامي (الثالث والمتخلف) - غير أن مما يحد من الدور الأمريكي في هذه المنطقة، أن حلفاً جديداً يتشكل تدريجياً بين كل من المتخوفين من تقدم حلف الناتو والدور الأمريكي يتكون من إيران، وروسيا، والصين، وكوريا الشمالية، بالإضافة إلى القوى الإسلامية، ناهيك عن اعتبارات أمريكية أيضاً!! ويكن توضيح ذلك^(٢):

أ - تخشى إيران من حصار أمريكا لها من الشرق عن طريق دعم طالبان بعد زيادة التواجد الأمريكي في منطقة الخليج العربي، ووجود قواعد عسكرية لحلف الناتو في أذربيجان.

ب - تخشى الصين من اقتراب النفوذ الأمريكي من حدودها الغربية - وهو الذي يحاصرهم من الجنوب بسبب مشكلة (تاوان) - بسبب مشكلة المسلمين في تركستان الشرقية (إقليم سنكيانج بالتعبير الصيني) والخبرة واضحة فيما حدث

- للاتحاد السوفيتي على يد الإسلاميين بدعم أمريكي (التجربة الأفغانية).
- ج- تخشى كوريا الشمالية من ازدياد الدعم الأمريكي لكوريا الجنوبية - بالإضافة إلى التواجد العسكري الأمريكي في قواعد، في كوريا الجنوبية.
- د- تخشى المؤسسة العسكرية والاستخبارات الروسية من تحول كامل لمستعمراتهم السابقة إلى أمريكا (العدو السابق)، خاصة بعد أن زاد تقدم حلف الناتو وشارك في مناورات عسكرية مع قازخستان، وأوزبكستان . . . وبالتالي تشعر روسيا باقتراب أمريكا منها في الجنوب والغرب.
- هـ - أمّا أمريكا، فإنّها تخشى من انهيار روسيا (حتى بعد مرور عقد من الزمان على انهيار الاتحاد السوفيتي)؛ وذلك أن تتمكن من إحكام سيطرتها على مناطق نفوذ الاتحاد السوفيتي المنهار (وفق رؤية كينجر)، فهي ترى الحفاظ على روسيا موحدة خوفاً من استقلال حقيقي لدول إسلامية كثيرة (٢٠ دولة)، ومن هنا نفهم أن الدعم الحقيقي الغربي عامة، والأمريكي خاصة، لروسيا وقياداتها الجديدة.
- وبالتالي، فاستقراء توازنات القوى، يقوم بدور أمريكي مهم في المنطقة، لكن له حدود وقيود واقعية، كما أنه يلتقي مع استراتيجية الحفاظ على وحدة روسيا - ولو في الأمد المنظور - ومنع تفتتها، ومع ذلك تبقى روسيا حذرة إزاء الاقتراب الأمريكي من الجنوب والغرب، ولذلك عندما أحست بضعف رحمانوف في مواجهة كريموف - وهي لا تطمئن إلى جانب - قامت بتقويته بإيجاد ثلاثة قواعد عسكرية (كولاب - دوشنبه - خوجند) بالإضافة إلى قوات الحدود الروسية، والفرقة الروسية رقم (٢٠١) الموجودة في نفس المنطقة، وهذه الخطوة العسكرية الروسية، تعتبر تهديداً مباشراً لحركة النهضة، وتأميناً لرحمانوف، وتحذيراً لطالبان وكريموف.
- وروسيا في طاجيكستان تدافع عن حدودها الجنوبية - ويمكن أن تدخل في مواجهة مفتوحة؛ لهذا السبب.

٨ - وحركة - أو حزب - النهضة، الذي نجح في قيادة المعارضة، ويسعى في سبيل الحفاظ على الهوية الإسلامية برئاسة عبد الله نوري، الذي يعتبر المراقب العام

للحزب ورئيس اتحاد المعارضين الطاجيك ، وكذلك لجنة المصالحة القومية السابق الإشارة لها - ودون دخول في تفاصيل أفردنا لها دراسة مستقلة أجراها كمشروع تخرج أحد الإخوان الطاجيك تحت إشرافنا منذ عامين - فإن الحركة في الوقت الراهن تواجه عدة تحديات داخلية وخارجية تشكل تهديدات حقيقية لها :

أ - لعل أكبر تهديد للحركة ، ينبع من داخلها - خاصة احتمال تصاعد الخلافات الداخلية بين قواتها العسكرية للصدام ، ومن ثم الفشل ، وذهاب الريح ، وكذلك الخلاف بين الأخوين (تورجان) و(نوري) وهما على رأس الحركة والحزب .

• ولكن من أوجه القوة : أن القوة العسكرية للنهضة ، مازالت متماسكة في مناطقها المحررة (بالرغم من تسليم حوالي ٣٠٪ من أسلحة النهضة إلى الأمم المتحدة ، وانضمام قوات النهضة إلى الأمم المتحدة ، وانضمام قوات النهضة اسماً إلى الأجهزة الحكومية كما أسلفنا) ، إضافة إلى وجود (ألف مقاتل من قوات النهضة بقيادة الأخ محمد رسول علي الحدود مع أوزبكستان في الشمال في مواجهة كرميوف) ، وهذا دليل على استمرارية درجة من درجات الثقة بين رحمانوف والنهضة ، وإن كانت له استراتيجية في إضعاف النهضة سياسياً وجماهيرياً . . . ومن ذلك^(١) :

- ١ - إقالة ممثلي المعارضة في الوزارة وآخرهم دولت عثمان .
- ٢ - تزوير آخر انتخابات برلمانية أجريت منذ عدة أشهر بالأساليب المألوفة (إخراج مراقبي المعارضة من اللجان الانتخابية . . . إلخ) .
- ٣ - بقاء النص على علمانية الدولة في الدستور .

وقد احتج على ذلك الشيخ نوري في ٧ مارس ٢٠٠٠م في تصريح شديد اللهجة ، ولكن ذلك لم يغير من الأمر شيء ، والأوضاع السياسية لم تتغير كثيراً^(٢) .

(١) رحلة إلى طاجيكستان ، الفترة ٣٠/١ - ٢٠/٢ / ٢٠٠٠م - من أرشيف : أ . أبو هشام .

(٢) تقرير الأوضاع في وسط آسيا . تقرير سابق ، وراجع أيضاً : عزيز أو إسلام الدين حفيظ ، حزب النهضة الإسلامي الطاجيكي ، (مشروع تخرج) ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٨م .

• والذي نراه في هذه النقطة تحديداً، هو الانتباه للتحدي الداخلي، وخاصة القوة العسكرية للنهضة، وحتمية الحفاظ على وحدتها وتماسكها ورفع واقعها الميداني لاستخدامها كأدوات ممارسة للضغط السياسي .

الأمر الثاني: هو ضرورة إصلاح وحل الخلافات بين قيادتي النهضة الشيخ نوري وتورجان؛ حتى لا تتطور إلى أشكال جديدة لا يمكن التحكم فيها مستقبلاً وتكرر مآسي تجارب حركات وأحزاب أخرى إسلامية .

ب - التركيز على محاولات شق صف وقيادة وتنظيم حركة النهضة يأتي من جهات متعددة من مصلحتها القضاء عليها وعلى المشروع الإسلامي والإخواني الذي تمثله على النحو التالي :

• محاولة الحكومة برئاسة رحمانوف، ومن الأمثلة على ذلك : محاولة إنشاء حزب إسلامي - دفع إليه شخص يدعى عبد الغفار - باسم «سواد أعظم - مع اتهام النهضة الوهابية وسب العلماء» مقتطفات من كتاب الشيخ نوري «الوجه الآخر للسياسة»، وكذلك الإيقاع وخلق الفرقة بين قادة حركة النهضة باختيار بعضهم - غير ما تحدده الحركة - أو على خلاف ما تحدده - وذلك للمناصب الحكومية العليا، وأيضاً الإيقاع بين القمندان - زرع عملاء بين القيادات الملحقة - مثلما حدث بين حاج علي وسيد مختار (٩٨ / ٦)، ثم إشاعة رحمانوف أن هناك انشقاقاً داخل حركة النهضة بمساعدة فريق منشق من الحزب الديمقراطي بقيادة «شادمان يوسف» وإشاعة ذلك الأمر .

• محاولة كريموف، ومن ذلك على سبيل المثال : تصريحاته عند زيارته لإسرائيل؛ للإيقاع بين المسلمين الأوزبك والطاجيك، وكذلك تصريحات مؤيديه «عبد الله جانوف - يعقوب سليموف - نذر الله دوستوف - وأمين جان . . . وغيرهم كثير» .

• محاولات عسكرية للسيطرة على أجزاء من طاجيكستان عن طريق عميله

الطاجيكي «من أصل أوزبكي» محمود خوادي بيرديوف (محاولته الأولى السيطرة على مدينة تورسون زادة الصناعية في غرب طاجيكستان في ١٩٩٧/٧م) وكذلك (محاولته الثانية الثانية السيطرة على شمال طاجيكستان والتي احتل فيها ست مدن في ١٩٩٨/١١م).

• تنسيقه مع طالبان (كما يتردد) حول تقسيم طاجيكستان إلى الشمال والغرب (وضمهما إلى أوزبكستان) والجنوب والشرق وضمهما إلى طالبان - أفغانستان.

• محاولات الولايات المتحدة وقد بدأت منذ وقت مبكر أثناء الصراع والنزاع الداخلي قبل المصالحة واستمرت بعدها - وقد استخدمت :

أ- بعض البلاد الإسلامية من جهة ، كما يتجلى في إرسال مجموعة من عملائها نذكر منهم ثلاثة : جمشيد (السعودي الجنسية الأوزبكي الأصل) ، وعبد الله البخاري (السعودي الجنسية الطاجيكي الأصل) - ومعهم التمويل المخفي لإنشاء حزب باسم (الجبهة الإسلامية لعلماء الطاجيك) ، هذا على الصعيد السياسي والدعوي . أمّا على الصعيد العسكري ، فنذكر اثنين ، هما : ابن الخطاب (سعودي الجنسية وعربي الأصل) ، حاول إفساد العلاقة بين القيادة والصف الثاني وشق القيادة - وكذلك «أبو الوليد» وهو أيضاً عربي جاء لتدريب مجموعة من الشباب من خوست ثم محاولة قيادتهم بعيداً عن القيادة الشرعية للحركة .

ب - طالبان : وهي تتحرك من خلالهم من الجنوب عبر شراء بعض قادتهم - كما حدث في بدخشان .

ج- كيموف : تتحرك من الغرب عن طريق كريموف - الذي يعارض معاهدة السلام بين حركة النهضة ورحمانوف - ويخشى من وجود حركة إسلامية قوية ، ومثاله الأعلى «تركيا» ويزور إسرائيل باستمرار ، وهو يتحرك من خلال بعض قياداته كما أسلفنا الحديث .

• وهكذا ، تقع حركة النهضة - أو هي في موضع - بين فكي الكماشة الأمريكية

والروسية ، فهل ينجح محمود بيرديوف بمساعدة كريموف وطالبان في حصارها؟ أم هل تصبح حركة النهضة فريسة لرحمانوف بعد أن ينجح في تفريق وتمزيق قيادتها إلى أجنحة متقاتلة فيما بينها . وبذلك يتمكن الروس إلى حين - وتنتهي طاجيكستان إلى أفغانستان جديدة؟!

• كل هذه السيناريوهات والاحتمالات واردة ، وينبغي دراستها بكل جدية من الآن ، من جانب العاملين في هذا الميدان .

• في هذا الإطار السابق ، ينبغي في فهم الوجود الإخواني في إطار حركة النهضة (خاصة وهي من بلاد الطرد؛ أي : طرد العنصر الإسلامي غير الطاجيكي خارجها . . .) برئيسها الشيخ عبد الله نوري ، ويلاحظ أن «الإخوة الطاجيك متقدمون على غيرهم في الارتباط بالجماعة . . . حزب النهضة . . . ويوجد عمل إسلامي بكل أقسامه بهذه البلاد : قسم التربية ، ونشر الدعوة ، والنساء ، والطلاب ، والإعلام ، والسياسي . الأقسام الأربعة الأولى تسير بطريقة منتظمة من حيث المتابعة في كل قطاع» .

• الوجود الفعلي حالياً - بالإضافة إلى الحزب - يشمل ٥ مدارس تعمل بتوجيه إسلامي منذ مارس ٢٠٠٠ م من خلال خمسة من الدعاة الطاجيك «مدرسون» ، والسادس يتابع هؤلاء وهو إمام مسجد (نائب المسؤول التربوي) كما يعاونه سابع غير متفرغ يعمل في إحدى الهيئات الإغاثية^(١) .

وتوجد خطة للعمل في المنطقة ككل تغطي «الفترة ٢٠٠٠م - ٢٠٠٤م» ، نأمل أن تُنفَّذ - ولو بنسبة ٥٪ - وكذلك خطة إعلامية طموحة أيضاً يمكن من أن تعطي صورة أوضح عن المنطقة ، والذي يمكن أن نصل إليه من خلال التحليل والدراسة ، كما يلي :

١ - أن تأخذ حركة النهضة زمام المبادرة في الضغط على رحمانوف لتنفيذ اتفاقية

(١) رحلة إلى طاجيكستان ، تقرير سابق .

المصالحة «حيث لم ينفذ منها إلا أموراً هامشية».

٢ - أن تقنع حركة النهضة بأن عليهم أن يعملوا على وحدة الطاجيك تحت قيادة النهضة، وألاّ تنتصر لرحمانوف. كما هو حادث الآن. والذي قد يغيّر موقفه وينحاز إلى أمريكا، فقط طاجيكستان في يد النفوذ الأمريكي كما حدث في أوزبكستان.

٣ - إصلاح الأوضاع داخل حركة النهضة، خاصة الخلافات على مستوى القيادة بين «تورجان» و«نوري».

٤ - المبادرة لتوحيد القوى خلف حركة النهضة في مواجهة رحمانوف سواء القوى الإسلامية أو غيرها.

٥ - إعادة تأسيس الوجود الإسلامي داخل طاجيكستان بشكل منهجي ومدرّس على أرض الواقع.

الأمة الإسلامية لن تموت

الأمة الإسلامية لن تموت ، والرسالة ولودة ، والعقيدة معطاءة ، والإيمان مخازن الرجال ، ولقد مرّت على الأمة الإسلامية في الحقب المتأخرة ، أيام عجاف وأوقات عصية ، وحوادث مدلهمة ، ذقت فيها مرارة الاستعمار والاستعباد ، وهي خير أمة ، وتجرعت فيها الصاب والعلقم ، وهي العزيزة الأبيّة ، حتى جاء وقت تحركت فيه وهي النائحة ، وتنفست فيه وهي المختقة ، وظهر فيها الصباح ، وأذن فيها مؤذن الفلاح ، هذا وقد صورَ هذه الفترة رجال ، منهم :

الإمام أبو الحسن الندوي ، عميد ندوة العلماء بالهند ، فقال - رحمه الله :

كفى برهاناً على خلود الإسلام وعلى أنه دين الله المختار الذي صنع ليعيش إلى آخر الزمن ، وعلى خلود هذه الأمة وعلى أنها هي الأمة الأخيرة ، وعلى أنها منجبة منتجة ، مورقة مزهرة ، وعلى أنها كنانة الله التي لا تنفذ سهامها ولا تخطئ مرامها .

كفى برهاناً على كل ذلك ، وجود هؤلاء المصلحين والمجاهدين والعباقرة والنوابغ ، والموهبين والمؤيدين والمرين ، وقادة الإصلاح الموفقين الذين ظهروا ونبغوا في أحوال غير مساعدة ، وفي أجواء غير موافقة ، بل في أزمنة مظلمة حالكة ، وفي بيئات قاتلة فاتكة وفي شعب أُصيب بشلل الفكر وخواء الروح وخمود العاطفة وضعف الإرادة وخور العزيمة وسقوط الهمة ورخاوة الجسم ورقة العيش وفساد الأخلاق ، والإخلاق إلى الراحة والخضوع للقوة واليأس من الإصلاح ، وأصبح الجيل المعاصر كله كأنه طبعة واحدة من كتاب واحد خرجت من مطبعة متقنة لا تختلف نسخها وصحائفها ، فحبك أن تقرأ كتاباً وتقيس عليه الباقي ، فلا تنوع ولا اختلاف ، ولا طموح ولا استشراف ، ولا قلق ولا اضطراب ، ولا تفرد ولا شذوذ ، ولا جدة ولا طرافة ، ولا شيء غير المعتاد ولا شيء فوق المستوى .

وأصبحت الحياة قطاراً موحداً تجرّه قاطرة واحدة، هي قاطرة المادة والمعدة، أو قاطرة الغرض والمصلحة، أو قاطرة اللذة والمنفعة، أو قاطرة القوة والغلبة، ويدل كل شيء على أن هذه الحياة قصة واحدة، أو مسرحية قد أحكم وضعها وإخراجها، ويُعاد تمثيلها على مسرح الإنسانية، أو على مسرح التاريخ الإسلامي، ويلعب كل بطل من أبطال هذه الرواية دوره الخاص الذي أسند إليه بكل مهارة ولباقة، ثم تنتهي هذه القصة في تصفيق المعجبين ودموع المتألمين.

وبينما يواصل هذا الركب سيره، وهذا القطار سفره، في غايات محدودة، ومنازل محروقة، وأصوات مألوفة، ونغمات مكررة، إذا بشخصيات تقفز من وراء الأستار، أو من ركام الانقراض والآثار، وتفاجئ هذا الركب الهادئ الوداع الذي لا يعرف غير الوصول إلى غايته المرسومة المحدودة، ولا يهتم إلا بقوت اليوم وزاد الطريق وأمن السبيل وراحة الأبدان تفاجئه بالدعوة إلى الإصلاح والحاجة إلى استئناف النظر والتفكير في الأوضاع العامة ومصير الإنسانية ومسؤولية الأمة التي أخرجت للناس، والثورة على الأوضاع الفاسدة، والأخلاق الرذيلة، والعقائد الضالّة، والعادات الجاهلية، وعبادة البطون والشهوات، وعبودية القوة والسلطان، وتدعو إلى حياة كريمة فاضلة، وإلى مدينة سليمة صالحة، وإلى مجتمع رشيد عادل، وإلى إيمان عميق جديد، وإلى إسلام قوي حاكم، وترفع بكل ذلك صوتاً مدوياً عالياً يضطرب به الركب وتهتز به مشاعره وعواطفه وقيمه ومفاهيمه، ولا يستطيع أن يتغافل عنه أو يتجاهله أو يتخفف به ويستمر في سيره غير مقبل عليه أو ملتفت إليه، بل يخضع له عدد كبير من أعضائه فينشقون عنه ويلتحقون بهؤلاء الدعاة، فيجعلون منهم ركباً جديداً يثق بنصر الله، ويسير على بركة الله.

إنّ هؤلاء الثائرين، والدعاة المصلحين، قائمة مشرقة مشرّفة يتجملّ بها تاريخ الإصلاح والدعوة، ولا يخلو منهم زمان ومكان.

من هذه الشخصيات التي هيأتها القدرة الإلهية، وصنعتها التربية الربّانية،

وأبرزتها في أوانها ومكانها، الشيخ: حسن البنا، والشيخ محمد بن عبد الوهاب وآخرون. وإن كل من يقرأ تاريخهم ويكون سليم الصدر، مجرد الفكرة، بعيداً عن العصبية والمكابرة، يقتنع بأنهم رجال موهوبون مهيوون وليسوا من سوانح الرجال ولا صنعة بيئة أو مدرسة، ولا صنعة تاريخ أو تقليد، ولا صنعة اجتهاد ومحاولة وتكلف، ولا صنعة تجرية وممارسة، إنما هم من صنائع التوفيق والحكمة الإلهية والعناية بهذا الدين وبهذه الأمة، والغرس الكريم الذي يهياً لأمر عظيم ولأمل عظيم في زمن تشتد إليه حاجته وفي بيئة تعظم فيها قيمته.

• ضعف الجسد الإسلامي في قلبه وحاجته إلى الإسلام:

إن الذي عرف الشرق العربي الإسلامي في فجر القرن العشرين، وعرف مصر بصفة خاصة، وعرف ما أصيب به هذا الجزء الحساس الرئيس من جسم العالم الإسلامي؛ من ضعف في العقيدة والعاطفة، والأخلاق والاجتماع، والإرادة والعزم، والقلب والجسم، وعرف الرواسب التي تركها حكم المماليك وحكم الأتراك وحكم الأسرة الخديوية، وما زاد عليها الحكم الأجنبي الإنجليزي وما جبلته المدنية الأفرنجية المادة والتعليم العصري اللاديني، والسياسة الحزبية النفعية، وما زاد هذا الطين بلة من ضعف العلماء وخضوعهم للمادة والملطة، وتنازل أكثرهم عن منصب الأمانة والتوجيه، وانسحابهم عن ميدان الدعوة والإرشاد، والكفاح والجهاد، واستسلامهم «للأمر الواقع»، وخفوت صوت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، زد على ذلك كله: نشاط دعاة الفساد والهدم، والخلاعة والمجون، والإلحاد والزندقة، وتزعم الصحف والمجلات الواسعة الانتشار، القوية التأثير، للدعوات المفسدة، والحركات الهدامة والاستخفاف بالدين وقيمه، والأخلاق وأسسها وما آل إليه الأمر ووصلت إليه الأقطار العربية بصفة عامة، والقطر المصري بصفة خاصة من التبذل والإسفاف، والضعف والانحطاط، والثورة والفوضى، والانهيال الخلقي والروحي في الثلث الأول من هذا القرن الميلادي، ورأى كل ذلك مجعاً مصوراً في أعداد «الأهرام»، و«المقطم»، و«الهلال»، و«المصور»، وفي كتب كان يصدرها

أدباء مصر وكتّابها المفضلون المحببون عند الشباب ، ورأى ذلك مجسماً مصوراً في أعياد مصر ومهرجاناتها ، وحفلاتها وسهراتها ، واستمع إلى الشباب الجامعي في نواديهم ومجالسهم ، وزار الإسكندرية وشواطئها ومصائفها ، ورافق فرق الكشافة والرياضة والمباراة ، ودخل دور السينما ، ورأى الأفلام الأجنبية والمحلية ، واطَّلَعَ على الروايات التي تصدرها المكتبة العربية في مصر بين حين وآخر ، وיתהافت عليها الشباب بنهامة وجشع ، وعاش متصلاً بالحياة والشعب ، وتتبع الحوادث ولم يعيش في برج عاجي ، وفي عالم الأحلام والأوهام ، عرف رزية الإسلام والمسلمين ، ونكبة الدعوة الإسلامية في هذا الجزء الذي كان يجب أن يكون زعيماً للعالم العربي كله ، وزعيماً للعالم الإسلامي عن طريقه ، وقد بقي قروناً كنانة الإسلام ومصدر العلم والعرفان ، وأسعف العالم العربي وأنجده بل أنقذه في فترات دقيقة عصية في التاريخ الإسلامي ، ولا يزال يحتضن الأزهر الشريف أكبر مركز ثقافي إسلامي وأقدمه .

إنَّ كل من عرف ذلك عن كُتُب لا عن كُتُب ، وعاش متصلاً به ، عرف فضل هذه الشخصية التي قفزت إلى الوجود ، وفاجأت مصر ثم العالم العربي والإسلامي كله بدعوتها وتربيتها وجهادها وقوتها الفذة التي جمع الله فيها مواهب وطاقات قد تبدو متناقضة في عين كثير من علماء النفس والأخلاق ، ومن المؤرخين والناقدين : هي العقل الهائل النير ، والفهم المشرق الواسع ، والعاطفة القوية الجياشة ، والقلب المبارك الفياض ، والروح المشبوبة النضرة ، واللسان الذرب البليغ ، والزهد والقناعة - دون عنت - في الحياة الفردية ، والحرص وبعْدُ الهمة - دونما كلل - في سبل نشر الدعوة والمبدأ ، والنفس الولوعة الطموح ، والهمة السَّامقة الوثَّابة ، والنظر النافذ البعيد ، والإباء والغيرة على الدَّعوة ، والتواضع في كل ما يخص النفس ، تواضعاً يكاد يجمع على الشهادة عارفوه ، حتى لكأنه - كما حدثنا كثير منهم - مثل رفيف الضياء : لا ثقل ولا ظل ولا غشاوة .

وقد تعاونت هذه الصفات والمواهب في تكوين قيادة دينية اجتماعية ، لم يعرف

العالم العربي وما وراءه قيادة دينية سياسية أقوى وأعمق تأثيراً وأكثر إنتاجاً منها منذ قرون، وفي تكوين حركة إسلامية يندر أن تجد - في دنيا العرب خاصة - حركة أوسع نطاقاً وأعظم نشاطاً وأكبر نفوذاً وأعظم تغلغلاً في أحشاء المجتمع وأكثر استحواداً على النفوس منها.

وقد تجلّت عبقرية الداعي مع كثرة جوانب هذه العبقرية ومجالاتها، في ناحيتين خاصتين لا يشاركه فيهما إلا القليل^(١) النادر من الدعاة والمربين والزعماء والمصلحين.

أولاهما: شغفه بدعوته، وإيمانه واقتناعه بها، وتفانيه فيها، وانقطاعه إليها بجميع مواهبه وطاقاته ووسائله، وذلك هو الشرط الأساسي والسمة الرئيسة للدعاة والقادة الذين يجري الله على أيديهم الخير الكثير.

والناحية الثانية: تأثيره العميق في نفوس أصحابه وتلاميذه، ونجاحه المدهش في التربية والإنتاج: فقد كان منشئ جيل، ومربي شعب، وصاحب مدرسة علمية فكرية خلقية؛ وقد أثر في ميول من اتصل به من المتعلمين والعاملين، وفي أذواقهم، وفي مناهج تفكيرهم، وأساليب بيانهم، ولغتهم، وخطاباتهم. ولقد كان الشيخ البنا كل ذلك، وأكثر منه، وكان - بحق - رجل الساعة الذي تنتظره الأمة.

(١) وكان من هذا القليل النادر: الشيخ محمد إلياس الدهلوي، منشئ دعوة التبليغ وحركتها في الهند، ونجّله وخليفته الشيخ محمد يوسف، المتوفى قريباً، رضي الله عنهما وأرضاهما، فقد كانا مثاليين فذّين في هاتين الناحيتين كليهما.